
منتدى مجلة الإبتسامة
www.ibtesama.com/vb
مايا شوقي
الكتاب الثاني
أحمد العسيلي
دار الشروق


الكتابُ الثاني

الطبعة الأولى ٢٠١١

رقــم الإيداع ٢٤٠٢٨/ ٢٠١٠
ISBN 978-977-09-2956-3

٨ شارع سيبويه المصري
مدينة نصر ـ القاهرة ـ مصر
تليفون: ٢٤٠٢٣٣٩٩
فاكس: ٢٤٠٣٧٥٦٧(٢٠٢) +
email:dar@shorouk.com
www.shorouk.com

أحمد العسيلي

الكتاب الثاني

دار الشروق

أُهدي هذا الكتاب إلى نَفْسي!!

مش نرجسية واللهِ ولا حاجة، انا بَس قُلت يا عالِمْ حد عُمرُه حيهديني كتاب ولّا لأ، فقُلت أعمل كده أنا.. أعمل كده لنفسي!

إهداء تاني

الكتابة مهنة فعلًا شاقّة؛ محاولة إيجاد الأفكار ومحاولة فهمَها وتتبُّعها، محاولة التعبير عنها وتقريبها، والأصعب من ده كُلُّه: محاولة التأثير بيها فيمَن يقرأها.. مهنة فعلًا شاقّة.

بس مافيش حاجة ببلاش، مع شقاءها هي كمان مهنة عظيمة لإنها بتفيد روح مَن يمتهنها قبلَ أن تُفيد روح من يقرؤه.. بتُنير روحي الكتابة لإن في محاولتي للإجابة على أسئلتكو وانتو بتقروا بَفكّر أكتر وانا بَكتِب، في محاوَلَتِي أن أكونَ أمينًا مَعَكُم أُصْبِح أكثر أمانةً مع نفسي، وانا بَحاول أبقى صريح معاكو بَبْقى أكثر صراحةً مع نفسي..

في محاولة للوصول للكلمات بَمـتْلِكها، وفي محاولة للتأثير فيكو بَأثّر في نفسي..

وعلى ذلك الدور عظيم الأهميّة اللي بتلعبوه في الكتابة من غير حتّى ما تعرفوا، أشكركُم جميعًا، وأُهديكم هذا الكتاب..

الكتابة بالعامية مش بس بتغيّر طريقة كتابة كتير من الكلمات، بل كمان بتَفرض في أحيان كتير كسر بعض قواعد اللغة كسرًا صريحًا واضحًا، (وبتْبان المشكلة دي خصوصًا لمّا تختلط العامية بفصحى سليمة كما في هذا الكتاب).

فبرجاء مراعاة التشكيل؛ لقراءة ما كُتب كما كُتِب، أو في الحقيقة كما «قيل».

من غير مقدِّمات،

إستعنّا عالشقا بِاللهِ المُعين..

عن أن تَكُون «بتحاول»

لمّا حد «مشكورًا» بيُشكُر في شغلي بَحب جِدًّا أرد وأقول «انا بَحاول بس، بَحاول».. بنتي الصُغيّرة بتعرف تستعمل الكلمة دي في مواضعها الصحيحة يمكن من أوّل ما اتعلّمِت الكلام، من كُتر غرامي بتلك الكلمة. كُل ما تقولّي مش عارفة أعمل كذا أقولّها حاولي، كُل ما تقولّي ساعدني في كذا أقولّها حاولي، وحاولي تلوّني جوَّة الخط، وحاولي تكتبي فوق السطر، وحاولي تنُطّي الحبل برجليكي الاتنين مع بعض، وحاولي تطُولي مفتاح النور، وحاولي وحاولي وحاولي ومش مهم في الآخر حَتقدري ولّا لأ، لو فعلًا فعلًا حاولتي..

دايمًا بتعجبني كلمة «المحاولة»... المحاولة يمكن رائعة في حد ذات نفسها كده، عشان لمّا الواحد يحاول فعلًا بكُل ما أوتِيَ من قُوة أو ذكاء أو قُدرة أو صَبر، بتِبقى دي الضمانة الوحيدة ان لو حصل غلط، فالعيب مش منُّه.. الضمانَة الوحيدة انُّه فعلًا عَمَل اللي عليه.

بتُبهرني المحاولة لإن عليها وبيها بَنَى البني آدم الدنيا. لو كُل واحد

وصل لأي حاجة عظيمة ماكانش حاول كفاية ماكانش وصل.. هُوّ البني آدم خلقِتُه كده؛ لو ماحاولْش يبقى أحسن، مش حَيبقى.. ولو ماحاولش يكون مش حَيكون.

المخترعين بالذات بيمَثّلوا بالنسبالي قمة المحاولة؛ واحد عالِم بيحاول يعمل حاجة وعارف بعِلمُه انّها ممكنة، بس لسّه مش عارف يعملها، والحل واحد مافيش غيرُه: المحاولة.. يفضل يحاول يحاول يحاول ألف مَرّة، ألفين، عَشْرة، عُمرُه كُلُّه، وفي الآخر بيقدر.. طبعًا أكيد فيه ناس كتير بيحاولوا ومابيحصلش، أكتر من اللي بيحاولوا وبينجحوا، لكن الأكيد كمان ان حتّى دول أسعد حالًا من اللي ماحاولوش أصلًا.

الرياضة كمان كُلّها محاولة، كُل واحد سواءً كان طفل أو كبير بيبدأ يلعب أي لعبة يلاقي نفسه بادئ من الصفر وعَندُه حاجات كتير جِدًّا يتعلّمها، ويفضل يحاول يحاول وبعد شويّة يلاقي نفسه بَقى بيعرف! ويلاقي نفسه كُل ما حاول أكتر، كُل ما بَقى أحسن. (صحيح عشان يبقى بطل لازم كمان يبقى موهوب؛ مايِنفَعش تبقى عايز بس!.. لكن حتّى البطل الموهوب من غير مُحاولة كافية، مش ممكن يبقى بطل) بيسمّوا النوع ده من المُحاولة «تدريب» بس انا عايز أرجّع الكلمة لأصلها اللي انا شايفُه بوضوح: «مُحاولة».

البني آدم وهو بيشتغَل على نَفسُه بأي طريقة، دي عملية مبنيّة عالمُحاولة؛ «انا عَصَبي بس بَحاول» ويفضل يهدّي في نفسُه، شويّة شويّة لحَد ما يبقى أحسن فعلًا، مش لازم خالص يبقى هادي وبارِد ومابيهمّوش حاجة مش ده المطلوب، المهم بس يبقى أحسن..

بَحِب فكرة المُحاولة وبَحِب حتّى إسمها.. ويمكن عشان بَحِب المحاولة بَكْرَه اليقين اللي بيفترِض ان مافيش غيرُه، ومابَحبّش الناس اللي فاكرين انهم خلاص عارفين، وبَكرَه كلمة «ليس في الإمكان أكثر مما كان».. ويمكن عشان كُل ده «بَحاول»..

أُمنياتي للمستقبل كانت دايمًا بسيطة، عايز أبقى كويّس بس. لكن دلوقتي بقيت عايز حاجة مُختلفة شويّة (أو يمكن هي نفس الحاجة).. عايز أكون عَلى طول «بَحاول».

أتمنّى لنَفسي وأتمنّالكُم جميعًا أن نَكُون «بنْحاول» دائمًا.. ودائمًا يعني لا نَكُف أبدًا، يعني لا نَيْأس أبدًا.. أبدًا...

عن ان كُل إناء ينضَح بما فيه

أنا بَحِب المقولة دي جِدًّا كمان، جِدًّا يعني.. «كُل إناء ينضَح بما فيه».. المُجتمعات البشريّة كُلَّها بتَنضَح بما فيها؛ تمشي في أي شارع في الدُنيا وتتفرّج على الناس اللي حواليك، تِفهَم عَلَطول عنهُم حاجات، بينضَحوا بما فيهِم.. بس سيبكو دلوقتي بما ينضَح بيه الشارع كُلُّه وخلّونا نفكَّر في كُل واحد لوحدُه.

مش عارف دي حقيقة عامّة ولّا لأ، بس انا بَسمَع الناس عادةً بتستعمل العِبَارة دي في الشتيمة والاستهجان؛ لمّا حَد يَصدُر عَنُّه فعل وضيع مثلًا، يقولوها عشان يُدَلِّلوا على إنُّه عمل كده لإنُّه أصلًا وضيع، بس انا شخصيًّا بَفكّر فيها من نواحي تانية كتير كمان بشكل موازي؛ الإناء مثلًا اللي فيه حُب بيبان عليه، بيطْلَع منُّه حُب. البني آدم اللي اتربّى بحنان بيطْلَع فيه حنان، البني آدم المُتعلّم بِيْبان عليه العَلَام، القوي بِيْبان عليه، المؤمن بيَنضَح ايمانُه على تصرّفاته، الذكي المتفتّح بيبان على أفكاره.. وهكذا وهكذا، كُلُّه بِيْبان..

الصورة اللي بتيجي في بالي لمّا بَفتِكِر الكلمة دي، هي ان انت لو

ماصَدَرش مِنّك أي قَول أو فِعل أو تَصَرُّف، مافيش حاجة حتَنضَح مِنّك، تفضل كُل حاجة فيك مقفولة عليك جُوّاك وماحدّش ممكن يعرفها أبدًا. وبعدين أوّل بس ما تنطق، أوّل ما تشاور حتّى، أي إيماءة تعملها تبدأ تكشِف عنّك حاجات، يبدأ إناءك المليء عن آخره ينضَح بما فيه.. ومش لازم حتّى تِكْشف للناس، ممكن كمان تِكْشِفلك حاجات عن نفسك انت شخصيًّا؛ فتلاقي نفسك في موقِف ما اتصرّفت بطريقة مُعيّنة، لو تأمّلتها كويّس حتِعرَف عن نفسك حاجة ماكُنتش تعرفها!

فكرة مُذهلة، لو ركّز فيها الواحد حَيشوف العدسة المُكبِّرة العملاقة المُسَلَّطة دائمًا عليه؛ بتشوفُه وتراقبه وتقيّم كُل حاجة بتشوفها.. نوع هو يمكن من أنواع الضمير الخارجي، لإنّه بيعمل نفس مفعول الضمير.

فيه طبعًا ناس ممكن تخدَعك بما ينضح منهم، ويكون هُوّ مليان طماطم بايظة بس يطلّعْلَك رُمّان شَكلُه طازة وجميل، وقد ينخَدِع أتخن تخين.. وفيه ناس تانية عاملين زي صندوق قزاز مليان حاجات وكلَّها باينة من بَرّة، وفيه ناس بيبان عليهم حاجة بس لو دقّقت النظر بتشوف حاجة مُختلِفة.. وفيه ما بين دول ودول أيضًا كثير.

كمان من مواقف الناس تجاه المسائل نقدَر نعرَف عنهم حاجات؛ لو بتشوف الحلو يبقى انت حلو.. بتَفتَرِض دايمًا حُسْن النيّة يبقى انت حَسَن النيّة.. بتقدّر العلم يبقى انت ذكي، بتحب الفن يبقى انت فنان، وهكذا..

ومش المقصود ان كُل واحد من دول أعمى الألوان بيشوف كُل حاجة على غير حقيقتها عشان بيختار يبُص من زاوية واحدة على كُل الدُنيا، بل المقصود هُوَ انت أصلًا عينَك بتروح على إيه وبتهتم بإيه وبتدوّر على إيه، هي كلّها حاجات دالّة على إنتَ أصلًا شَخص عامل ازاي، إنت مين؛ اتنين ناس مثلًا يقابلوا حَد، وأوّل ما يمشي، واحد منهم يقول عليه «ابن حلال»، والتاني يقول «دمُّه يُلطُش» والتالت يقول «هو ابن حلال فعلًا ودَمّه يُلطُش فعلًا بس كمان شاطر جِدًّا». كُل واحد حسب هو عامل ازاي بيشوف حاجة مُختلفة عن الناس اللي مش عاملين زَيُّه.

مش عارف مين العبقري ابن العباقرة اللي قال الكلمة دي، بس ده تسجيل لعِرفاني واعترافي بفَضلُه وحِكمتُه وذكاؤه.

حكمة اليوم: كُل واحد فينا دايمًا «بينضَح» بحاجة من اللي جُوّاه، انا رأيي: سيبَك خالِص من الناس بيَنضَحوا بإيه، لو راقبت اللي بيَنضَح منَّك انت! ممكِن تعرف وبسهولة، انت فعلًا عامل ازّاي..

عن الرسالة

جالي رسالة على الـ facebook النّهارده ده كان مُحتواها:

انا حنين، بنت من غزة بفلسطين، من كام يوم كُنت في المكتبة وعرفت ان الأنفاق افتكَرت تدخّل الحاجة الوحيدة اللي ناقصانا في غزة: «كتب». ويمكن ناقصاني انا على وجه الخصوص لانّي تعبت من قراءة الكتب الالكترونية. رغبة شرعية، لإنّي من حقي أشرب من دم الكُتب اللي اتحرَمت من ريحتها.

وقع في ايدي كتاب حضرتك «كتاب مالوش اسم» كانت صدفة حلوة كتير. الشخص يلّي بَشوفُه وبيعجبني تحرره على التلفزيون هو ذات الشخص اللي دخل المكتبة، خطوة كتير حلوة. كان نفسي أكون بنت ممكن تتصرّف بأفعال الحرية المحدودة لكن تفكّر بأفكار الحرية اللامحدودة والمطلقة، بس البنت هنا في غزة لو فكّرت تنشُر كتاباتها الأدبية المتحررة الجريئة نوعا ما، أقل شي، جماعات حَتحلّل دمي وجماعات حَتعتبرني حالة من حالات النفور المجتمعي، وانا فعلاً أُعتبَر هيك.. بَهنّيك.. (ودي المَرّة الأولى اللي أكتب فيها بالعامية).

تحياتي.. حنين

الحقيقة الرسالة دي أثّرت فيّ بكذا طريقة ودفعتني إلى التفكير في عدة موضوعات بَرضُه في كذا اتجاه، فإليكُم بعضَ ما جادت عليَّ به:

عن الرسالة ١ (الكتاب في النفق)

انا فاهم طبعًا ان كتابي ماراحش فلسطين لوحده ولا حاجة دونًا عن بقية الكتب، بس لا أُخفي عليكم، لمّا تخيّلت حزمة من كتابي بتَعبُر من تحت الأرض والسور والأسلاك الشائكة ونِقاط التفتيش من مصر إلى غَزّة، أصابَتني تلك الصورة بقشعريرة رائعة.

عن الرسالة ٢ (العامّية)

انا دايمًا بَكتِب بالعامية لأسباب كتير صرّحت بيها في أكتر مِن موضِع بس عايز أجَمّع أطراف الفكرة دلوقتي: أوّلًا انا بَحِب العاميّة المصرية حبًا جمًا لأنّها لُغَتي الأم (ومش لهجتي، لأ لُغَتي، أنا بعتَبرها كِده فعلًا)، ولثراءها المُذهل ثانيًا، ولارتباطي عاطفيًا بيها وتحكُّمي الكامل فيها ثالثًا، والأهَم من ده كُلُّه يمكن، لإحساسي انّها بتاعتي.. وبعد كُل ده كمان لإحساسي بارتباطها أكتر من الفُصحى بهذا العصر من الكتابة المصرية ولهذا النوع من الكتابة الذي أكتُب وبأغلب هؤلاء الذين يقرأوني. وانا عايز أبقى قريّب من اللي بيقراني وبيسمعني، عايز أوْصَلُّه..

فيه ناس كتير بينزعجوا من فكرة الكتابة بالعامية حتى لو كانت مافيهاش فجاجة ولا إسفاف عشان بيشوفوا ان ده بيضر بالفصحى، اللي انا نَفسي أعي تمامًا أهميّة الحفاظ عليها ونقلَها للأجيال

الجديدة حتى لا تندَثِر وتروح مع اللي راح.. بس انا بَشوف ان الاتنين لا يتعارضوا مع بعض أبدًا. ليه فيه ناس عايزين يبقى فيه شكل واحد للكتابة؟ ليه مايبقاش فيه عَشْرة! ليه اللي بيقدر يأثّر في الناس بالفصحى مايكتبش بيها ويستعملها، واللي بيقدر يأثّر في الناس بالعامية بَرضُه يستعملها؟ إيه الداعي لوجود خناقة تنافُسيّة بين الاتنين، ليه مانشوفهُمْش على انّهم بيكمّلوا بعض؟ وبعدين استعمال العامية ده درجات بَرضُه مش حاجة واحدة؛ يعني ما انا مثلًا بَكتِب يمكن تِلْتْ كلامي بالفصحى، بل وبَستعملها في كلامي العادي يمكن بنفس النسبة، بس في نفس الوقت لمّا بَسمَع على الراديو ولّا في الإعلانات كلام زي «الحفلة كانت حلوة آخر حاجة» أو «حلوة طَحن» أو كلام من ده، بَحِس بحاجة مش مظبوطة، مع إنّي مُلتَصِق بالعامية مش بس بَشجّعها. فالمسألة بالنسبالي مسْألة محاولة تحقيق توازن بين الخطاب القريّب لدرجة انُّه بيَسْهُل عليه التأثير في أغلب اللي بيوصلّهم، مع الحفاظ على شكل لائق بالخطاب العام. لكن انا لمّا أقول «فقط» بدل «بس» مش معنى كده انّي أنقذت اللغة العربية، ولا معنى كده اني أكثر ثقافَةً، ولا معنى كده أي حاجة غير ان «فقط» بالنسبالي كلمة أفضل في الموضِع دَه من السياق دَه.. أو أستعمل «بس» عشان بالنسبالي هي كلمة أغنى، واستعمالاتها أكتر، وصوتها نَفسُه أحب إلى نَفْسِي. مافيش خناقة بين الكلمتين، الاتنين بتوعي ومِنْ حَقّي انّي أستعملهُم هُمّ الاتنين.

زائد بَقَه طبعًا ان العامية المصرية بصفتها لُغَتي الأم وبصفتها جزء منّي، بتزُوّدني بأدوات من تعوُّدي على استعمالها، بَفتقِدها جِدًّا لو حُرمت منها (زي ما بيحصَل وانا بَتكَلّم مع خواجات مثلًا)، بَحِس ان

فيه حاجة مهمة ناقصاني؛ كلمات زي: بَقَه، حاجة، بَرضُه، يعني، كده، بتاع «بتاع الفول، والمدرّس بتاع العربي، والبتاع ده، والبتاعة بتاعة كذا، وعايز كده بتاع ايه يعني؟» أعمل ايه من غيرهُم دول!:).. أعمل ايه أنا من غير «لسّه»!.. لسّه شويّة، ولسه مخلّص، لسّه مارُحتِش، ويووووه، لسّه حَعمِل ده كُلّه تاني؟

ألاقي كلمات بقُرب «عادي» و«يعني» دول فين؟ ده الاتنين دول تحديدًا يستحقّوا يتعمل عليهُم دكتوراة، زي بالظبط «حتّى» في «الأيدي الناعمة».. عادي!..

الفكرة تاني، هي ان بَرضُه الموضوع مش خناقة. اللغة في أصلها أداة لنَقل الأفكار، وكُل ما الأداة بقت أقرب لصاحبها، حينقل فكرتُه الخاصة أحسن وأوضح وأقرب.. زي بالظبط ما الفُصحى أداة بَرضُه بتاعتي وبَستَعملها، لكن لكُلّ أداة وقتَها وشُغلَها واستعمالاتها..

اللي خلّاني أذكر الموضوع ده هنا هو طبعًا اللي قالِته حنين في الرسالة بتاعتها؛ في آخر الرسالة قالتلي اللي فهمت منُّه، انّها أوّل مرّة تكتب بالعامية وكَتَبِت بيها وهي بتكلّمني عشان خاطري، عشان وهي بتقرا كتابي ومن قبل كده وهي بتشوفني في التليفزيون حسّت بقُرب العاميّة إلى قلبي، وقررت تخاطبني بخطاب يبقى أقربلي.. إيه الذكاء ده وإيه الإحساس ده.. علمًا بأنّ حنين فلسطينية، عاميتها أصلًا غير عاميّتي، بس جَمَعِت بين العاميّتين عشان تكلّمني بلسان قريّب منّي.. ده بالنسبالي يعني تَفَتُّح وسعة صدر وعدم تعصّب

واهتمام بالمضمون، وهيَ كلّها فضائل أحيي حنين عليها تحية «من تلابيب فؤادي»:)

عن الرسالة ٣ (النفور المُجتمعي)

انا مش عايز اقول حاجة عن الحكاية دي أكتر من إن المُجتَمَع اللي البني آدم بيخاف يفكّر فيه ويخاف يعبّر عن نَفسُه فيه، خوفًا من أن يَنفُر منّه الناس (زي للأسف أغلب أغلب المُجتَمَعات العربية!) هو مُجتمع فاسد ومُتَصَحِّر وعقيم، لو طَلّع زرع حيبقى مُسَرطَن ولو خلّف حيخلّف أطفال مُشوّهين.. ولا ينجو من السرطان والتَشوُّه إلّا مَن يرحَم ربّي.. بس!

عن الرسالة ٤ (قال إيه يُحلّوا دمها!)

أظرف حاجة بَقَه في الحكاية دي انّها سهلة جِدًّا، مافيش أسهل من كده!.. حَد يقول حاجة سواء في الدين أو في أمر مُتعلّق بالدين أو في أمر حد شاف انُّه مُتَعَلّق بالدين. فقُووم إيه؟ فيه حد مايعجبوش الكلام ده، ويشوف بأي طريقة هو عايزها ان ده كُفر والعياذُ بالله. قوووم إيه؟ لو هذا الحد عَندُه أتباع، مُريدين، أنصار، أي ناس من دول، يروح قايِلُّهم ان فلان ده مادام قال كده فدَمُّه حلال، اللي يقتله يبقى عمل طيّب.. طَب ده اسمه كلام؟!.. يعني إيه دمّك حلال؟! هو أصلًا مافيش دم حلال غير دم المُعتدي لو انت بتدافع عن نفسك. جابوا حكاية إهدار الدم دي منين؟ عاش رسول الإسلام في المسلمين واليهود والمشركين ٢٣ سنة، عُمرُه ما أحلّ دم حد، دَخَل مَكّة بأكبر جيش شهدته شبه جزيرة العرب (اللي كان عندها القتل ده أسهل

حاجة في الدُنيا) في أكبر فتوحات دولته وقال لأسراه من الكُفّار والمُشركين اللي وَرّوه ووَرّوا المؤمنين برسالتُه الويل: «اذهبوا فأنتُمُ الطُلقاء».. رسول الإسلام اللي حتّى المنافقين اللي نِزل وحي من السما يَكشِف نفاقهُم وكذبهُم لم يُهدِر دَمَهُم! ازاي ييجي من يدّعي انُّه بيتّبع منهج ودين نفس الرسول ويقول على أي حد: «دمّه حلال، اقتلوه عشان بيقول كلام كافر» منين تِرْكَب دي على دي؟

وعارفين إيه كمان أغرب من كده؟ الأغرب من كده هو مصدر هذا الأمر كُلّه، ان ده مش اختراع حد من المُدافعين عن الدين المُسلمين دول يعني ولا حاجة، أبدًا. مش هُمّ يعني مشاعِرهُم فيّاضة أكتر من العادي، فغيرانين على دينهُم كما لم يَفعَل غيرهُم، أبدًا أبدًا.. كُل أديان الأرض كان دايمًا مِن ضمن مُعتنقيها النوع ده من أنواع بني آدم، نوع عايز يموّت الناس اللي مش عاجبينه بإسم الإله. بس لمّا تيجي الأديان من السما ويصدّقها ويمشي وراها ويتّبِعها، مش كان المفروض البني آدم ده يبص للموضوع من وجهة نظر مُختلفة شويّة؟!

للأسف ماحَصَلش لكل أتباع ديانات السماء كده؛ كان دايمًا فيه من اليهود ومن المسيحيين ومن المسلمين على مرّ القرون من عُمر الديانات التلاتة ولحد النّهارده، مَن يَوَدّون أن يُحرقوا بأيديهم من يختلفون عنهم في العقيدة. ومش بس في العقيدة، بل حتّى أحيانًا في الطريقة، في الأسلوب، في أي حاجة! صحيح الموضوع دلوقتي في مُعظم المشهد بيَظهَر في صورة تَوَتُّر أكتر من أفعال، بس تاريخ الدُنيا مليان قصص مدابِح لا يرتكبها إلّا مُجرمين عديمي الإنسانية،

والأضل سبيلًا انّ كُلُّهُم ارتكبوها بإسم الإله، وهُمّ ماسكين سيف أو أداة تعذيب أو قنبلة بإيد، وبالإيد التانية رافعين رايتُه.

وكُل واحد في دول وغيرهُم من «المُدافعين عَن الرَب»، فاكر نَفسُه هُوّ المُختار، وهُوّ اللي عارِف الحقيقة، وهُوّ حائط الصد للباطل، وهُوّ المُستَبسِل في إحقاق الحَق.. فاكر نَفسه كَلِمَة الله على الأرض، وتصرُّفاتُه وأفكارُه دليل على إنُّه أبعد ما يكون عَن الإله الواسع السَمح الجميل.

وبعدين هُمّ كُل الناس اللي عملوا أو بيعملوا أو عايزين يعملوا كده؛ عايزين يقتلوا من يشكّكون في عقيدته (في مُعظم الأحيان بلا معرفة حقيقية بعقيدته أصلًا) بيدافعوا عن إيه؟ بيدافعوا عن الدين؟ ماذا يُضير الدين إذا كَفَر بيه الناس كُلّهم حتّى، ماذا يضير الدين! بيدافعوا عن إيه؟ هي الأديان دي كُلّها مش من الله؟ مش كُلّها إلى الله؟ بيدافعوا عن رَبّنا يعني؟! هو الإله خالق الكون ده كُلُّه محتاجنا احنا ندافع عَنُّه!

ليه تفتكروا رَبّنا مثلًا جعل عقاب القاتل في الدنيا هو القتل؟ في عيني أنا، عشان يعرف البني آدم ان الحياة تَمنها الحياة لإن مافيش حاجة تانية تُعادل قيمتها أبدًا، عشان لو مش عارف يتعلّم قيمة حياة الناس، يخاف على حياته هُوّ فمايقتلش نفس تانية أبدًا.. لكن «ده كافر اقتلوه» جابوها منين دي؟ كُلُّهم جابوها منين؟

رَبّنا بيقول في القرآن «لا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ» (خلّوا

بالكو مش اللي يضايقك، ومش اللي يقول كلام مش عاجبك، ومش اللي يصدَّق حاجة مختلفة عنّك، ومش اللي يكرهك، و(في هذا السياق) مش حتّى اللي يحاربك عشان أي حاجة تانية «الذين لم يقاتِلوكم في الدين» اللي مش بيحاربنا كراهيةً في ديننا، وعايز يُطردنا من بيوتنا، لا ينهانا الله عَنْه!.. اللي لا يقاتلك أو يعاديك في دينك أو دنياك مش بس تقبله، ده انت كمان تكرمه بالخير وتَعدِل إليه بإحسان.. مش انا اللي بَقول، ده رَبّنا.. بيجيبوا بَقَه الكلام ده منين وبإسم نفس الدين دَه، ونَفس القرآن دَه، ونَفس الإله دَه؟!

دَمّك يا حنين يا غَزّاوية زي دم غيرك، كُلُّه حرام.. ولو كَذِبَ الكاذبون...

«إذا صدر قولٌ من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه ويحتمل الإيمان من وجه واحد حُمِل على الإيمان، ولا يجوزُ حملُهُ على الكفر».

الشيخ الإمام محمد عبده

من كتابه «الإسلام بين العلم والمدنية»

عن ان انا لوحدي مش عايز أبقى مع حد

لو قُدّامك كمبيوتر وعندك انترنت وعندك ١٠ دقايق و٤٠ ثانية فاضيين؛ إتفرّج على الفيديو ده الأول[1] وبعدين اقرا الموضوع التالي. (مقطع من الفيلم الرائع «فوزيّة البرجوازية»)، أو اعمل search على youtube على «برجوازية» عَلَطول، حَيطلَع أوّل واحد.

إنتَ اشتراكي ولّا رأسمالي؟ ليبرالي ولا ديمقراطي ولّا مُحافظ؟ براجماتي ولّا رومانسي ولّا وجودي؟ بتفكّر في الدين! انت معتزلة ولّا إيه؟! علماني واشتراكي وماركسي يعني ملحد، ولا ينفع علماني واشتراكي وماركسي يبقى مؤمن؟ طَب لو واحدة فيهم بس، يبقى إيه؟ طَب انت يَمينِي ولّا يَساري، ولّا بتستعمل إيديك الاتنين؟!

أسامي كتير بتستعملها البشرية في وصف مجموعات البشر المتّحدين في الأفكار. من وانا صغير وانا فيه شيء بيني وبين تلك الأسامي مش عارفُه، أوّل ما كُنت أسمع أي كلمة من دول أروح أسأل

(١) http://www.youtube.com/watch?v=VNUr9ht_O7g

حد عن معناها أو أطلّعها من القاموس أو أدوّر عليها على الإنترنت (لمّا بَقى فيه إنترنت) وبعدين بعد ما اعرف بَقَه قصدُهم إيه، بَرضُه أشعر في نفسي بـحزازة تجاه تلك المسمّيات.. دلوقتي بَقَه أعتقد إني فهمت سبب تلك الحزازة.

الميزة الأساسية في رأيي لتصنيف البني آدمين إلى جماعات (وقد تكون الميزة الوحيدة) هي إن مش كُل واحد يضطر يبدأ من الأوِّل، بل يكمّل على ما بدأُه من سبقوه. فَانا دلوقتي مثلًا واحد مؤمن بحرية الفكر، ماضطرّش بَقَه أعرّف حرية الفكر من الأوِّل وأحطّلها شروط ومبادئ وأهداف وغيره، وبدل كده أروح عَلَطول داخل على جماعة فكرية بتؤمن بحرية الفكر زي الليبراليين مثلًا، واروح قايل «انا زيُّهم ليبرالي» فلمّا أقول كده الناس اللي سامعاني حيفهموا شويّة حاجات بطريقة أوتوماتيكية عن طريقة تفكيري ومُعتَقَدي. كويس كده؟ قولوا كويس. المشكلة بَقَه هي إيه؟ المشكلة إن التصنيف المعتمِد على طريقة التفكير دي بيفترض إن الليبرالية دي (بَرضُه فقط على سبيل المثال) حاجة واحدة، وهكذا بيتم التعامل مع التصنيف ده على إن «كُل» الليبراليين مؤمنين بنفس «كُل» الحاجات وده مش صحيح، أو على الأقل، بَرضُه من وجهة نظري مش مفروض يبقى صحيح.

التصنيف ده ينفع في الكورة! عشان الكورة هي اللي أبيض أو اسود: يا إمّا بتشجع الأهلي يا إمّا بتشجّع الزمالك (مع ملاحظة بَرضُه، انا بَمَارس أهلاويّتي أو زملكاويّتي ازاي هِيَ بَرضُه حاجة مش ثابتة؛ مابفوّتش ماتش في الاستاد، ولّا بَتفرج لمّا أبقى فاضي

ورايق، ولّا بَرْمي طوب، ولّا بَكَسّر العربيات، ولّا بَتفرّج في القهوة، وَلّا مابَصاحِبش حد من «الأعداء»، كُل واحد لُه طريقة)

بس بقية الحاجات بَقَه اللي ليها علاقة بالتصنيف الفكري الأيدولوجي مش ابيض واسود على الإطلاق، مش لازم مثلًا يبقى أي نظام اقتصادي يا إمّا اشتراكي يا إمّا رأسمالي، ممكن يبقى في النُص! وممكن يبقى الاتنين بس يميل ناحية واحدة منهم، وممكن يبقى رأسمالي على طول الخط بيشجّع الاستثمار والتجارة وبيسمح للناس تكسب فلوس كتير وبعدين بياخد منهم ضرايب كتير جِدًّا يصرفها بسخاء على الفقرا؛ ماهو بَقى اشتراكي كمان أهُه! فين الخط الإسوِد التخين جِدًّا الفاصل بين الاتنين؟!

مش معنى مثلًا بَرضُه إن فيه حد ليبرالي مُنحلّ أخلاقيا إن لازم كُل ليبرالي يبقى منحلّ أخلاقيا. مش معنى إن المُحافظين بيتمسّكوا بالقديم وبيميلوا للأرستقراطية إنك شرط تبقى أرستقراطي وتكره أي تغيير عشان تبقى مُحافظ، ممكن تبقى ليبرالي مُحافِظ عادي؛ عايز تحافظ على حاجات تراثية اجتماعية فكرية مما وصل إليه من سبقوك وفي نفس الوقت لا مانِع عندَك لحرية التفكير، ومابترفضش الآخر، وعايز تدّيله حقه في إنُّه يبقى مختلف ومابتحجرش على رأي حد ومابتكرهش الفُقرا وعايز تساعدهم. ما انت بقيت حاجة تالتة أهُه!

علمًا بإنّك لمّا تبص على عالم السياسة النّهارده تلاقي انُّه بدأ على استحياء يكتشف عيوب في طريقة التصنيف بهذا الشَكل، فبدأ يحاول يعالجها مثلًا بزيادة التصنيفات، مابَقاش فيه يَمين ويَسار بس، لأ بَقى

فيه يَمين وسط ويَمين متطرّف ويَسار وسط ويَسار متطرّف، وهكذا..
وانا الحقيقة فاهم احتياج بتوع السياسة واضطرارهُم للتصنيفات، بس
انا مش بتاع سياسة، انا مش مُضطَر!

وممكن جِدًّا تكون من مشاكل التصنيف الأساسية بالنسبالي ان انا
لو مؤمن بمبدأ ما، فَرُحت انضميت لأي جماعة كانت (مؤمنة بالمبدأ
ده) ممكن أتعِدِي منهم، أفكارهم بتبهت عليَّ. لو العدوى دي بحاجة
كويسة أهلًا وسهلًا، لكن المشكلة لمّا العدوى تبقى بالعيوب؛ فلو
مثلًا هُمّ رأيهم أو طريقتهم متطرفة تجاه أي مبدأ أو فكرة بيِعْدوني
بالتطرف ده، في حين ان انا لو لم أنضَم لهُم، كُنت ممكِن ابقى معتدل
ومتوازن ومؤمن بالفكرة دي من عندهم والفكرة دي من عند الناس
التانيين (اللي هُمّ بيعتبِروهم أعداءهم أو منافسيهم أو حتّى الجماعة
المختلفة عنهم).

أنا مصدّق ان في وِسط أكتر الفِرَق تطرفًا في الدنيا فيه ناس
مُعتدلين، وفي وسط أفسد مؤسسات الدنيا فيه ناس شُرفاء، وفي
وسط أشرف مؤسسات الدنيا فيه ناس فاسدين (مش لازم فساد
أخلاقي، ممكن فساد عقلي، ممكن فساد استبدادي دكتاتوري، ماهو
تَحَجُّر العقل مثلًا فساد «انا بَعتَبِرُه كده») ولَكِن تَبقى الحقيقة في
عيني أنا ان أغلب الناس في الدنيا بيميلوا للتسلُّط والتعصّب لرأيهم،
وبيَميلوا لرفض الآخر وبيَميلوا انّهم يقلبوا أي اختلاف لعداوة،
وبيحبّوا بإخلاص بل مُغرمين بفكرة الأهلي والزمالك تِلْك؛ إحنا
وانتو، هُمّ وهُمّ، إحنا وهُمّ وانتو، المهم اننا نتقسّم وخلاص.

وأعتقد بشكل عام بَرضُه إن من أهم عيوب مسألة التصنيف اللي بيؤدي إلى عداوات ده، إنُّه بيِحْرِم أصحابه من الإستفادة من مميزات طُرُق تفكير الفِرَقْ المختلفة وآراءهم؛ فلو السادة الفرقة X عندهم طريقة لحل مُشكلة ما، ممكن جِدًّا ترفضها الفرقة Y، لمجرد انّها فكرة جايّة من عند الناس اللي هُمّ أقنعوا أنفسهم إنهم أعداء ليهم (أقنعوا نفسُهم ان دول الناس التانيين) في حين انهم مُجرّد ناس زيهم بالظبط، بس كُل الموضوع انهم شايفين صورة مختلفة. ومَرْبَط الفرس دايمًا هُوَ: هُوّ انا شايف الصورة دي بس، وماعنديش حتّى استعداد أغيّر فيها حاجة، ولّا عَندي القدرة والشجاعة والحكمة اني أغيّر في تلك الصورة لمّا أحتاج أغيّر فيها، ولمّا يبقى مُخّي مفتوح وروحي سليمة فاقدَر أعمل كده.

ليه لازم الناس تبقى فِرَق بيتخانقوا مع بعض على مين طريقتُه أحسن؟ ممكن يكون عشان البني آدم أصلًا عامل كده، خِلقِته كده. بنظرة غير متفحصة على تاريخ البشرية، تكتشف بسهولة شديدة ميل الإنسان للتعصب؛ لقبيلته، لنَسَبه، لعِرقه، لدينه، لمذهبه، لوطنه، وحتّى لفريق الكورة اللي بيحبّه! لسبب ما يعلمه خالِقُه اتخلق الإنسان بتلك النزعة إلى تكوين الأعداء وذلك التعصب لرأيه ولانتماءاته.. وممكن جِدًّا نقف عند هذا الحَد ونقول هوّ خلقتُه كده يبقى خلاص نسيبُه كده، وممكن نفكّر انُّه كمان في نفس الوقت أناني ونَفْعِي وطمّاع بالفطرة وبالرغم من تلك الطبائع إلّا إنُّه يقدر يهذّبها ويغيّر فيها ويظبّط ملحَها عشان يبقى شخص سَوي يَصْلُح انُّه يعيش في وسط مجتمع، يحبّه الناس اللي حواليه ويرتاحوا في التعامل معاه.

«للحقيقة أوجُه كثيرة» كلمة لو دخلت في قلب البني آدم ممكن يوصل لحالة من التسامح مع الآخر والثقة في نيّته وفي رغبته في النجاح، ويفهم ان كُل الفَرْق اللي بينهم وبين بعض ان تقنياتهم مُختلفة ووجهة نظرهم مختلفة ومصدّقين حاجة مُختلفة، فبالتالي بينتهجوا نهج مختلف وبيمشوا في طريق مُختلف (رغم انّهم ممكن جِدًّا يكونوا عايزين يوصلوا لنفس المكان).

فمن تلك المُنطَلَقات جميعًا، انا بَكرَه التصنيف وبَكرَه العناوين ومش عاوز يتقال عليَّ غير ان اسمي أحمد العسيلي ومؤمن بأفكاري بالرغم من ان كلّها «نظريًا» قابلة للتعديل. ومش عايز أشيل ذنب أفكار حد سواء أعرفه أو ماعرَفوش، ومش عايز آخُد تقدير على حاجة ماعَمَلتَهاش.

جان بول سارتر قال «أنا لست ولا أريد أن أنتمي إلى أي تصنيف، ولكن إن كان ذلك ما تُطلِقون عليه وجودي، فَأنا وجودي».. ده سارتر، أمّا بالنسبالي انا، فلو ده اللي بتسمّوه وجودي فَانتو تسمّوه زي ما تسمّوه وانا بَرضُه مش عايز أسمّي نَفسي غير بإسمي، عايز أبقى لوحدي مش مع حد؛ ليس رغبةً في التفرّد ولا حرصًا على التمَيُّز أبدًا وإنما حُبًّا في الحرية.

ومن الجدير بالذكر في هذا الشأن إنّي بني آدم، والبني آدم شأنُه شأن جميع الخلايق، بييجي الدنيا لوحدُه وبيمشي منها لوحدُه.. لوحدُه...

عن كلام الكلام

الموضوع اللي فات ده خلّاني أفكر كتير في المسافة اللي بين الكلمة وما ترمز إليه الكلمة.. بتبدأ المسافة دي تبان حتى من أوِّل الكَلِمات البسيطة، حَد يقول «كُرسِي» وكُل واحد في اللي بيسمعوه تِجيلُه صوره ذهنية عن الكُرسي كما يعرِفُه؛ واحد يفكّر في كُرسي عرش، واحد يفكّر في كُرسي فَخم وجِلد وكبير، واحد يفكّر في كُرسي بتاع مَيَاتِم، واحد يفكّر في كُرسِي سُلطَة، واحد يفكّر في كُرسي بحر.. كُل واحد حسب كُرسِيه، كُل واحد حَسَب نفسُه.

(فعلًا واللهِ مش قصدي أشتكي، ده يادوب الكتاب التاني!) بس صعوبة مهنة زي الكتابة بتيجي من انّك كُل ما تكتب كلمة بتوصل الكلمة دي لكل واحد بيسمعها أو بيقراها بشكل مختلف. وأصلًا أصلًا أساسًا اللي بيكتب نَفْسُه وهو بيستعمل كلمات كتير بيبقى بيحاول يِوْصَل عن طريق الكَلِمات دي وتركيبها مع بَعض لمفهوم أو معنى؛ رُوحه حَسّاه بس لسانه مش عارف يوصفه. ويفضَل يدوّر يدوّر لحد ما يلاقي طريقة للوصف؛ وأحيانًا تعجبُه الطريقة بعد ما

يلاقيها، وأحيانًا يحِس ماتبقاش كفاية، وأحيانا يفتكر انّها كفاية بس يقراها قارِئها تطلع مش كفاية ولا حاجة! وأحيانًا كمان الكَلِمات اللي بيختارها بتُعلي من شأن أفكارُه وممكن تودّيها لأماكِن هُوّ نَفسه ماكانش ناويها.. كُلُّه مُمكِن.

هُوّ طبعًا مش الكاتب بس اللي بيتَعَرّض للصعوبة دي، بس الكاتب بتبقى الحُفرة دي قَدَرُه أكتر من بقية الناس، لإن كلامه بيُدَوّن ويُؤَرّخ ويفضل شاهد ليه أو عليه إلى الأبَد، زائد كمان ان كلامه ده قد يؤثّر في ناس كتير.. زي الساسة، زي رجال الدين، زي التليفزيون، زي الراديو.

بس بغض النظر عن تأثير الكتابة وغيرها دايمًا كُنت بَشوف إن أصعب حاجة في الدنيا إنّك تقول الكلمة المناسبة. الكلمة المناسبة ممكن تنقذك من مأزق أو تكسّبك فلوس أو وظيفة أو تخلّي حد يحبّك أو يكرهك.. ممكن كلمة تقولها تطلّعك القمر أو تنزّلك تحت سابع أرض، فقط الكلمة المناسبة.. أقول ازاي؟ مش أقول بس لأ، أترجم أفكاري، أترجم روحي لكلام بحروف ازاي؟ أفهّمْهُم قصدي ازاي؟ أخلّي حد مايزعلش وانا بَتكلِّم في موضوع سهل جِدًّا يِزعّله ازاي! أحاول أخلّي حد يقتنع بحاجة هُوّ أصلًا مقتنع بعكسها الصريح ازاي! أخلّيه يفكّر في حاجة هُوّ مُعتَبِرها مُسَلّم بيها ازاي؟! كلّنا بنحاول نجاوب أسئلة من النوع ده كُل يوم مئات المرّات؛ مرّات ننجح ومرّات لأ.. وناس تخبَط راسها في الحيط تدوّر على الكلمة المناسبة، وناس تِدِب في وشك الكلام من غير ثانية واحدة تفكير.

وماتنسوش ان صعوبة المسألة مش بس انّك تلاقي الكلمة المناسبة، لسّه! لسّه تتسمع الكلمة المناسبة بالطريقة المناسبة، بالنيّة المناسبة، في الظرف المناسب، في التوقيت المناسب، فتؤدّي إلى التأثير اللي انت شايفه مُناسب، ويكون فعلًا مُناسِب!

كمان طبيعة اللي انت بتحاول تشرحُه عامِل مؤثّر جِدًّا؛ لمّا تقول «ممكن شاي لو سمحت» سهلة.. لكن لمّا تقول «حاسس ان روحي متقطّعة حِتَت» مش سهلة.. اللي بيسمع بَقى عليه شُغل أكتر من اللي بيقول، في الحالة دي لازم يتخيّل؛ لازم ياخد الكلام من وِدنه يودّيه على روحه ويحاول يعرف منها الروح المتقطّعة حتت دي تبقى عاملة ازاي. وبعدين لو ردّت عليه روحُه وادّتله اجابة، اللهُ أعلَم الإجابة دي فعلًا شَبَه اللي كُنت بتحاول توصفه ولّا لأ!

طبعًا مسألة قُصُور اللغة دي مُعتمدة بشكل كبير على قوّة اللغة أو ضعفها عند المتكلِّم أو الكاتب، بس بغض النظر عن درجة التمكّن من اللُغَة، بتَبْقَى الأفكار والمفاهيم دايمًا أعقد من اللُغة، عشان كده بيَسهُل انّها تستعصي عليها.. والغريب ان بالرغم من كده، إلّا إن الأفكار ماتستغناش عن اللُغة؛ ممكن صحيح لوحة أو مشهد أو صورة أو تمثال أو حتّة مزّيكا تعبّر عن فكرة، بس مافيش طريقة تقدر توصّل فكرة وتشرحها وتحلّلها بمهارة اللُغة وامكانيّاتها.. يعني على قد ما ممكن اللُغة تكتّف فكرة وتخنقها إلّا إن علاقتهم زي الجواز المتأزِّم اللي بلا مخرَج ولا حَل، لازم يفضلوا متجوّزين؛ من غير اللُغة حَتفضل الأفكار محبوسة مش قادرة تطلَع بكامل رونَقها للنور، ومن غير الأفكار حَتِبقى اللغة فاضية وتافهة ومالهاش معنى.

وبعد مشكلة العلاقة غير السَوِيّة دي، نيجي للمشكلة المؤدّية إلى أزمة العَنوَنَة نَفسَها؛ السبب ورا ان الناس عايزة تَصِف كُل واحد بصفة غالبًا عشان يِخْلَصوا؛ أوِّل ما يحطّوا عليك يافطة يبقى كده حيعرفوا يتعاملوا معاك، حيعرفوا يمسكوك، (حتّى لو كُنت مش عايز تتمسك) زي ما سارتر عمل كده، قالولُه لو انت مش عايز تتمِسك يبقى انت من اللي مش عايزين يتمِسكوا وحتّى دول بنلاقيلهُم مَسكَة بَرضُه، عندنا ليهُم يافطة! بنسمّيهُم «وجوديين» واستسلم سارتر وقال «خلاص انا وجودي»، ولو سارتر نفسه استسلم ليافطة زي دي، أُمّال بقية الناس قد إيه بيستسلموا لليُفَط والعناوين والمسمَّيات!

وبعدين الفكرة المرعبة بالنسبالي بَرضُه هِيَ: هُمّ الناس دول أيًّا كانوا، كانوا عمّالين يفرضوا على سارتر انُّه يعلّق يافطة على نفسُه ليه؟ لو انا مهتم انِّي أفهم حد فعلًا واشرب أفكاره فعلًا عشان اتفَاعَل معاها فعلًا، (أو حتّى لو حَرْمِي كلامُه في البَحر) في إيه تهِمِّني الأسامي؟ أقصُد إن المشكلة مش في الرغبة في التسمية والعَنْوَنة قد ما هِيّ في النيّة من وراهُم، وكمان طبعًا في النتيجَة اللي بيُؤَدُّوا إليها.

اللي بيسمع حد من برّة بس وهُوّ من جُوّة بيفكّر في عنوان ليه مش سامعُه. ماعتَقِدش ان ممكن الواحد يعرَف يسمع حد فعلًا ويدخّله على روحه فعلًا من غير ما يستسلملُه (لحظيًا بس طبعًا)، لازم تستسلم للفكرة عشان تعرف تشربها، طول ما انت بتراقبها مش حتوصلَّك أبدًا. أو على الأقل مش حتوصلَّك أبدًا كما أراد صاحبها انّها توصلّك.

كراهيَةً في اليُفَط والعناوين ودعوةً للحَرب عليها؛ أنا شخصيًّا

أُعاهِد نَفسي قُدّامكو، انّي حَسمَع كُل حاجة تُلقَى على مسامعي بأذُن مفتوحة وبذهن مفتوح أكتر وبلا رغبة (قدر المُستطاع!) في إصدار أحْكام أو تعليق يُفَط..

حَرفُض أفكار طبعًا واقاومها زي الغَزو، ولسَوفَ أتبنّى أفكارًا أُخرى طَبعًا وأذود عنها دِفاعًا بكُلِّ غالٍ ونَفيس.. بس كمان شِعاري دايمًا حيِبْقى:

كُل «ما أعتقِد إنُّه» صَواب، هُوَ صَواب يحتمل الخطأ،

وكُل «ما أعتقِد إنُّه» خطأ، هُوَ خطأ يحتمل الصواب..

عن توارد الخواطر

كثيرًا ما بيبعتولي قُرّاء أو مستمعين أو مشاهدين من حضراتكو يقولولي انهم حاسّين إني كتبت أو اتكلّمت عن نفس الأفكار اللي بتدور في أذهانهم. بيقولوا ناس كتير انّهم فكّروا في نفس الأفكار المطروحة دي بشكل متطابق أحيانا وغير متطابق أحيانا أخرى. عدد كبير جِدًّا من قرّاء الكتاب بالذات قالولي انهم قبل ما يقروه كانوا فكّروا في أغلب مواضيعه، ومع ذلك حتى الناس اللي كانوا فكّروا قبل كده في كتير من الأفكار موضوع الحديث، قالوا انّهم كانوا بيتبسطوا لمّا يقروا الكتاب؛ في رأيي انا لإنُّه خلّاهُم يحسّوا إن فيه حد اتكلّم عنهم، بَدالهم، وعلى الملأ. والأهم يمكن إن ده حسّسهم إنهم مش لوحدهم، إنهم جزء من جماعة مش وحدانيين في الدنيا الكبيرة الواسعة اللي تلخبط أتخن تخين دي. حتّى لو كانت الجماعة مالهاش اسم، وحتى لو كانوا أعضاءها مايعرفوش بعض.

الحكاية دي خلِّتني أفكر كتير في مسألة توارد الخواطر.. إزاي الناس بيجيلهُم نفس الأفكار؟ هُوّ مبدئيا قبل ما نحاول نجاوب

السؤال ده، لازم نفتِكِر ان الناس المُختَلفين عن بَعض دول كُلُّهُم لسّه بينهُم تشابُه كبير؛ في الطبيعة، في الفِطرة.. هُمَّ نَفس الكائن، نفس الفصيلة، نفس البني آدم.. وبتغيَّر ظروفهم فيهم حاجات، بس بتِفضل الفطرة والأصل واحد.

ممكن يكون توارد الأفكار بيِحصَل لإن الظروف اللي الناس عايشينها لمّا تكون متشابهة هي اللي بتفرض نوع الأفكار اللي بتجيلهُم، على مستوى قريّب أوّلًا، زي مثلًا ان الناس في مصر النّهارده بيفكروا في قضايا مين حيحكم مصر بعد الريس! الديمقراطية، حقوق البني آدم، الفساد، أزمة المرور إلخ إلخ.. أو على مستوى أبعد وأوسع بتاع إن الناس في العالم النّهارده بيفكّروا في الزيادة السكانية وأزمة الغذاء وأزمة الطاقة والأزمة الاقتصادية والاحتباس الحراري ومستقبل الكوكب والخ إلخ بَرضُه. الظروف المُحيطة دي كُلّها بتخلّي الأفكار تتولد من نفس الرحم وبالتالي بتَتَشابَه.

وعلى مستوى أعمق، الطبيعة اللي أصلًا متشابهة ومعاها الظروف المتشابهة كمان بتَدْفع بالأفكار إلى طرق معيّنة. ويمكن يكون ده السبب في توارد الخواطر اللي بيحصل بيني وبين من يقرأوني أو يسمعوني (على سبيل المثال بس طبعًا).. القصص اللي بنسمعها كُل يوم فيها كتير إحباط وظُلم وعَدم تَحقّق وقَهر وسرقة وفساد وقُبح وحاجات بايخَة جِدًّا، فبيرجع واحد زيّي «مثلًا» يستقي أفكاره من الحق والخير والجمال «مثلًا».. ويقروها اللي منكو بيَبتغوا نفس السبيل، ولمّا يلاقوا الوحدة دي في الأفكار بيجيلهم احساس

انّهم مش لوحدهم، ومش مجانين ومش مفصولين عن الواقع وماعندُهُمش مشكلة بشكل عام يعني.

تأثير الظروف اللي بيعيش فيها المُجتمع على الناس اللي عايشين تحت وطأة تلك الظروف تأثير عظيم الشأن بيمتد إلى أبعد وأعمق ما بِيبْان عليه من بَرّه. أغلب الناس بيفتكروا ان أفكارهُم بتاعتهم وان قناعاتهم هُمّ اللي بنوها بأنفُسهم. بس في رأيي، الحقيقة هي ان أغلب اللي في دماغ أغلب الناس هي أفكار بتُفْرَض عليهم فرضًا من ظروفهم المُحيطة، ومن غير ما يحسّوا ولا يعرفوا. وفي الغالِب ده من أسباب توارد الخواطر، لإن الواقع الواحد بتفاصيله كلّها بيعمل بشكل عام تأثير واحد على ناس كتير فمُنتَج أفكارهم بيتَشَابه (مع اختلاف دَرجات التشابُه طبعًا).

توارد الخواطر كمان ممكن التفكير فيه بالنظر إلى مسائل عمليّة أكتر؛ ممكن نعتقد مثلًا إن أينشتاين ماكانش أوّل واحد يفكّر في النسبيّة، ولا كان آخر واحد (مِمّن لم يقرأوا أينشتاين ولم يسمعوا عَنُّه، سواءً عاشوا قبلُه أو بَعدُه). أكيد فيه ناس جالهم نفس الفكرة.. لمّا اخترع الاسكتلندي Graham Bell التليفون، كان فيه اتنين علماء تانيين بيشتغلوا على نفس الفكرة في نفس الوقت: الأمريكي Elisha Gray والإيطالي Antonio Meucci بَل وفيه روايات بتقول إنهم توصّلوا لاختراع التليفون قبل ما يعمله Bell في ١٨٧٦، بس هُوّ كان يمكن محظوظ أكتر منهم.. ده غير علماء تانيين كتير من ضمنهم إديسون كانوا عملوا قبل التاريخ ده تجارب كتير مهمة في نقل الصوت عبر الأسلاك.

المقصود هو ان بَرضُه الفكرة ماجاتش لواحد بس، لأ جَت لناس كتير (أكيد أكتر من التلاتة اللي قدروا يشتغلوا عليها).. ومش واحد بس حتّى اللي قِدِر ينفّذها، لأ بَرضُه كذا واحد (بس ظروفهُم المُحيطة كانت مُتشابهة، مافيش حد منهُم نيجيري مثلًا!).

والتفكير في كُل ما سبق رسم صورة كده في راسي عن إن المعرفة بأنواعها الكتير موجودة دايمًا، طول عمر الزمن وهيّ موجودة. مع بدء الخلق من ملايين السنين موجودة؛ والعقل والإدراك اللي بيقدروا يمتدّوا عشان يوصلولها هُمّ اللي بيوصلولها، وبَرضُه بدرجات متفاوتة طبعًا. وعشان كده توارد الأفكار بيحصل، عشان كده أفكار البني آدم في كُل ثقافات الدنيا القديمة (اللي ماكانش فيها اتصالات) كانت دايمًا متقاربة؛ مثلًا فكرة الآلهة اللي كُل واحد فيهم مسئول عن حاجة مهمّة في حياته: إله للزرع وإله للحرب وإله للحب إلخ إلخ، فكرة تقديس الموت، العلاقات الاجتماعية.. كان دايمًا على مَرّ تاريخ البشرية فيه تشابُه كبير بين طريقة تفكير البني آدمين اللي عايشين على بُعد قارّات ومحيطات من بعض، بَرضُه لإنُّه نفس البني آدم؛ بيستمدّ أفكاره من نفس الحياة، سواءً كانت أفكار تخُص العِلم أو الدّين أو الإجتماع. بيستَقِيها كُلّها من نَفس المَصدر الواحِد، لكنّها كانت دايمًا موجودة في مكان ما، البني آدم كما أراه مابيِخلَقش حاجة (بالمعنى العميق للكِلمة)، بيوصلّها بس، بياخُدها من مصدَرها، بيَكتشِفها.

الموضوع ممكن شرحُه بشكل مختلف بمقارنتُه بحاجات ماديّة كمان؛ مادة الحديد مثلًا، موجودة على الأرض من ساعة ما اتخلقت

الأرض (وقبل ما يعيش عليها الإنسان بكتير).. بس طول الوقت ده ماكانش البني آدم جاهز للحديد. وبعدين جه عليه وقت بَقى مُستعد انُّه يطلّعه ويتعلّم يشكّله ويعمل منُّه أدوات وأسلحة وغيره، بس الحديد كان دايمًا موجود.. والبترول شرحُه والغاز شرحُه والطاقة الشمسيّة والنوويّة شرحُه، وكُلّه شرحُه.

وحتى الاختراعات المهمّة نفسها إحساسي بيها انّها كانت حتمية الحدوث بالرّغم من إن البني آدم اللي عَمَلها بنَفسُه: مِن أوّل العمارة، للأسانسير بتاع العمارة، للمَدْفَع، للدبّابة، للتليفون، حتّى القنبلة النووية نفسها كانت دايمًا موجودة.. موجودة ببساطة لإنها تِنفَع؛ نواة الذرة المُكَوّنة لكل الاشياء قادرة (من أوّل ما اتخلقت الدنيا) على إنّها تولِّد حجم الطاقة المرعِب ده؛ لمّا يتعلم البني آدم ازاي يطلّعها، لمّا يحتاج يطلّعها، لمّا يكتَشِف المواد المُشِعّة في الطبيعة، لمّا يبقى جاهِز. ورغبة البني آدم في المنافسة مع أقرانُه والتفوّق عليهم وسَحقُهم إن أمكن، بَرضُه موجودة من يوم ما اتخلق. والنوع ده من بني آدم اللي ماعندوش مانع يموّت آلاف الناس بِبومبة يرميها عليهم، بَرضُه موجود من أوّل ما اتخلق البني آدم. وأخيرًا وليس آخرًا، مُخ البني آدم اللي يقدر يوصل لِمَا يُمكّنه من إنُّه يعمل القنبلة النووية بَرضُه موجود، كُلُّه موجود من الأول، وفقط عندما يَحين وقتُه (على إيد ناس قادرين على التعامل معاه) بيُخرُج للنور.

وفكرة ان العلم موجود دائمًا، ارتبطت في ذهني بالإله الموجود دائمًا: هُوَ الخالق وهُوَ الأول، بس يُنكره بعض الناس، ويبحث عَنُّه

بعض الناس، ويعرفه بعض الناس، ويعبُده بعض الناس، ويتصوّفوا في حُبُّه بعض الناس، ويتاجروا بأديانه بعض الناس، وهو ثابت. كُل بني آدم حسب هو عامل ازاي وشايف إيه بيوصل لأي محطة من دول أو غيرهُم.. ويَكُف بعض الناس عن المحاولة بعد الوصول لأوِّل محطة ويُكْمِل آخرون الرحلة عشان عايزين يوصلوا لمحطّات أبعد، ويَبْقى الله ثابت وأبَدي مش مُتَغيّر، ومع ذلِك بيشوفوه الناس بطُرُق كتير مُختَلِفَة ومُتَغَيِّرَة!

ولو المنطق اللي جابنا لحد هنا سليم ممكن نَتْبَعُه (لو عايزين يعني:) لحد ما ياخدنا لفكرة إن المعرفة دائمًا وأبدًا موجودة لإن المعرفة هي آية من آيات الله لأنّها مِنْه، وهو دائم، ولأن الله هو الوحيد العارف العليم.. ونلاقي مثلًا في القرآن في آية الكرسي «لا يُحيطون بشيءٍ من عِلمِهِ إلّا بِما شاء»، «عِلْمِه» لإن العلم كُلُّه من الله. بس احنا مش حنوصل لكُل العلم، حنوصل لـ «شيء من العلم»، ومش حَنِقدَر نوصَل لدرجة العلم دي أو تِلكْ إلّا بمشيئته.. فكإن المعرفة عند الإله، والأفكار عند الإله، مقفول عليها لا يمكن للإنسان انُّه يوصلّها، لحد ما يقرّر الإله، فيتفتح الباب اللي ممكن يدخل منُّه البني آدم، ياخد اللي يقدر عليه دلوقتي، ويتقفل الباب تاني لحد ما يتفتح تاني لحَد تاني في ظروف تانية ياخد حاجات تانية يعمل بيها حاجات تانية.. لحَد ما تَكتَمِل الصورة، لحَد ما يوصَل ذلك الكائن المغرور اللي فاكر نَفسُه بيَمتَلِك الدُنيا إلى مصيرُه.

وممكن يكون ده اللي بيحِلّ معضلة شخصية عندي وبيفسّر توقيت

اكتشافات البني آدم المهمة كلّها؛ يعني يِبقى فيه مثلًا كهربا على الأرض من أوّل ما اتخلقت الأرض، بس مايقدرش البني آدم يوصل لاكتشافها إلّا لمّا يحين الوقت لاكتشافها.. وإلا إزاي الانسان «الحديث» يعيش بالميّت خالص كده ٢٠,٠٠٠ سنة بيستعمل النار والحصان والجمل والمركب والعجلة الحربية وبعدين في مِية سنة بس يروّض الكهربا، ويعمل موتور بخار، وبعدين موتور وَقود، وتليفون، وعربية، وصاروخ، وقمر صناعي، وذكاء صناعي، وغوّاصة نوويّة ممكن تُقعُد شهور طويلة تحت المَيّة، وإنترنت، ويعمل كُل اللي انتو شايفينُه حواليكو ده!

ولِسّه طبعًا ممكن يكون مافيش شِبّاك للمعرفة بيفتحه الإله للإنسان وقتَما يشاء ولا حاجة، ويكون اللي بيتحكَّم في التوقيتات دي هو ان العلوم كلها تراكُمية وبتيجي عليها لحظة توصل لنتايج، وبعد شويّة بتتراكم محاولات جديدة ومعارف جديدة وتوصل لمحطة تانية في مرحلة تانية وهكذا. المسألة مُحيّرة، بس انا شخصيًّا بَمِيل للاختيار الأول على خلفية انّي مستكتَر ان كُل الفرق ده ممكن يحصل في الوقت القصيّر جِدًّا ده، بعد الوقت الطويل جِدًّا ده، من غير قرار.

زائد ان الأهميّة المُذهِلة لاختراعات معيّنة زي اللّمبة والتلّاجة والعربيّة والتلغراف والتليفون ومئات غيرهُم بيحسّسوني انهم كانوا مُستحيل مايحصَلوش؛ التأثير العظيم لكل واحد فيهم على الدنيا وازّاي غيّرها إلى الأبد هو تأثير في عيني ما كان ممكن حدوثُه أبدًا، من غير ما تبقى التَغييرات دي جُزء من خطة خالِق الدُنيا اللي كُلّهم أثروا فيها بالشكل الكبير ده (حتّى وإن كان التأثير ده تأثير سلبي أحيانًا).

ماشية البَشرية تجاه قَدَرها بخُطى وئيدة ومدروسة ومُحكَمَة واكيد أكيد معلومة سابِقًا..

ماكانش مُمكِن مانبنيش مُدُن عملاقة وماكانش مُمكِن مانُخرُمش الأوزون وماكانش مُمكِن حوالي نُص سُكّان العالم مايِبقوش فُقرا فقر مُدقِع؛ بما إن تعداد سُكّان الكوكب وصل النّهارده حوالي ٦ مليار و٩٠٠ مليون نَسَمة! (سنة ١٨٠٤ كانوا واحد مليار، (١٩٢٧) ٢ مليار، (١٩٦٠) ٣ مليار، (١٩٧٤) ٤ مليار، (١٩٨٧) خمسة مليار، وفي ٢٠١١ حَنبقى ٧ مليار وفي ٢٠٢٥ حَنبقى ٨ مليار)[1].

أوّل ما عَدد البَشر وصل لنُقطَة مُعيّنة، زاد في قرنين من الزمان تَمَن أضعاف ما زادُه في عُمر الإنسان على كَوكَب الأرض.. وكأنّها كُلّها خطوات مُتّجِهة إلى المصير، جزء من خطة.. وبتَتَضمّن الخِطّة كما أتَصَوّر فتح شبابيك المَعرِفة للبني آدم كُل حين.. لمساعدتُه في الوصول إلى مَصيرُه.

وهنا فيه سؤال أعتقد فعلًا ان هُوّ اللي بيَطرَح نَفسُه بنَفسُه: طَيّب لو العلم كُلّه، بكل تفاصيله وبكل ما يصل إليه، من عند الله فعلًا، ازاي بيفتح رَبّنا باب العلم والمعرفة لكثيرين مِمّن يكفرون بيه أصلًا؟! ماعنديش إجابة قاطعة طبعًا، بس المنطقي بالنسبالي ان ده بيحصل عشان «هذه نقرة وهذه نقرة»؛ لو بني آدم اللي بيملُك مفاتِح العلم والمعرفة كان غالبًا حيفكّر كِده فعلًا: «إزاي أدّي من عِلمي لِمَن يُنكرني؟».. بس الله مختلف، الله مش زي البني آدم. الله بيدّي

---

(١) http://en.wikipedia.org/wiki/World_population

الأجر من جِنس العَمَل، وعلى قَدْر المشقّة. الإيمان والكُفر منطقي جِدًّا بالنسبالي إنهم يستحقوا الإثابة والعقاب، بس الدنيا اللي خالقها نفس الإله صاحب مفاتيح العلم والمعرفة، فيها كمان قواعد تانية: من زرع حصد، من جَدّ وجد؛ مش المؤمن اللي زرع وحصد لأ، اللي جاهز وعايز يوصل ومستعد يدفع تمن الوصول حيوصل (لو كان ظرفه مهيَّأ للوصول). مش شرط خالص عشان مؤمن، أكَمْ من بني آدمين كَفَرة بالله أصلًا بس عندهم مواهب ووصلوا العلم وأفكار واكتشافات وقِدروا يعملوا حاجات عظيمة في الدُنيا، مما يوضّح إن الفيصل في النَجاح هو الرغبة والإخلاص والقدرة مش الإيمان من عَدَمُه، بالرغم من ان المعرفة (انا مصدّق انّها) مصدرها كلّها نفس الإله، اللي بيَكْفُر بيه بعض من ينهلوا من علمه، لأن الله هو العدل، والعدل بيدّي اللي يتعب ومابيدّيش اللي مابيتعَبش..

(انا عارف ان الموضوع ده مشي مشوار طويل، بس قُلت أخلّيه يروح مكان ماهو عايز، وخلاص شَكلُه وصل).

عنِ الحِمارِ الذي يحمِلُ أسفارًا

على ذِكر الآلهة، عندي الأول تصوُّر (غير مُثبَتَ على الإطلاق) عن ميلاد فكرة الآلهة في الدُنيا أحب أشارككو فيه:

لحد إخناتون، كُل الديانات القديمة ما قَبلَ ديانات السماء اشتركوا في فكرة واحدة أساسية حكمت طريقة تفكيرهم، فكرة الآلهة المُتعددة (حتّى لو كانوا مؤمنين بإله واحد خالق للكون في الأصل)، عَبَد الإنسان إله مُتخصص في كُل شأن من شئون الحياة، وأعتقد انُّه احتاج يعمل كده لإنّه لقى حاجة مُحيّرة جِدًّا بتحصلّه دايمًا، وحلّ طلسمها باختراع فكرة الآلهة المُتَعدّدة؛ لقى مثلًا ان السنة دي الزرع كان ممتاز، والغلّة كتير والأكل كتير والخَزين كتير وكُلُّه كُلُّه تمام، وبعدين في نفس الوقت يروح جاي جيش مُغير يسحَق دفاعاتُه ويقضي على جيشُه ويَسبِي نِساءه وياخد في طريقُه الأخضر واليابس.. أو يجيلُه طاعون يموّت نُص الناس، أو طوفان يدمّر كُل حاجة في وشُّه.. «الله! ده أكيد مش نفس الإله المسئول عن الزرع هو نفس الإله المسئول عن الحرب وعن الطبيعة! ده كان

راضي عنّا ودول ماكانوش!».. هكذا أعتقد فَكّر البني آدم. فراح عامل إله للزرع وإله للبيوت وإله للمَرَح وإله للجمال وإله للمَطر وإله للحرب وإله للخصوبة وإله لكل جانب مهم من جوانب حياتُه، وبدأ يتعبّد لكل الآلهة (كلّ واحد حسب أولويّاتُه) آملًا أن يُرضيهِم جميعًا، فيَرضى.

للدرجة دي بيأثّر الظَرف اللي عايش فيه البني آدم في طريقة تَفكيرُه، للدرجة دي الحاجات اللي «بيتَصَوّر» البني آدم انُّه يعرفها بتبدأ تتحوّل إلى حقائق بيبني فوقها وحواليها...

اللي فات ده كان مُقدّمة الموضوع.. تعالوا نروح للموضوع.

حاجة طبيعية جِدًّا أعتقد إن الشعوب اللي عايشة حياة شاقّة بيزيد تديّنها، بشكل أوتوماتيكي كده؛ كُل ما ظَرف الحياة بَقى أصعب كُل ما البني آدم بيدوّر على الإله عشان يستعين بيه ويستمد منُّه قُوة تساعده في شقاؤه. وأعتقد إن هنا في مصر خلال السنين التلاتين الأخيرة وبشكل تَصاعُدي جِدًّا (باين حتّى للعين المُجَرّدَة) حصل حاجة مختلفة كمان؛ بقينا مش بندوّر عالإله، بقينا بندوّر على الآخرة، والفرق طبعًا كبير؛ البحث عن الإله رحلة فلسفية وجودية إنسانية الغرض منها هو ان بَعدها توصل لنوع من أنواع التواصل مع إلهك، يظهر عليك في إنّك تتحول إلى بني آدم من نوع أفضل؛ بني آدم مُتّصل بالإله، بيعبُدُه عشان بيحبّه، عشان عارف قَدرُه، عشان مؤمن بيه.. في حين إن البني آدم اللي بيتَعبّد عشان مُقتنع ان شُغلِتُه في الدنيا انُّه «يِأمّن نَفسُه» في الآخرة، بالنسبالي أنا واضح جِدًّا انُّه عايز الآخرة

ليس حُبًا في الإله ولكن طمعًا في الجنة (بدل النار اللي هو عايش فيها دلوقتي!)».. هُوّ ده مش عيب يعني ولا حاجة، أولًا لإن الفكرة دي مش من اختراع البني آدم، بل الأديان نَفسَها اللي قَدِّمِتها. وثانيًا لإن البني آدم مخلوق كِده فعلًا، عايز مَصلَحتُه.. بس المسألة بالنسبالي انّي شايف ان دَه مفهوم يَصلُح للعامّة، للبُسطاء، اللي مايقدَروش يشوفوا أبعَد من كدَه، مش عشان يبقى أقصى الأمل والطُموح!.. لو يقدر البني آدم يشوف أبعد من كِده في رأيي انا واجِب عليه يروح للأبعَد، أو على الأقَل خالِص، يحاول بس..

الفوز بالجَنة أو النجاة من النار أغراض شرعية جِدًّا، لكن بَرضُه ازّاي يبقى «أحسن» ما يَقدِر عليه البني آدم «شخصيًّا» ان نِيّته من ورا توجُّهه للإله يبقى غرضها نفسُه مش الإله!

كُل حاجة في الدُنيا أنواع حسب النية والغرض من وراهُم؛ أعتقد ان مش منطقي مثلًا ان صلاتي أنا تبقى زي صلاة واحد بيِدْعي ان ابنه العيّان بمرض خطير مايموتش، وتبقى صلاتنا احنا الاتنين زي صلاة اللي بيصلّي عشان يطلُب من رَبّنا مليون جنيه، ويبقوا كُل دول زي صلاة الزاهد في الدنيا ليس طمعًا في الآخرة بل تصوُّفًا في حبِّ الله.. بالرغم من ان كُلُّهم صلاة، وبالرَغم من اننا ماعندناش القُدرة على تقييمهُم، إلّا إن مش معقول يبقوا زي بعض لإن ببساطة الدوافع من وراهُم مختلفة جِدًّا.. وبالنسبالي انا ارتباط النية والدافع، بجودة النتيجة ونوعها وقيمتها الحقيقية، مسألة حتميّة للغاية.

وبالنسبالي كمان لا أعتقد انُّه من المُمكن الوصول لنور الإله

بالنظر لمصلحتك مُمَثّلة في إنك عايز تروح الجنة أو خايف تروح النار. ممكن تَتَعَبّد طول عُمرَك لو عايز، ممكن تستسلم تمامًا للدّين ولتفاصيلُه وتعاليمُه، وممكن استسلامَك ده يدخّلك الجَنّة فعلًا وممكن ماتروحش النار فعلًا، كُلُّه بأمرُه.. لكن مش ممكن توصل للنور طول ما انت باصص على نَفسَك.. مش ممكن تشوف الصورة الكبيرة طول ما انت محبوس في التفاصيل الصُغيّرة.. الدين مليان تفاصيل صحيح، بس في تصوُّري مش عشان نتحِبس فيها، بل عشان بالنَظَر إلى كُل تلك التفاصيل الدقيقة، نتعلّم طريقة تفكير؛ نتعلّم كيف يرى الدين الأشياء. ولمّا نذاكر الدّين اللي ربّنا أنزَلُه، ونَتّبِعُه لمّا نصدّقُه، بس كمان نتأمَّلُه جنبًا إلى جَنب مع الدُّنيا اللي ربّنا خلَقها، حنقدر ساعتها نحاول نعرف ربِّنا فعلًا..

الدّين مش هَدَف، الدّين وسيلة للوصول إلى الله..

وترجمة الكلام اللي فات دَه «المعكوسة» هو اللي بيحصل حوالينا من تفريغ الدين من مضمونُه الحقيقي وتحويلُه إلى كُل هذا الاهتمام بتجميع الحَسَنات؛ الموضوع الدِّيني الرَّوحاني الباحِث عن الإله، تَحوَّل إلى موضوع مادِّي جِدًّا. بكام؟ كُل حاجة بقت مادِيَّة فيما يخُص الدِّين اللي أصلًا أكبر أهدافُه أن يَرقى بالروح!.. أوَلَا تَرَوْن المُفارقة الغريبة؟.. كُل ما هو مادّي بيَطفو على السَطح وبيتَوَسَّط المَشهد بكبرياء وفخر، وكُلّ ما هُوَ رَوحاني ربّاني إنساني بيُنَحّى جانِبا وتَدوسُه الأقدام الغافِلَة عَنْه.. عشان كده الحجاب بَقى مُقدّس والأخلاق مابَقِتش، عشان كده بَقى أهم إنّك تلزق رجلك في رجل اللي بيصلي جنبك عن إتقانك لشُغلك، عشان كده الضمير

بَقى بيستبيح الرشوة ومع ذلك ممكن مايسمحش لصاحبه انُّه يفوّت فرض، عشان كده الخمرة هِيَ أكبر كبائر الذنوب لكن التكاسل والسَلبية والأنانية من صغائرها، وعشان كده سلامو عليكُو بقت تبدو وكأنّها أهم أركان الإسلام بس ماحَدّش بيفَكّر يعني ايه فضيلة.. وعشان كده اللي يسمع كلامنا يمكن يصدّقنا لكن لو بَصِّلنا كويس أكيد أكيد حَيَتَعَجّبْ.

احنا بلد حوالي نص سُكّانه عايشين تحت خط الفقر والنسبة الأكبر من الباقيين يادوب بيرقصوا عليه، ومع ذلك تلاقي مثلًا اننا أكتر ناس في العالم الإسلامي كُلُّه بيصرفوا فلوس على الحج والعمرة.. أرجوكو ماحَدِّش يقولّي ان مافيش تناقض مخيف بين الصورتين دول!؛ ناس مش لاقية تاكل وناس عايشين ١٠ في أوضة وناس بتبيع كليتها عشان يبدأوا حياتهم، وجنب كُل دول ناس كتير جِدًّا بيصرفوا فلوس مهولة كُل سنة «على نفسُهم» وهُمّ فاكرين انّهم بيضمنوا بيها الجَنّة!.. فيه دراسة نشرتها الأهرام[١] في ٢٧/ ١١/ ٢٠٠٩ قالت ان المصريين في سنة ٢٠٠٨، أنفقوا ١٥ مليار جنيه مصري على الحِج والعُمرة، منهم ١١ مليار جنيه أنفقها الواحد ونص مليون مُعتَمِر! وده في سنة واحدة بس! يعني فاتورة العُمرة «التقديرية» في عَشَر سنين فقط، تزيد على ١١٠ مليار جنيه، ١١٠ ألف مليون جنيه!.. وزيد على دول فاتورة الناس الكتير اللي بيحجّوا مرارًا وتكرارًا كُل سنة، كُل سنة، كُل سنة.. اللي انا شِبه متأكّد انّنا البلد الوحيد في العالم

(١) http://www.ahram.org.eg/Archive/2009/11/27/INVE7.HTM

الإسلامي اللي عندُه كُل هذا العدد من الناس بيعملوا كِده.. بيطَلّعوا كمان فلوس كتير للخير؟ غالبًا، بل أكيد.. لكن ماهُم ممكن يطلَّعوا أكتر بكتير جِدًّا، ممكن يِطَلَّعوا أكتر بعَلى الأقل خالص: ١٢ مليار جنيه في السنة! (احنا مالغيناش الحِج على فكرة، الحِسبة دي متساب فيها ٣ مليار جنيه للّي ماحَجِّش قبل كِده يتفضّل يحِج!)[1]..

هو رَبّنا عايزنا نخلِّي بالنا من نفسنا بس ولّا عايزنا نخلِّي بالنا من بعض؟! هو الحج المتكرّر أو العُمرة اللي مش مفروضة عليك يضمنولك الجنّة أكتر من انّك تِصرف على تعليم أطفال فُقَرا، ولّا تربّي أيتام، ولّا تِعمل مصنع خيري تشغّل فيه ناس، ولّا تبني بيت لناس بيتهم وقع ومِتسابين في الشارع، ولّا تجيب كُرسي بعَجَل لواحد مشلول، ولّا تِعمل عملية لواحد كفيف ممكن يرجَع يشوف، ولّا تعالج ناس بتموت عشان ماعندُهُمش فلوس يتعالجوا؟! المَثل المصري اللي انا مُعجَب بواقعيِّتُه وإنسانيّتُه وذكاؤه بيقول «اللي يعوزُه البيت يِحرَم عالجامع».. وانا عارف كويّس ان دي مش شغلة الناس بل شغلة الحكومة بس ده لا يَنفي الوقائع، ولا بيغَيّر الظَرف اللي احنا فيه، ولا يُخفي المشاكِل والأزمات والمصايب اللي الناس بتعاني منها وماحَدِّش بيحلّها.

ازاي التناقض ده بيحصل؟ بيحصل بإننا نعمل من غير ما نفكّر، لمّا ناخُد ما هُو رَوحاني نحوّلُه لمادّي، لمّا أغلب الناس للأسف يبقوا

---

(١) وعشان نفهم أكتر الأرقام دي يعني إيه: العجز في الموازنة المصريّة «بجلالة قَدرُه» حوالي ١٠٠ مليار جنيه في السنة!!

محشورين في ركن ضيّق بيبصّوا منّه على كُل حاجة وكمان يفتِكروا نَفسُهُم عارفين الحقيقة جميعُها..

تلاقي مثلًا ناس كتير بتصلّي جماعة عشان «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بـ ٢٧ درجة» (مع انّ ماحَدِّش من النّاس دول عارف الدرجات دي على أنهي مقياس بالظبط، بس هيّ أفضل بـ ٢٧ درجة بحالهم زي ما قال الرسول الكريم) في حين انّ لو نفس الناس حاولوا يفهموا هي ليه أفضل أكيد حيستفيدوا أكتر.. مش باين مثلًا ان التشجيع على صلاة الجماعة في الإسلام (بَرضُه على سبيل المثال) هو تشجيع على التلاحم والترابط والإحساس بالمَعيّة والاستقواء بالجماعة دي؟ مش باين ان الجماعَة بتعَلّم الوِحدَة والعَدل والمُساواة؟ والسؤال المهم هنا هُوَ: لو كُل دول وغيرهُم مابَقوش موجودين بسبب ان ماحَدّش واعيلهم أصلًا وبالتالي ماحَدّش بيفكّر فيهم، هل بتَبْقى لصلاة الجماعة نفس القيمة ولّا لأ؟!

دلوقتي حسلّيكو بقصة يُفتَرَض طبعًا انّها مُسَلِّية: حَد أعرَفُه كان بيمر بيوم عصيب جِدًّا، ومشاوير ومصالح حكومية وحاجات من اللي قلبك يحبّها دي، وعربيته كانت بايظة وبياخد تاكسيات وحالته كانت صعبة جِدًّا.. وفي وسط المشاوير دخل تاكسي راح قايل للراجل «صباح الخير» راح طبعًا السوّاق رادد بالغلاسة المعهودة غالبًا في مثل هذا الموقِف، وقايل: «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاتُه»، فراح قايلُّه «إشمعنى!» فَرَدّ السوّاق: «عشان بـ ٢٨ حسنة، (دول عدد الحروف اللي في ردُّه على السلام) والحسنة بعَشَر أمثالها».

(وبالمُناسبة كمان هو السوّاق قال انّهم ٣٠، بس انا عدّيتهم لقيتهم ٢٨ بس! ولو شِلت «الواو» وقلت «عليكم السلام...» عَلَطول، يبقوا ٢٧).. صاحِبنا بَقَه اللي كان ناقم على كُل حاجة في تلك اللحظة راح قايلّه: «طَب مش صباح الخير، صباح الزّفت» وتحوّل الأمر إلى خناقة صغيّرة كده دوّر على أثرها على تاكسي تاني.. بس إيه ده! ده الراجِل عادِد الحروف! (لأ لأ، ده حتّى مكسّل يعدّهم فبيردّد الرقم اللي بيقولوه الناس وخلاص!) وكإن السلام مالوش فايدة غير انُّه يدّيلُه حسنات. طَب ماترُدِّش السلام أصلًا وسبّح بينك وبين نفسك طول ما انت سايق تِلِم حسنات أكتر!

إزاي يحصل إن رد السلام يعمل عداوة وممكن يعمل خناقة مع إن إسمُه أصلًا «سلام»؟ كده، بإن البني آدم مايفهمش الفعل اللي هو بيعمله، ولا يفكّر في فايدته ولا قيمته، ويفضل باصص على حاجة واحدة طول الوقت، حاجة ماديّة مع ان المقصود بيها حاجة إنسانية رَوحانية، ممّا يمنعه طبعًا انُّه يفهم هو بيعمل إيه أصلًا. ليه خاتَم الرُسُل قال للمُسلمين «أفشوا السلام بينكم» أو كما قالها؟ عشان يبقوا ودودين مع بعض، عشان وانت بتسلّم مفهوم انك لازم تبتسم وتبقى بشوش وإلا فليَذهب سلامك إلى الجحيم، مش عايزُه، عنَّك ما سَلّمت. السلام مش شُغلته يجمّعلك حسنات، السلام شُغلتُه انُّه يُفشي السلام، زي ما قال عَنُّه الرسول الحكيم. زي ما كان بيحصل في الحارة كده في الأفلام القديمة ولسه شويّة في واقع الأحياء القديمة بَرضُه؛ ينزل واحد من بيته الصبح «وصباح الفل يا عم عربي، وصباح الورد يا عم منعم، ونهارك قشطة يا حمدان، ويسلّم على كُل اللي

يقابله في الحارة أو الشارع، كُل ما ينزل من البيت.. ده السّلام، ده إفشاء السّلام، وده أكيد بياخد حسنات بَرضُه على فكرة، وَلَو صاحَبَهُ ابتسامة وصدق، أكيد أكيد بياخُد حسنات أكتر!

إنعدام الثقة في المُستَقبل، والجهل، وقلة الفَهم والتَفَهُّم، والتعليم الفاسد، والخطاب الديني ضَيّق الأفق، والثقافة والوعي المُنعَدِمين وأشياء أخرى كَثيرة ألقَت بِنَا في هذا السمك لبن تمر هندي والحلاوة الطحينية بالبلوبيف! والأنكى انُّه خلّانا نفتكر إن الهروب من الدنيا إلى الآخرة هُوَ كلّ ما نَقْدِر عليه، بل هُوَ كُل المطلوب.. أوَلَا تبدو الفايدة الأساسية اللي بيحَقّقها وجود الدين في مُجتَمَع بَشَري، هو ان باتّباع الدين؛ يِعدِلوا الناس دُنياهم، ولمّا يعملوا كده يؤجروا إن شاء خالقهم في آخرتهم؟

خُلاصة القول: اللي بيعمل أي حاجة حتّى لو كانت كويسة أو مُهِمّة أو حتّى «مفروضة من الإله» من غير ما يفكّر، يبقى هو اللي وَصَفُه التعبير القرآني العبقري: كمَثَلِ الحمارِ يحملُ أسفارًا (أسفار يعني كُتُب)؛ يشيل الحُمار الكُتُب زي بالظبط ما بيشيل البرسيم، زي بالظبط ما بيشيل الفراولة، زي بالظبط ما بيشيل قوالح الدُرَة.. كُلُّهم عَندُه سواء..

If people are good only because they fear punishment, and hope for reward, then we are a sorry lot indeed.

Albert Einstein

لو أنّ الناس صالحون فقط لخوفهم من العقوبة وطمعهم في المكافأة.... فإننا صنفٌ مأسوفٌ علَيْه بالتأكيد.

ألبرت أينشتاين

(زي ما تقولوا كده)
عن الحُب

عَمَلت استقصاء صغيَّر على الفتيان والفتيات المشاركين في الصفحة بتاعتي عالـ facebook؛ طلبت منهم ان البنات يكتبوا عن البنات لما ييجوا يتجوّزا بيدوّروا على ايه في عريس الغَفلة، والولاد يكتبوا بيدوّروا على ايه في «عروسة الغَفلة».

في غضون ساعة أو يزيد قليلًا كان فيه ١٢٥ تعليق قريتهُم كلُّهم بتَمَعُّن وطلعت بالملحوظات الآتية: حوالي ٩٠ ٪ من البنات بالذّات جابوا سيرة انُّه يبقى بيعرف رَبّنا، ولو ان فيه ولد دخل قال للبنات: «ما كلّنا نعرف رَبّنا» فشرحولُه انُّه لازم يعرفه بحق مش كلام وخلاص، وأردَفَ بَعضَهُم قائلين: يطبّق دينه «صح»، وعرّف بعض الناس من الجنسين ان صح دي يعني: أن يكون الشخص متديّنا بطريقة تتعدّى أداء العبادات إلى روحه وأخلاقه ومعاملاته، وذَكر البعض أن يكون شريك الحياة «المنتَظَر مُتديّنًا وليسَ مُتشدّدًا».

ماحَدّش من الولاد جاب سيرة انّ العروسة لازم تبقى مُحجبة (مع

إن أغلب البنات بقوا مُحَجّبات[1] وبالتالي أغلب الولاد حيتجوّزوا بنات مُحَجّبات). كذا ولد قالوا ما صاغَهُ أحدُهم قائلا «ماتبقاش عاملة زي الطوبة» وآخر قال «تبقى هادية بس مش باردة».

فيه ولد قال لفظًا: «حاجتين مافيش غيرهُم: ماتكونش عملت علاقات قبل كده، ومايكونش عندها أصدقاء ولاد»!

وبقية المميزات كُلّها ذُكِرت تقريبًا على لسان الكثيرين: الحنيّة، الوفاء، الجدعنة، الشهامة، الأصل الطيب، خفة الدم ذُكرَت كتير جِدًّا، كلمة مثقف ومثقفة ذكرت حوالي ٥ مرات، بنت واحدة بس قالت «يبقى قارئ نشيط» ووافقتها أخرى، بنات كتير قالوا مايبقاش بيدخّن، وبنات أكتر قالوا «يكون راجل بجَد» (بس ماكانِتش واضحة أوي الحكاية دي تبقى ازاي بالظبط).

فيه عدد لا بأس بيه (مع إنُّه قليِّل نسبيًا)، من الآنسات والأساتذة اللي علّقوا على السؤال قالوا إن مش عاجبهم فكرة فتى وفتاة الأحلام دي أصلًا، معلِّلين بأسباب دارَت حَول: إن فيه حاجات كتير مابتبانش في البني آدم غير بالعِشرة، فَالواحد مستحيل يعرف يقينًا من برَّه كده الشروط اللي حاطِطها دي فعلًا متوفّرة في الطَرَف التاني ولّا لأ. وآخرون قالوا ان الطلبات اللي بيطلبها أي حد في أحلامه دي في الغالب مثاليّة زيادة عن اللزوم وبتفتقر إلى الواقعية.

وانا بَقرا ما كتبوا فكّرت في الآتي:

---

(١) The New York Times نشرت ان حوالي ٩٥٪ من البنات في مصر بقوا محجّبات.

أوّلًا: بالرّغم من إن انا اللي سألت السؤال، إلّا إنّي مقتنع إن مافيش حاجة اسمها كده أصلًا، مافيش حاجة اسمها تحط شويّة مواصفات في دماغك وأول ما تلاقي حد بالمواصفات دي تروح متجوّزه فورًا.. أو هُوّ بصراحة فيه كدَه فعلًا، بس دي بتبقى صفقة مش جوازة، وفيه ناس كتير بتعملها، ومش عيب بَرضُه، هي بس خسارة؛ الحكاية بتبقى عاملة كِده زي ماتكون بتدوّر على عربية نِفسَك فيها وأوّل ما تلاقيها تشتريها عَلَطول.. بس الناس مش زي العربيات والحاجات والهدوم.. النّاس مش زي حاجة..

وهيّ أوّل مشكلة بتواجِه موضوع الصفقة ده، ان المفروض يعني (في الوضع الطبيعي) الواحد بيلاقي حد عاجبُه، وبعدين بتبدأ تِتكوّن في قلبُه مشاعر تجاهُه، وبعدين يلاقي نَفسُه بَقى بيحبُّه، وبعدين يلاقي نَفسُه عايز يعيش معاه فيتجوّزُه.. والشَخص اللي مشاعرك بتروح ناحيتُه ده مش شرط خالص يبقى لايق عالمواصفات اللي في دماغَك، ممكن يبقى مُختَلِف جِدًّا عنها، ومع ذلك بَرضُه ولسبب ماتعرفوش تلاقي نَفسَك بتحبُّه.. وتحصَل «الحريقة».. أدَقّ وَصف سمعتُه للحُب على الإطلاق: حَريقة.. وبالرَغم من ان الحريقة بتبقى مُثيرة ومُبهِجة ومش شَبَه أي حاجة تانية في الدُنيا، إلّا إنّها عندها عيب خطير؛ زي ما تقولوا كده بتعَطّل المُخ عن العَمَل شويّة، بتبقى عاجباه الحريقة وعايزها تفضل على طول، بس مابيبقاش في حالة تَسمَحلُه انُّه يَتّخِذ أفضل قرار مُمكن.. عشان كِده أحسن حاجة تتعِمِل في تصوُّري في اللحظة دي؛ ان الواحد يستمتع بالحريقة، ويستنّاها لمّا تخلص براحتها وبعدين يبقى يفكّر، (مش تخلَص يعني تموت،

تِهدَى بس، تعْقَل بس).. وبعد ما ألسنة اللهب تِقِل، ممكن ساعتها تبدأ تفكّر بشكل أسلَم في خطة لهذا الحُب.. ساعتها ممكن تبدأ تذاكرُه وتحاول تفهَمُه، تحاول تعرف هو حيعيش ولّا مش حيعيش، ينفَع ولّا ماينفعش، يصَح ولّا مايصَحّش، حينجَح ولّا مش حينجَح.. الوقوع في الحُب موضوع بس علاقة الحُب والجواز والشراكة موضوع مُختَلِف تمامًا..

فيه ناس محظوظين بيُقَعوا في حُب الشخص المناسب ليهُم فعلًا من غير ما يبذلوا أي مجهود، بس دول محظوظين، مش كُل الناس بيحصلُّهُم كده.. فَلْحَد بَقَه ما تعرف انت محظوظ ولّا مش محظوظ، احتياطي كده تذاكر؛ يمكن مُذاكرتك دي هي اللي تخلّيك تنجح، أو على الأقل ممكن تخلّيك ماتسقطش، ماتَفْشَلش، ماتَتْعَسش.. الاستعجال في الوقت ده من الأخطاء الشائعة جِدًّا، ماتستعجلش، مستعجل على ايه؟ عشان تذاكر كويّس لازم يبقى فيه وقت كفاية للمذاكرة؛ الشخص ده عامل ازاي؟ عامل كذا كذا، أشوفهم انا بَقَه الكذا كذا دول، وابدأ أقيّمهم واقيس مشاعري تجاههم؛ والله ده حلو، ده رائع، ده أهم حاجة عندي في الدنيا مش مهم الباقي، ده مستحيل بالنسبالي، ده وحش بس ممكن يتغيّر، ده وحش بَرضُه بس ممكن اتعايش معاه، وهكذا..

عَكس بَقَه وضع مواصفات وهميّة لشَخص مش موجود أصلًا في عَملية أشبه بالهَلوَسة، المُذاكرة دي بتِحصل على حَد واقف قُدّامك، حد انت شايفُه، شايف تَصرُّفاتُه، سامع صوتُه، تعرف تقيّمُه..

وبعدين كُل واحد بيَفترِض انُّه عارف إيه أحسن حاجة تنفعلُه

وبالتالي بيطلبها، طَب افرض انت فاهم غلط؟ إفرض فيه حد عنده تركيبة تنفع معاك أحسن بكتير من اللي انت عايزُه ده بس انت ماتعرفهاش! إفرض طلباتك مش منطقية أو متناقضة مع نفسها، افرض الميزة اللي انت شايفها دي، فيه عيب قوي بييجي معاها بس انت ماتعرفوش؟ افرضي الشَخص القادِر فعلًا على إسعادِك بيدَخّن! بس انتِ مالقيتيهوش عشان كُنتِ عايزة تتجوِّزي واحد مابيدَخّنش!! (قال أهم حاجة يكون مابيدَخّنش قال! هو سوّاق!!:).. ولّا الباشمُهندس (اللي فيه باشمُهندسين كتير طبعًا بيفكّروا زَيُّه) أهم حاجة عَندُهُم في البنت انّها تبقى عُمرها ما شافت ولد في حياتها!!!!!! أقول إيه انا طيِّب؟!

ما علينا.. ولَو لا بُد من مواصفات يعني، فَيا حبّذا بَقَه وانت بتَتَدَلّل على الدنيا وتُملي عليها مواصفات من تَتَمنى أن يُشاركك الحياة، انّك تروح باصص في المراية كمان؛ هُوّ انا فعلًا لايق على البنت اللي انا عايزها دي؟ طَب انا لازم اعمل حاجة في نفسي، عشان أليق على الولد اللي انا عايزاه ده؟ طَب انا عايز كذا وكذا، هي عايزة إيه؟.. أسئلة المراية دي صحيح انت اللي بتسألها وانت بَرضُه اللي بتجاوبها، لكنّها عظيمة الأهميّة.

بيتهيألي لو الناس بذلوا المجهود ده فعلًا ممكن مايبقاش فيه جوازات فاشلة من اللي بقت موضة اليومين دول، طبعًا حيفضل فيه جوازات مش سعيدة أوي يعني، بس فشل (بالتعاسة المؤديّ إليها) مش مفروض يحصل. لإن فشل أعتقد يعني ناس مش نافعة

لبعض اتجوزوا، وهُوَ فشل لإنهم فشلوا في اكتشاف ده مع إنُّه نسبيًا سهل القياس؛ مابْقاش انا عايز أفني حياتي في العِلم واتجوز واحدة عايزة تتفسح وتتبسط بالحياة، مابقاش انا عايز فلوس ولّا مُدمن شُغل ولّا مضطر أجري على أكل عيشي طول النهار والليل واتجوز واحدة عايزة بيت دافي والراجل مالِيه «بحِسُّه» على طول وكده! ده فشل صريح.. عكس السعادة اللي التنبؤ بقدرة الشخص الآخر على التسبُّب فيها مسألة أصعب بكتير.. يمكن لإن السعادة مفهوم بيتبني بالراحة مش في يوم وليلة، بيتبني بعد طُمأنينة واستقرار. فمش حَقدَر ابقى مُتأكِّد مين حيسعدني ومين لأ، بس اقدر اعرَف مين ماينفَعليش، وبالتالي أقدر أختار حد مُناسب.. مناسب ليَّ.

أنا مشغول بفكرة الأبوّة اليومين دول، فعايز كمان أجيب سيرة الموضوع دَه: إن الواحد وهو بيقيِّم الشخص اللي على وشك الارتباط بيه من المُفتَرَض كده انُّه يحط في بالُه ان ده مش شريك بس. دي حتبقى أم عيالي، وده حيبقى أبو عيالي؛ حيتعلّموا منُّه إيه؟ حياخدوا منها إيه؟ حيفهموا منُّه ازاي؟ ولما نلاقي حاجة مش واضحة وعايزين نسأل عليها نسأل، هُوّ ده وقت التساؤل. وماحدّش لو سمحتوا يقول «هم فين والعيال فين لسّه؟» عشان على فكرة النسبة الأكبَر من اللي بيتجوّزوا دول حيخلّفوا في السنة الأولى من الجواز، وأغلب الباقي حيخلّفوا في السنة التانية! يعني الحكاية مش ان الموضوع مش في دماغهم ولا حاجة، وإلّا يبقوا بيهَجّصوا بَقَه؛ بيخلّفوا العيال كمان زي ما الناس بتعمل وخلاص! ممكن جِدًّا أكون غلطان بس إحساسي كده بيقولّي إن قليّلين اللي بيفكروا في الحكاية دي، ويمكن قليّلين

اللي بيفكّروا في انهم هُمّ نفسُهُم حيبقوا آباء وأمهات زي ما شركاءهم اللي بيدوّروا عليهم حيبقوا الطَرَف التاني.

لو فهمنا اننا حنبقى آباء في يوم من الأيام يبصّولنا ولادنا بفخر واعتزاز كأحسن ناس في الدنيا وأقرب ناس ليهم، ممكن نخلّي بالنا احنا نعرف إيه عشان لمّا نِتْسِئل نجاوب، بنتصرّف ازاي عشان لمّا يشوفونا ولادنا مانتكسفش منهم، بنفكّر في إيه وبنتكلّم ازاي وعايزين ايه من الدنيا عشان ولادنا دول بيبدأوا حياتهم بإنّهم يتعلّموا كُل حاجة منّنا ونَحنُ أوَّل من يَعرِفون.

بَحِس في أحيان كتير ان مواصفات أغلب الناس في شُركاءهم المُرتَقَبين مش بتاعتهم هُمّ، ومش عارف بتاعة مين بالظبط، بس هيّ غالبًا بتاعة الجماعة كده على بعضها. ودي مش جريمة يعني، هيّ حاجة طبيعي جِدًّا انّها تحصل لو كُل واحد ماعَمَلش الواجب بتاعُه وعِرِف هُوّ فعلًا بيحب إيه وبيكره إيه. وأصلًا أصلًا لو كُل واحد ماعَمَلش الواجب بتاع انُّه يعرف نفسُه.

التأثير بتاع «الجماعة» ده على المَشهَد بتاع الجواز تحديدًا، تأثير قوي جدًّا الحقيقة، مَنبَعُه طبعًا ان الجواز في المُجتمعات العربيّة بالذّات مسألة أسريّة جِدًّا، في أغلب الأحيان مش الولد والبنت اللي بياخدوا لوَحدُهُم القرار بتاع يتجوّزوا مين؛ لازم العيلَة كُلّها تبقى راضية وموافقة، ويحبّوا بعض العيلتين، أو على الأقل يبقوا عاقلين كفاية انُّهم مايتخانقوش ويبوّظوا الجوازة على حاجات هايفة، وهَلُمّ جرًّا تعقيدات كتير بيسبّبها الدور الكبير اللي بتلعَبُه العيلة في المسألة، بما في ذلك طبعًا الدور الاقتصادي..

شوفوا لحَد النّهارده في سنة ٢٠١٠ من الميلاد كام ولد وبنت مش عارفين يتجوّزوا، حتّى لو هُمّ الاتنين بيشتغلوا شُغلانات كويسة، وبياخدوا مرتّبات مش بطّالة وولاد ناس ومُتعلّمين ومتربّيين، بس أبو البنت عايز يجوّزها لواحد يعيّشها في نفس مُستواها!.. إيه السخافة دي بَقَه، هو احنا حنفضَل نتكلّم في الموضوع ده لحَد إمتى؟ مش معقول يعني!

وفوق ما سَبَق كُلُّه زوّدوا كمان الإحباط اللي الناس فيه، وزوّدوا تأثير التوتّر والتلوّث والزحمة على البني آدم المصري المسكين، وزوّدوا الخبرة القليّلة أو المُنعَدِمة في التعامل مع الجنس الآخر عَند أغلب الناس وخصوصًا البنات طبعًا.. ده غير الكلام الفارغ اللي الولاد بالذّات بيقولوه لبَعض وهُمّ فاكرين انّهم بيَتناقلوا الحِكمة عن بنات حوّاء، وهُمّ الحقيقة في الغالب بيودّوا بعض في داهية.. المُهم يعني ماخبّيش عليكو الموضوع صَعب..:)

مش قَصدي واللهِ أجيبلُكوا اكتئاب، بس الكلام ده من وجهة نَظري كُلُّه حقيقي، والحقيقة لازم تتقال عشان ننفهمها. القرارات الصائبة محتاجة معرفة وصراحة وتركيز، والمسألة فعلًا مش سَهلة، ومن هنا بتيجي أهمية المذاكرة والتركيز في الاختيار والقرار.

وأخيرًا وليس آخرًا، الكلام الكتير ده كُلُّه عن بذل مجهود لضمان قَدر من النجاح لعلاقة الحُب، لا ينفي أبدًا، انك في الآخر بتروح ناطط في تِلكَ الحُفرة اللي انت مش متأكّد تمامًا فيها إيه جوَّة؛ ممكن تنزل تلاقي مرتبة من ريش النعام وممكن تنزل تلاقي مسامير، وممكن

تنزل تلاقي أي حاجة.. (وممكن كمان اللي لقيتُه ده بعد شوية وقت يتغيّر!).

بعد الحريقة، فكّر كويس قبل ما تنط، بس عشان تدوق الحُب وتعرفُه سواءً بجواز أو من غيرُه، عشان تعيش المُغامرة دي، لازم لازم تنُط في تلك الحُفرة المُظلمة المُثيرة.

تذاكر أو ماتذاكرش، تعرف تنقِّي أو ماتعرفش؛ من غير حُفرة ومن غير ما تنط ومن غير حُب، مافيش سعادة.. يبقى الحُب ده قبل الجواز، يبقى بعد الجواز، يبقى زي ما يبقى.. بس الأصل في الأشياء يَبقَى ان بين راجِل وست لازم حُب عشان تِحصَل سعادة.

الحُب مُلَخبِط صحيح، وبيسبب مشاعِر كتير مُتشابكة ومتداخلة ومعقّدة «حريقة بَقَه»، فَالواحد مابيبقاش فاهم بالظبط ايه اللي بيحصل لمّا بيحب، بس دايمًا دايمًا فيه لحظة كده بتاخد فيها قرار يَخُص هذا الحُب. قرار ممكن يتسبب في سعادتك أو تعاستك، وفي اللحظة دي: يَجِب أن تكونَ عاقِلًا.

عن الأُبوّة (كلاكيت تاني مرّة)

بنتي الحبيبة، أجمل الناس وأقربهم وأهمّهم. الآنسة اللي بتمنّالها تَكون إلى الأبد رفيعة المقام عاليا العسيلي، قُرّة عَيني ومنبع سعادتي ومَرفأ أحلامي، تُعاني أيّام كتابة هذه السطور من الغيرة. جاءها أخٌ صبيٌ وليد إسمُهُ سَليم: ومن قبل أن يجيء وشأنها شأن بقية البشر الصِغار تشعر بالخوف منُّه على مكانتها في هذه الأسرة الصغيرة التي تتربع على عرشها منذُ أن جاءت إلى الدنيا قبل خمسة أعوام.. تشعُرُ عاليا بالغيرة..

الأطفال الأذكيا بيفهموا في السياسة، بيِرْضوك بيها، بيستعملوها في انهم يحصُلُوا على اللي هُمّ عايزينه، بيحاولوا يخلّوك تتغاضى عن أخطاءهم، وكلّها سياسة. إلّا ان الغيرة اللي حسِّتها عاليا دي خلِّتها بَقَه مش بتلعب سياسة وخلاص، لأ دي بقت ولا لجنة السياسات بحالها!.. عارفة انّها ماتقدرش تقول انّها مابتحبّش سليم مثلًا، أو إنّها غيرانة منُّه أو إنُّه واكل حتة من الجوّ بتاعها، فبتِتصرّف تجاهُه بالطريقة اللي هي شايفه انّها مش حتِزعجنا، مُخفِيةً طبعًا مشاعرها الحقيقية

اللي هي عارفة انُّه مش حيبقى من المناسب انّها تُصرّح بيها. الكلام ده كان في الأيّام الأولى من لقاءهُم، بعد أسابيع بدئت تحبُّه شويّة فَقَلّت حالة التأثّر شويّة، بس فِضِل ما في الصدور في الصدور.

بيجنّنّي مثلًا ان انا لو قعدت جنب سليم، تيجي تقعد جنبنا طبعًا بس مش تقولّي انا عايزة أقعد جنبك لأ، «انا عايزة أقعد جنب سليم» مع ان ده مش غرضها طبعًا هي بس مش عايزاه يستَفْرَد بيّ. بس لإنُّه الفعل السياسي الأذكى بتختار انّها تقول انّها عايزه تقعد جنبه هُوّ، عشان في العربيّة مثلًا يبقى «لأ أنا عايزه أقعد ورا جنب سليم» أي جنب أُمّها؛ عشان نَتَساوى أنا وأُمها وتبقى هي مربوطة بسليم في كُل الأحوال فمايبقاش ينفع يستَفرَد بحَد فينا، وكمان من غير ما تحتاج تفسّر ليه.. عايزة تقعد جنبه! «مش انتو عمّالين بقالكو سنة تقولولي ازاي انا لازم أحب سليم لمّا ييجي؟ أديني بَحبُّه أهُه وعايزة أقعد جَنبُه!».. طَب سياسة دي ولّا مش سياسة؟! وسياسة مُحَنّكَة كمان ولّا لأ؟

غريبة جِدًّا المشاعر اللي ولّدتها الأبوة فيّ لأوّل مرة لمّا جَت بنتي من سنين خَمسة، وغريبة تاني مشاعر الأبوة الجديدة اللي اتولدت مع ذلك الفتى الصغير جِدًّا سليم؛ لمّا تبقى أب لأول مرة بتستكشف مشاعر الأبوة شيئًا فشيئًا لحد ما بتتصور بَعد فَترة انّك تعرف يعني إيه أُبُوة، وبعدين كُل شويّة يكبر ما جاءك، فكُل شوية تكتشف ان لسّه بدري جِدًّا، لإن كُل ما يكبَروا ولادك، كُل ما المطلوب منّك كأب بيزيد؛ بتبدأ تَتَحوّل إلى رمز.. بتبدأ بِنتَك تحفظ عنّك كلامك، بتبدأ

تشوف نفسك وانت بتأثّر في وجهة نظرها، في طريقتها، في اختيارها لمُفرداتها، في أداءها.. بتشوف حتّى تجلّيات من عيوبك وهي بتبدأ تبان عليها، فتتخَض وتقرّر انّك لازم فورًا تَقضي على هذا العيب.. أو تُخفيه!.. المهم ان بَعد كُل كُل ما كُنت أرى انُّه «خبراتي» السابقة في الأبوّة، جاء الفتى سَليم وحسّسني انّي حَبدأ أتعلّم كُل حاجة من الأوّل تاني..

أوِّل مرّة أستغرب من مشاعري تجاهُه كانت بعد ولادته بأيّام، كنّا في البيت، صحيت من النوم غير المستقر بسبب البكاء الليلي الطويل وخرجت برة لقيت مراتي مِنيِّمَاه على الكَنَبَة بتاعتي (وهو صاحي بس غريبة مابيعيطش!)، أوّل ما شفته رُحتلُه وقُلتلُه «انت قاعد على كنبة أبوك؟» وفاجَأَني ذلك الشعور اني وانا بَقولُّه كده حسيت بشيء ما عن الميراث ماكُنتش حسّيته قبل كده مع عاليا. مش انّي عمري ما فكّرت ان عاليا حتورثني (طبعًا بالمفهوم الواسع للكلمة مش المفهوم المادي الضيق) بس اللي حصل اني حسّيت تجاه الولد وهو قاعد على كنبتي العزيزة إحساس مختلف؛ كُنت بَشوفه في الأفلام وأحيانا في الواقع لما أب مثلًا يبقى عنده شركة ولّا مَحَل ولّا مصنع وبعدين ابنه يكبر فيبدأ يتعلم الشغل معاه والراجل يحس بسعادة، ان ابنه اللي حيورث الحاجة اللي تعب فيها وبناها طوبة طوبة. دايمًا بَبقى حاسس ان عاليا حتورثني، حتورث روحي، حتورث قصصي، كانت هي الوحيدة في العالم اللي حتبدأ قصة تحكي فيها عنّي وتقول «أبويا كان دايمًا يقولّي كذا» بس أوّل ما فكّرت ان ابني حيورث الكنبة بس، مش الشركة ولا المصنع ولا المَحَل ولا المُلك ولا الفلوس ولا حاجة،

فهمت ان احساس الرجال تجاه أبناءهم احساس مختلف عَنُّه تجاه البنات. يمكن عشان سُلالة الولد حتشيل اسمي ان شاء الإله ان إسمي يتشال؟ (ولو إنّي بصراحة بصراحة مش شايف أهميّة الحكاية دي!) يمكن ده شعور فِطري، يمكن عشان هُوّ ولد زيّي، فاحنا «رجّالة زي بعض»، يمكن زيّي زي كُل الناس فيه حاجات مزروعة فيّ مش انا اللي حاطِطها وفجأة بتبان واحدة فيهم فتلخبطني! مش عارف ولا على وجه اليقين ولا على غيره، بس عارف إني من كام أسبوع كُنت بَفكّر زي أغلب الآباء اللي في نَفس الظرف: «ازاي انا أصلًا ممكن أحِب حد تاني زي ما بَحِب عاليا!» وبعدين لقيت نَفسي مش عارف حاجة. فعلًا فعلًا دايمًا اللي نعرفه أقل من اللي مانعرفوش. وأدينا قاعدين ان كان في العُمر المزيد وحنشوف فيه إيه تاني حنِتعلّمه.

أغرب حاجة في ان يبقى عندك أطفال هو الطريقة الغريبة اللي بتتحوّل بيها حياتك من حياة بتاعتك هدفها الأسمى هو إنت، إلى حياة مش بتاعتك أوي لإن بَقى الهدف منها هو هُمّ! فكرة عجيبة طبعًا! ازاي يبقى الهدف الأكبر من حياة كُل واحد، انُّه لو خلّف عيال يدّيهم اللي عَندُه، وبعدين يموت هُوّ بعد شويّة ويكبَروا همّ عشان يحاولوا يَتْبَعوا فطرتهم ويخلّفوا عيال عشان يدّوهم كُل اللي عندهم! الموضوع شَبَه شويّة ان أشطر ناس في التعليم بدل ما بيروحوا يعملوا حاجات عظيمة باللي هُمّ اتعلّموه، بيبقوا مُدرّسين في الجامعة؛ وكإن الهدف من التعليم هو التعليم والهدف من الجامعة هي الجامعة. وشرحُه في الحالة اللي بنتكلّم فيها؛ فجأة بيتَحوّل الهدف الأكبر من حياتك «انت» إلى ولادك!

شيء مُحيّر، طبيعة خالقها رَبّنا عشان تبقى الأرض فاضية من البني آدمين وكُل واحد فيهم بالفطرة يعوز يخلّف عيال عشان يِعْمَر الكوكب لحد ما يتملي، والله أعلم حنفضل نعمّره لحد ما نقضي عليه ولّا لأ.

المعضلة الكبيرة اللي بَفكّر فيها هذه الأيام بعد ما بنتي كبرت شويّتين وبقت شخص واعي بكل اللي بيحصل حواليها، وبتفهم كُل ما يُقال على مسامعها، وبتحاول تربط الحاجات ببعض عشان تكوّن فكرة عن العالم (اللي انا أصلًا أصلًا وانا أكبُرها بتلاتين سنة مش فاهمُه كويس!)؛ هي معضلة ان في هذه المرحلة من حياتها وأكتر من أي وقت مضى كُل ما بآجي أكلّمها في موضوع أو أشرحلها حاجة أو اعلّمها ما أعْرِف عن حاجة، بَأُدرِك عَلَطول حقيقة ان لكل شيء تمن، مافيش حاجة ببلاش.. أعلّمها مثلًا انّها دايمًا تسلّم على الناس كويّس ودايمًا ترد السلام بابتسامة، وتسمع هيّ كلامي وتروح تسلّم على بنت زميلتها في الحضانة ولّا في المراجيح فَالبنت ماتردّش عليها، عيّلة يعني عادي (وأهلها مش موسوسين زيّي فيما يتعلّق بالسلام) فتبُصّلي البنت كده ولسان حالها بيقول «أمال انت قارِفْني سلّمي عالناس سلّمي عالناس، أدينا يا سيدي سلّمنا!»..

«عُمرِك ما تاخدي دور حَد عالزُحليقة» أُكَرّر انا دائما. وييجي ولد أكبر منها يزُقّها وياخد دورها فَاخاف انا تعتقد اني ضحكت عليها.. صحيح انا دايمًا بقولّها ولا تاخدي دور حد ولا تخلّي حد ياخد دورِك، بس تعمل ايه هي لّما يكون الحد ده ولد وأكبر وأطول

وأقوى منها! وبدأت أشوف بشاير التمن اللي حتدفعه بنتي للطريقة اللي بتتربّى بيها، وللأسف ماعنديش اختيارات، مُضطر اضطرارًا اني أعلّمها عن الحق والمُستحق والخير والجمال والعدل، وبعدين أسيبها تُعاني في عالَم بِيَميل انُّه يتجاهلهم قدر المُستطاع، والأسوأ اننا في مكان في العالم في حِقبة من التاريخ أغلب سكانها مالهُمش دعوة بالكلام الفارغ ده كُلّه. انفصام حاد في الشخصية وانت بتلاقي نفسك (أنا وأمثالي طبعًا مش انا لوحدي) عمّال تُصِر على تعليم ولادك حاجات بالرغم انّك عارف كويس انّها حتُشقيهُم، أو على الأقل حتخلّي حياتهم أصعب بكتير.. بس زي ما أعتقد اننا متّفقين «لا محيص». وبعدين بيّ أو من غيري حيفضل دايمًا الصح أصعب والغلط أسهل، وحيفضلوا الحق والخير والجمال يستحقّوا جهاد الحرب..

وبعدين هو انا أصلًا كُنت بخلّف ليه؟ عشان أجيب ناس في الدنيا وخلاص، ولّا عشان أجيب ناس أفخر بيهم أمام نفسي وماتكِسِفش منهم قُدّام الإله اللي رزقني بيهم!

زمان بعد ما اتجوّزت، كُنت قاعد مع سامية جاهين (صُغرى بنات عمّي صلاح) وكنت بَحكيلها اني خايف أخلّف عيال في العالم المليء بالقُبح ده، والأخطر حتّى انهم حيعيشوا على الكوكب اللي بوّظناه وعمّالين نبوّظه كُل يوم ده؛ الغابات حتخلص بعد شويّة والبترول حيخلص والناس بتزيد والأكل بيقِل والساسة فاسدين والقُوى اللي بتحكم العالم غير شريفة، ومليون حاجة تدعو إلى

الرُعب أو الإمتعاض.. ردّت عليَّ سامية في تلك اللحظة بِرَدْ عَلِق في ذهني ولم يترُكُه أبدًا. قالتلي طبعًا لازم نخلّف عيال، أمال مين اللي حيخلّف؟! وأقنعتني ان من يرى نفسه على إنُّه شَريف ومُهتم وصاحب مبادئ هُوّ اللي فعلًا لازم يخلّف عيال؛ عشان يعلّمهم ينوّروا في الضلمة، عشان يخلّيهم يحاربوا بعدنا اللي مش حنقدر احنا عليه، عشان نخلّيهم يبقوا أحسن منّنا.. كَلت الطُعم اللي رَمِتهولي سامية واشتريت كلامها فعلًا (أو يمكن كُنت حَعمِل كده في كُل الأحوال زيّي زي الناس) المهم أديني بقيت أب لاتنين أهُه.. بس إيه؟ والذي نفسي بيدِه، أعاهد الله وانتم شاهدين؛ اني مش حَرَبِّي عيالي إلّا على الشرف والضمير وحُسن الخُلق، حَربِّيهُم عشان يبقوا شُجعان لا يخافون في الحق لومة لائم، وحَربِّيهُم على ان كُل حقوق الناس عليهم حرام حرام حرام.. حَربِّيهُم على ان الساكت عن الحق شيطان، واللي بيساعد الضعيف بطل، واللي مابيشتغلش بذمة خايب، واللي ماعندوش ضمير جبان. وحَعَلِّمهم ان حتّى الضعف لا يعني الخُنوع.. وحَأكّد عليهُم ان اللي مايشوفش غير نَفسُه يبقى مايستحقِّش يشوف.

دي تَذكِرَة يا إخوة ويا أخوات ياللي عندكو عيال ويا إخوة ويا أخوات ياللي حيبقى عندكو عيال في المُستقبل: لو عيالنا مابَقوش أحسن منّا وأشرف منّا وأجدع منّا وأقوى منّا مهما كان التمن، نبقى فشلنا في امتحان المُستقبل.. وياريتنا كُنّا سِبناه في حالُه، وياريتنا ما كان لينا امتداد..

بعد ٨ شهور...

عايز أطَمِّنكو بس ان عاليا بَقِت بتحِبّ سليم أكتر بكتير، بتحبُّه فعلًا.. لِسّة بتغِير ساعات، بس بتحِبُّه وبيسلّيها وُجودُه. (ولمّا بتغِير: بوستين وحُضنين وشوية كلام حُب بيخلُّوها تبتَسِم بسعادة ويِخلَص الموضوع وقتيًا.. بسيطة)

سليم طفل شديد البراءة ويُحب الابتسام، شقي ودَمُّه خفيف زي أُختُه، وعلى طول بيتفرّج على الدُنيا بفضول زي أبوه، وأتَمنّالهُم هُمّ الاتنين يبقوا شاطرين زي أُمُّهم.. بيحِب يبص من الشبّاك أكتر من أي حاجة تانية، ونشاطُه المُفَضّل انّي أتمشّى بيه في الشارع (واضح انُّه حيطلَع شوارعي!:).. بيكرَه النوم لوَحدُه وبيكرَه سريرُه، واتعلّم الوقوف مخصوص عشان أوّل ما يصحى يُقف يمسك في سور السرير وينادي بصُراخ زي مايكون ورا قضبان السِجن..

بَحبُّهم هُمّ الاتنين من يوم ما شفتهم كما لا أقدِر على الوَصف، وبَدعيلهُم كتير جدًا.. تقريبًا طول الوَقت! وبَدعي لنَفسي ان ربّنا يَتَقبّل دُعائي..

إهداء تالت!

أُهدي هذا الكتاب إلى عاليا وسليم..

أحلى ما في الدُنيا.. وأَصعَب ما فيها..

بَرضُه عن الأُبوّة!

فيه فكرة أخيرة عن الأبوّة (والأمومة كمان طبعًا) عايز أكلّمكو عنها، وهِيَ فكرة في أقصى درجات الأهمّية لإنّها في رأيي واحدة من أكبر الأخطاء اللي غالبًا بيُقَع فيها كُل الناس في هذا الجُزء من العالَم بالذّات. ولأهمّيّتها القُصوى قررت أفصِلها عمّا قيل في الأبوّة عسى أن تُمنح بذلك فرصة أكبر لتَتَذَكّروها دائما..

لقيت بالصدفة الحقيقة العبقري النادر جبران خليل جبران صاغ ما أود أن أقول فيها بشكل أكتر بكتير من رائع، في كتابُه «النبي».. فَإليكُم أوّلًا ما كَتَب:

الأطفال

إنّ أطفالكم ما هُم بأطفالكم؛ فلقد ولَدهم شوق الحياة إلى ذاتها،

بِكُم يَخرُجون إلى الحياة، ولكن ليس منكم،

وإن عاشوا في كَنَفِكُم فما هُم مِلكُكُم،

قد تمنحوهم حُبّكُم ولكن دون أفكارِكُم، فلهُم أفكارُهم.

ولقد تُئْوون أجسادَهُم لا أرواحَهم؛

فأرواحُهُم تَسكُنُ في دار الغد، وهيهات أن تلمّوا به، ولو في خطرات أحلامِكُم.

وفي وُسعِكُم السّعي لتكونوا مثلهم، ولكن لا تُحاوِلوا أن تَجعلوهُم مثلَكم،

فالحياة لا تَعود القهقرى ولا هي تتمهل عند الأمس.

أنتُم الأقواس، منها ينطلق أبناؤكم سهاما حيّة.

والرامي يرى الهدفَ قائما على طريق اللا نهاية، ويَشدُّكم بقدرته حتى تنطلق سهامُه سريعة إلى أبعد مَدى.

وليكُن انحناؤكم في يد الرّامي عن رضًا وطِيبِ نفس؛
لأنّه كما يُحِبُّ السَّهم الطائر، كذلك يُحِبُّ القوسَ الثابِتَة.

من كتاب «النبي»
لجبران خليل جبران

الحياة مليئة بالمُفاجئات أكتَر من أي حاجة تانية، والحياة مليئة بأخطاء الناس أكتَر من أي حاجة تانية.. كُل الأخطاء ليها تَمَن، بتدفَعُه انت أحيانا وبيدفَع معاك (أو بدالَك) ناس تانيين في أحيان أُخرى.. وأعتقد مافيش حاجة أوحش في الدُنيا من انّك تدفع تمن غلطة مش بتاعتَك، في حين ان من الشجاعة والشهامة والإنسانية والرُقِي انّك تدفع تمن أخطاءك الشخصية.. ولادَك لا مَحيص بيدفَعوا تَمَن أخطاءك في تربيتِهُم، ماتزوّدش على دول كمان مسئوليّة انّك بعد

ما يكبَروا تفضل تعامِلهُم كأطفال وتختارلُهُم، وتقرّرلُهُم، وتحاول تخلّيهُم زي ما انت عايِزهُم يكونوا.. لازم يكونوا زي ما هُمّ عايزين، زي ما هُمّ. حتّى لو اللي عايزينُه ده ماكانش مفهوم بالنسبالك وحتّى لو مش ماشي على هَواك.

أولَى بكُل بني آدم انّ يبقى عَندُه الحريّة انُّه يُخطئ أخطاؤه الخاصّة، يرتكِب حماقاتُه الخاصّة، وينجَح كمان نجاحاتُه الخاصّة.. عَلّم ولادَك اللي تِعرَفُه وهُمّ صغيرين ولمّا يكبَروا ادّيهُم رأيَك لو عندَك رأي شايفُه ينفَعهُم، لكن ماتُجبرُهُمش عليه.. لازم قرارات البني آدم المُهمّة اللي حتتحكّم في مصيرُه تبقى بتاعتُه لوَحدُه؛ لمّا ينجَح حيَشعُر بالعِرفان للقوس اللي انطَلَق منُّه، بس حيَشعُر كمان بالفَخر لإنّ هُوَ اللي نجح.. ولمّا يغلط حَيلوم نَفسُه بس، وحيتعَلّم من خَطأه وحيتَحمّل مسئوليّتُه كالرجال (والكلمة دي هنا تِنفَع للستّات كمان على فكرة)..

المُهِمّة شاقّة طبعًا؛ الفَصل بين الحُب الجارف غير المَشروط اللي بيحبّوه الأم والأب لولادهُم، وبين انّهم يبقوا عارفين انّهم مش بس امتداد لقصّتهُم هُمّ، بل بداية لقَصَصهُم الخاصّة.. والمُهمّة من الناحية التانية أيضًا شاقّة؛ ازاي الإبن والبنت يطلعوا من تلك العباءة عشان يكونوا أنفُسهُم، بَرضُه من غير ما يتجاهلوا ذلك الحُب الجارف غير المشروط أو يستهينوا بيه.. عشان تتحقق المُهمّة الشاقة الصَعبة دي بنجاح ومن غير إسالة دماء وخصوصًا في مُجتَمَع مُلتَصِقين فيه الأهل بولادهُم زي مُجتَمَعنا، لازم الاتنين مع بعض يحاولوا... حاولوا!

انا عارف ان أغلب من يقرأون هذه السطور دلوقتي عايزين أهاليهُم يقروا الكلمتين دول.. روحوا خلّوهُم يقروا، قولولهُم فيه واحد اسمه عسيلي عايز يقولُّكوا كلمتين... وانتو ماتِنسوش اللي قريتوه لمّا تبقوا مكانهُم.

عن «مهما كان التمن»

رائعة الكِلمة دي ومُخيفة ومُذهلة.. فيه ناس كتير طبعًا ممكن تستعملها على سبيل المُبالغة يعني، بس سيبكو منهم دول، خلّينا في اللي بيقولها وهو قاصدها «مهما كان التمن».. مهما كان التَمَن حَعمِل الحاجة دي، مهما كان التمن مش حَعمِل، مهما كان التمن حَقُول الحق، مهما كان التمن حرْضِي ضميري، مهما كان التمن حَتَحمّل نتيجة خَطَئي.. مُتخيّلين الوعد اللي بتحمله تلك المقولة المُكوَّنة من تلات كلمات بسيطة؟! قد إيه فيها إصرار وقوة وتعهُّد بعدم الإستسلام.. بني آدم بيُعلن ان «كذا» ده أغلى من أي حاجة تانية، فَانا حَحْصُل عليه مهما كان التمن، حَعمِلُه مهما كان التَمَن، أو حَدافِع عَنُّه مهما كان التمن.. منتهى التصديق، مُنتَهى الاستعداد، بمنتهى القوة.

طبعًا ممكن حد يبقى عايز يعمل حاجة شرّيرة وبيفكّر انُّه حيعمِلها مهما كان التمن بَرضُه؛ ممكن يبقى عندُه الشجاعة والاستبسال اللازِمين انُّه يقول المقولَة دي هُوّ كمان، لكن لو فسدت الغاية

فسدت الوسيلة، ومابَقِتش ساعتها حاجة تستدعي الإعجاب بل غالبًا بتَستدعي المُحاكمة. الفيصل في المسألة ممكن يكون «هو مين اللي حيدفع التمن اللي انت بتتكلّم عليه ده؟» لو انت اللي مستعد تدفع يبقى انت الشخص اللي بنتكلّم عليه، لو مش انت اللي حتدفع تبقى شرّير أو مُعتدي أو خاين أو مُدّعي أو جبان، أو كُلّهُم. لازم انت اللي تضحِّي بالتَمن، لازم انت اللي تدفَع.

«مهما كان التَمَن» فكّرتني بإنّي دايمًا عَندي شعور أكتر من قوي ان قدرة بني آدم العصر الحديث على التضحية بقت أقل كثيرًا من ذي قبل؛ بُصّوا عالعسكري نفسه اللي هو مثال التضحية في الدنيا (مع اختلاف طبعًا نوع الحاجات اللي ممكن يكون بيضحّي عشانها) تأمّلوا كده الجُندي المقاتل بسيفُه زمان ده، كانت شجاعته عاملة ازاي؟! العسكري اللي كان بيحاول يتفادى السهام اللي نازلة تمطّر فوقُه، كان رباط جأشُه عامل ازاي؟! جنود المشاة اللي بيبقوا ماشيين في أوّل صف دول، بيبقى عندُهم قلوب معمولة من إيه؟!

في الخمسين سنة اللي فاتوا (على وجه التقريب لا التدقيق)، حتّى الحرب بقت أسهل كتير، حتّى الحرب بقت بتتطلّب شجاعة أقل. (يمكن لجنود الصف الأول الموضوع ماختلفش كتير لكن لِكُل اللي وراهُم اختلف).

وبعيدًا عن الحرب والجنود، هُوّ اللي كان بيصطاد في البَرِيّة زمان كانت شجاعته مُساوية للّي بيشتري «اسكالوب» من السوبر ماركت؟! اللي كان بيسافر بالجمل في الصحرا قلبه زي اللي بيطلع

دورين بالأسانسير؟! (ومش قصدي القلب بتاع الشرايين والدم وكده، قصدي القلب التاني، القَلب القَلب).

طبعًا بقينا أقل شجاعة وطبعًا بقينا أقل قدرة على التضحية. ده اذا كُنّا قادرين على التضحية أصلًا، إذا كان عندنا حاجات نعتقد انّها تستاهل نضحّي عشانها أساسًا!

المُتظاهرين زمان كانوا «ناس» عادي، دلوقتي (عندنا) بقوا أبطال. بقوا أبطال عشان بس بيُظهروا أمارة انهم «يمكن فعلًا» يكون عندهم قُدرة على التضحية (حتّى وإن كانت التضحية دي عشان نفسُهُم في الآخر). هُمْ شُجعان طبعًا اللي بيطلعوا مظاهرة في ظروف زي بتاعتنا دي، بس قصدي انّهم يبقوا أبطال، ده بيَعني فقط ان بقية الناس بقوا جُبَنا!

ما يُطلَق عليه تضحية بَرضُه أنواع كتير؛ اللي بيضحّي عشان حاجة لنَفسُه، غير خالص اللي بيضحّي عشان الوطن، غير خالص اللي بيضحّي عشان ولاده، غير اللي بيضحّي عشان ناس مايعرفهُمش، غير اللي بيضحّي عشان مبدأ، عشان فكرة، غير اللي بيضحّي عشان المُستقبل اللي مش حيشوفه، كُلّهم مش زي بعض.

يمكن مافيش حاجة ببلاش أبدًا ولكل شيء تمن فعلًا، بس الأكيد الأكيد كمان ان كُل حاجة مُهمّة تمنها غالي، واللي مش مُستعد يدفع التمن مش حيَحصُل عليها أبدًا.

ومن الجدير بالذكر والثابت علميًا ومعمليًا أنّ التضحية لا تجوز لا تجوز لا تجوز إلّا بكل ما هُوَ غالٍ ونفيس، وإلا ماتبقاش تضحية..

ماينفعش تضحّي بوقت وانت أصلًا صايع، ماينفعش تضحّي بفلوس وانت أصلًا غني.. اللي يضحّي بحاجة لازم يبقى محتاجها وياحَبّذا يكون حيموت عليها، أُمّال حتتسمّى تضحية ازّاي؟ يمكن ماينفعش تضحّي بحياتك نفسها لو انت أصلًا شايف حياتك مش مُهمّة وعايز تموت.. يَتوجَّب على الأُضحية أن تكون غالِية نفيسة تَعَزّ على النفس ويصعُب عليها فُراقها.

تحية إلى كُل من عِندَهُم ومن عِندّهُنّ تلك القُدرة وتلك القوة وذلك العَزم وتلك الإرادة التي تُمكّنُهم من التضحية.. تحيّة لكلِّ من يقولُها في الحقِّ ويَعنيها «مهما كان التمن».. تحية لكم جميعًا على ما علّمتمونا من سمات الشرفاء النُبلاء الشُجعان، اللي للأسف مابَقاش منهم إلّا القليل.

عن الإيمان بالناس

أكيد الناس كلُّهم مابيخافوش زي بعض، بس بالنسبالي انا مُرعبة الحياة. رُعب بجَد لإنه دائم ما دامت حياتك. في أغلب الأحيان بَحِس انّي يمكن شجاع ويمكن قوي ويمكن مؤمن لكن بَرضُه ومع ذلك كُلُّه مرعبة الحياة!

مرعبة الحياة عشان كُل حاجة عندك، كُل حد بتحبه، كُل حاجة فاكرها بتاعتك ممكن تروح منّك في لمح البصر أو حتّى أسرع. فكرة مُرعبة طبعًا إلى درجة تُصيبَك لو استسلمتلها بجنون الارتياب.. ازاي أبُص لولادي واتحمّل فكرة انهم ممكن يحصلُّهم حاجة وحشة؟ ومش صعبة يعني، أسهل حاجة. ازّاي ممكن الواحد يحس بالأمان في الدنيا المتقلّبة المُتغيّرة اللي بتغيّر اتجاهها في أي ثانية من غير ما تستأذن ومن غير حتّى ما تقولّك!

فيه ناس بيفتكروا ان الفلوس بتعمل أمان، انا عمري ما كُنت غني يعني ولله الحمد بس أعتقد ان الفلوس الكتير ممكن فعلًا تعمل نوع من أنواع الراحة اللي «قَد» تؤدّي إلى طُمأنينة، لكن في عيني أنا هيَ

طُمأنينة مُزيّفة مش حقيقيّة، ببساطة عشان بالنسبالي أنا بَرضُه طُمأنينة يعني طُمأنينة كاملة متكاملة من مجاميعُه، طُمأنينة يعني أبقى عارف بل مُتأكد ان مافيش حاجة وحشة ممكن تحصل أبدًا، ولو حصلت حاطْلَع منها زي الشعرة من العجين ولا كإنّها كانت.. وطبعًا ده مُستحيل حتّى لو عندك الدُنيا كُلّها.

ازاي في عالم كُلُّه معمول من قزاز ماتترعبش لَكُل حاجة تتكسر!

وبيتَعقّد الموضوع كمان عشان الحاجات مش بس ممكن تروح من تلقاء نفسها كده بِفعل القدر أو بِفعل الطبيعة أو بِفعل حد من الناس، لأ انت نَفسك كمان ممكن تبقى ماشي طول عُمرك بتاخد قرارات سليمة ومرَكِّز وبتذاكر ويبدو لك الأمر ان كُل شيء تحت السيطرة، وبعدين تاخد قرار واحد غبي جِدًّا، وطاااخ تلاقي ان الحاجات بتروح والحياة اللي انت فاكرها «متستّفة» بتبوظ وكُل حاجة بتتغيّر. قرار واحد بس، شمال أو يمين واحد بس، لحظة واحدة بتاخد فيها قرار واحد وكُل حاجة ممكن تتغيّر، وتبقى كمان ماعندَكش حد تلومه غير نفسك.

إوعوا تكونوا خُفتوا ولّا حاجة!:) والله مش قصدي أخوّفكو بل قصدي أجمِّد قلبُكو، عشان بالرغم من ان الرعب ده هو أسوأ ما في الدنيا إلّا إنُّه عَندُه نفسُه ميزتين عبقريتين؛ أولهم ان ده المفروض يعني المفروض، يخلّينا نشوف الأمور من منظار مختلف؛ لو عِرِف البني آدم انُّه لا يملُك ما مَعُه فعلًا، حيتصرف بطريقة أحسن أكيد، لو فهم

البني آدم فعلًا ان «الدنيا فُنْيا» حَيرَتّب أولوياته بشكل مختلف أكيد، لو صَدّق فعلًا ان إلهُه هو الوحيد اللي يقدر يحميه إن شاء، حتتغيّر علاقتُه بالإله أكيد.

الفكرة دي الأديان بتطرق بابها كثيرًا، بس للأسف غالبًا لإنها فكرة عميقة جِدًّا، بيصعب الوصول لقرارها على أغلب الناس حتى لو كان المَدخل إن كُل متاع الدنيا زائل وكُل ما عليها فان إلّا وجهُ الله. وحتى لو كانوا الناس دول من ثقافات بتَتَمسّح في الدين وبيقولوا انّهم عارفين ان فيه خلاصهُم.

طَب نوصلّها منين يعني؟ أصل كُل واحد في الدنيا يقدر يفهم الفكرة دي كويّس وحتّى يرغي عنها (لو بيعرف يرغي) لإنها بالرغم من تَعَقُّد تطبيقها هي بسيطة جِدًّا في فَهمَها؛ كُل الناس راح منهم حاجات وحتّى اللي ماراحش منُّه يعرف كويس يعني ايه يروح منّك ما تُحِب أو من تُحِب. وكُلّنا كمان عارفين كويس ان حتّى لو ماراحش منّك حاجة أبدًا وقعدت تلم الدنيا كلها وترصّها على أرفف حياتك، في يوم من الأيام غيرِ بَعيد مقارنةً بعُمر الزمان، بتموت وتسيب الأرفف بما عليها ومابتاخدش معاك حاجة خالص... ما كُلّه عارف الكلام ده، فين بَقَه! ليه مش باين علينا؟

أعتقد ان مش باين علينا عشان المدخل بتاع ان دي فكرة دينية مرتبطة بالإله والعبادة والحرام والحلال هو مدخل مابيساعش كُل الناس، أكيد مش كُل الناس بتقدر تستوعِبُه. وإلّا كان كُل واحد مؤمن بربّنا يبقى ماشي في الدنيا بِقَلب أسد جَسور ومايخافش منها أبدًا،

يروح منُّه اللي يروح ولا يطرَفْلُه جِفن، ولا يكَشّر ولا يِتْضايِق حتّى، ويِتْضايِق ازاي وهو مؤمن ان فيه إله إليهِ الأمر!

يمكن المُشكلة دي منبعها ان البني آدم ممكن يكون مابيبقاش عارف يُسَلّم أمرُه إلى الله فعلًا لحَد ما يطّمّن ان رَبّنا بيحبُّه. وعشان يطّمّن، محتاج يعرف رَبّنا شايفُه ازّاي، وللأسف مابيقدَرش يعرف؛ ممكن يَعتقد، ممكن يحِس، ممكن يصدّق حتّى، لكن مايقدرش يعرف على وَجه اليقين.

وممكن تكون من أسباب اللخبطة دي ارتباط علاقة البني آدم بربُّه بالعبادة واتّباع الدين؛ واحد مابيفوّتش فرض وبيحج كُل سنة مثلًا *(وعلى فكرة كتير من اللي مورينّا النجوم في عز الضهر دول بيعملوا كده فعلًا)* فلو جيت سألت الشخص ده: «تِفتكر رَبّنا شايفك ازاي؟»، حيقولّك عَلَطول «انا مابفوّتش فرض، وبَحج كُل سنة، وبَعمل عُمرة في النُص كمان، ده غير مائدة الرحمن في رمضان، والزكاة اللي بَدفعها بزيادة، تفتكر حَيكون شايفني ازاي يعني»! الراجل قد يبدو عنده حق، «ما انا كلّه تمام أهُه، عايزين منّي إيه تاني؟!» في حين انُّه مُمكن يبقى بيعمل كُل العِبادات دي وهوّ شَخص وحِش جِدًّا؛ مؤذي، ظالِم، نَفعي، ميِّت على الدنيا، أي حاجة وحشة.. بس لإنّه بيعمل الفروض والعبادات اللي بيعملها، ممكن يبقى فاكر نَفسُه كده كويّس!

بس الأديان ماجاتش للبني آدم عشان تعلّمُه عن الإله وعن طُرُق عبادتُه بس، بل هي في مُعظَمها مبنية على تعليم المؤمنين بيها عن حقوق الناس؛ ماتسرقش عشان ماتاخدش حاجة بتاعة

حد، ماتكذبش عشان ماتخدعش حد، ماتظلمش حد، إبقى كريم مع الناس، حِبُّهُم، لا تَقْتُل، لا تَزنِي، إرحم من في الأرض يرحمْكَ من في السماء، ما كُلّها حاجات بتاعة الناس أهِه... طَب ما نستعمل الناس دول في اننا نحاول نعرَف احنا عاملين ازّاي فعلًا، يمكن نفهم عن طريقهُم رَبّنا شايفنا ازّاي، فَنطّمن وتتحل المُعضِلة أو نِقلَق فندَوّر على حَل.

فده ما هو إلّا اقتراح لمدخل مختلف للفكرة اللي من شأنها لو وصلت لقلب البنى آدم فعلًا انّها تغَيّر فيه كُل حاجة للأحسَن، مدخل بيَسْهُل عن طريقُه انّك تقيّم نفسك بحَق وتعرف فعلًا انت ماشي في أنهي اتّجاه، ولَو اطّمِّنت لاتجاهك حيقِل خوفَك وتزيد ثقتَك، ويمكن ساعتها تِقدَر فعلًا ترمي حُمولَك على الإله.

والمدخل أعتَقِد هو انك تِفصل الاتنين عن بعض *(قبل ما ترَكِّبهُم على بعض تاني!)*، رَبّنا شايفك ازاي، دي حاجة بينك وبينُه تحاول تعرفها بإنّك تبص في قلبك.. الناس اللي حواليك ويعرفوك بَقَه شايفينك ازاي؟ دي حاجة أسهل بكتير تقيسها. وفي الآخر طريقتين الحساب انا متأكّد انهم على الأقل قُريّبين من بعض جِدًّا.

بالنسبة للناس اللي يعرفوك؛ لمّا تمشي من هنا كُلّه كُلّه بيروح إلّا سيرتك، إسمَك، فاكرينك الناس دول بإيه، كُنت هنا بتعمل ايه، كُنت بني آدم عامل ازاي.. ودي الميزة اللي بتَحمِلها في طيّاتها تلكَ الفكرة المُرعِبة اللي بدأ بيها الكلام؛ هي ان كُل واحد عَندُه فعلًا ما لا يُمكن أن يَفقِدُه أبدًا: نَفْسُه.. سيرتُه.

لو السؤال: أنا مين؟ تبقى الإجابة: أنا كُل اللي بَفكّر فيه وبعمِلُه كُل يوم، إنْ خيرًا فخَير، وإنْ شرًا فَشرّ.. والمِلكية دي جايّة من إن ماحَدّش أبدًا يقدر يفرِض فكرة على حد؛ ممكن توحِي لحد بفكرة، ممكن تتكلم مع حد عن فكرة، ممكن حتّى تقنع حد بفكرة، بس دايمًا دايمًا القرار بتاع انت قبِلت الفكرة دي أو ماقبِلتهاش هو قرار انت بتاخده لوحدك، زي بالظبط ما انت الوحيد اللي بياخد قرار بتاع تعمل إيه وماتعملش إيه.

فَاللي في القلب يعلَمُه خالِقُه، والعبادات والصلاة والصوم لربّنا مانِعرَفش عَنهُم حاجة ومالناش دَعوة بيهُم، وبعدين من أفكارك (الّتي يعلمها الناس) ومن أفعالك (التي يَراها الناس) بتتكوّن كُل يوم ببطء وتؤدَه واستمرار، سيرتك. الحاجة الوحيدة اللي بتمتلكها فعلًا لإن ماحَدّش يقدر ياخدها منّك أبدًا.. الفلوس تروح وما تملك يروح وانت نَفسك تروح وتفضَل سيرتك. الناس حتقول عليَّ إيه بعد ما اموت؟ حيقولوا نفس اللي بيقولوه دلوقتي (مع *إضافة كلمتين تَرَحُّم، أو كلمتين يُتبِعُهم حد ابن حلال بـ«اذكروا مَحاسن موتاكم»*).

وبعدين ناخد الفكرة دي من هنا ونرجع تاني لربّنا لو عايزين، أعرف الناس شايفاني ازاي، أعرف نفسي كما يراها الناس، وبعدين لما أخلّص الواجب ده احاول بَقَه أحِل السؤال الأصعب، أحاول اعرف إلهي اللي عارفني أكتر من الناس وأكتر منّي شايفني ازاي...

ومربَط الفرس أعتَقد، ان مش ممكن الناس تشوفك وحِش ويشوفك الإله جميل، مش معقول يتّهمك الناس بالشر وتبقى حقيقتك اللي يعرفها الإله انك طيّب، أكيد ده مربوط بدَه..

سيرتك عَند الناس اللي يعرَفوك فعلًا، هي كُل ما تملُك في الدُنيا فعلًا.. كُل ما تملُك..

Don't try to become a man of success, but rather a man of value.

Albert Einstein

ماتحاولش تبقى شخص ناجح، حاول تبقى شَخص لُه قيمَه..

ألبرت أينشتاين

عن الدِّبيحة

مش بتاعة العيد الكبير لأ، ده دي عاملين عليها فتّة طول السنة مش بس في العيد! مين؟ مصر الحلوة الغلبانة، مربّطينها من كُل حتة وبيشدّوا فيها بقالهم كتير (مش مُتَأكّد هي كده وقعت خلاص ولّا لسّه حتُقَع زيادة).. بس حتّى لو وقعت، بَرضُه لسّه فيه فُرصة تقوم، يا رب تكوني لسّه ماتدبـحتيش يا مصر وربنا يعينِك عالسكاكين اللي عمّالة تقطّع منّك حتت وانت صاحية مامُتِّيش.

انا الحقيقة ماكانش في نيّتي أخلّي الموضوع دراماتيكي كده، بس اللي طِلِع بَقَه. أصلها صورة قبيحة جِدًّا بصراحة، قُبح يُدمِع الأعيُن ويَعصِر القلوب (اللي بتحِس). مصر العزيزة الغالية دار بيها الزمان ولف وبقت دبيحة، ملموم عليها شويّة غَجر كُل واحد عايز منها حاجة.

فيه ناس صحيح لسّه بتحبّها؛ أغلبهم بيحبّوها وخلاص، أهو كلام والكلام ببلاش. وقلّة منهم اللي قلبُهُم واجعهم عليها فعلًا؛ شويّة من دول عمّالين يناطحوا وبيعملوا اللي يقدروا عليه بس للأسف الكثرة

تغلِب الشجاعة. وشوية بيطبطبوا عليها ويجيبولها بُق مَيّة ويقولولها إجمدِي وماتُقَعيش دلوقتي، لسّه فيكي نَفَس.

وشوية بياكلوا على قفاها عيش؛ اللي عمّال ينادي «اللي ما يشتري يتفرّج» واللي مستعمينها وواقفين في وسط الناس لابسين بِدَل لم يَطَالها التراب وبيؤكّدوا ان مصر فوق الجميع ومافيش سكّينة ممكن تطول رقبتها أبدًا.

كتير ماليين التليفزيونات والجرايد عمّالين يَرتَزِقوا من مصيبتها (*عارفين المِعدّدة اللي بيجيبوها في الأرياف والمناطق الشعبية تصوّت وتعدّد عالمَيِّت وتاخد فلوس وهي مروّحة؟ أهُم زي دول بقوا كتير*). وفيه معصوبي الأعيُن على كَذّابين على منافقين بيقولوا ان مافيش حاجة، «احنا مش شايفين سكاكين!». وفيه حراميّة كتير، وفيه مجانين أكتر.

مش عارف المفروض أفسّر يعني مين في دول يطلع مين في الناس اللي انتو تعرفوهم ولّا لأ، بس خايف يُقال عنّي اني باكُل عيش على قفا اللي بياكلوا عيش على قفاها. وبعدين مش عايز أعيِّن نفسي حَكَم. ومش عارف نوايا الناس، فيه منهم أشرار صحيح بس عسى أن يكون فيهِم شُرفاء.

وقُلت بدل ما أجيب سيرة الوِحِش حَجِيب سيرة الكويّس، نعرفه منين الكويّس؟ العِلم والعدل.. اللي بيتعلّم «بجَد» مش منهم واللي بيعلّم بجَد مش منهم، واللي بيحارب عشان الحق مش منهم، واللي مابيقولش كلام ويعمل بكلام تاني مش منهُم، والشُجاع والشَريف

والجَدَع والأمين والحقّاني واللي ضميره صاحي وابن البلد اللي قَلبُه عليها مش منهم.

وانا وانت!.. ورقّصني يا جدع..

أهي الدراما قَلَبِت بَرقص في الآخر أهِه! مين عارف حَيِحصل ايه بعدين!!

عن الفرحَة اللي مابتخلصش

النّهارده حصلت قصة كده حَحكيهالكو الأول وبعدين أقولُّكو عَمَلت فيَّ إيه؛

قبل ما ابدأ أكتب الموضوع ده بـحوالي ٤ ساعات، كان حجم ما كُتِب من هذا الكتاب حوالي تِلتُه أو أكتر شويّة (الفصول كثيرًا ما بيتغيّر ترتيبها، بس هو بالصُدفة في مكان كتابتُه دلوقتي).. انا مِتعوِّد وانا بَكتِب انّي كُل يوم بعد ما اخلّص شُغل أعمل نسخة جديدة من الملف عشان ابدأ بيها تاني يوم وهكذا، المشكلة بَقَه ان ده بيحصل لمّا أقرّر اني خلاص مش حَعْرَف اكتب تاني النّهارده، بس لو لسّه ماقرّرتِش، بيفضل فيه أمل كده إن فيه حاجة ممكن تطلع من وسط تضييع الوقت الرهيب، وقراية صفحتين من كتاب، وبعدين قراية صفحتين تانيين من كتاب تاني، وبعدين حاجة تتّاكل، وبعدين نشرب إيه بَقَه؟ وبعدين حتّة من فيلم وحِش (الفيلم الحلو بيِكمَل)، وبعدين بحلَقَة في السقف إلخ إلخ.. لمّا الحاجات دي بتحصل فيه حاجتين مُهمّين بيحصَلوا معاها؛ أوّلًا انّي بَلاقي نَفسي مش عارف

اكتب فَبَستغِل الوقت في إنّي أقرا مواضيع قديمة واغيّر فيها واصلّح فيها واعمِل تعديلات (*هِيَ أصعب في تَذَكُّرها من الكتابة نَفسها*)، والحاجة التانية ان مابيبقاش فيه قرار بتاع ان خلاص مافيش شغل النّهارده فَالـ backup مابيِتعملش.. طبعًا انتو توَقّعتوا خلاص القصة حصل فيها إيه. النّهارده تحديدًا كان بقالي حوالي ٥ ايّام بحالهُم ماعملتش نسخة تانية من المكتوب بالرغم من انّي اشتغلت كتير (شُغل بتاع التعديلات ده الأصعب في تتبُّعُه ها!).. وإذ فجأةً حصلت حاجة غلط في الكمبيوتر وانا شغّال، وباظ الملف مش راضي يفتح، حاولت على كمبيوتر تاني قُلت يمكن، بس ماأمكَنش! كلّمت واحد صاحبي من خبراء الـ IT سألتُه لو فيه حاجة ممكن تتعمل، قالّي ابعتهولي أحاول فيه، بعتّهوله فعلًا، وكلّمت واحد صاحبي تاني وحصل نفس الحوار وبعتّهوله بَرضُه.

بعد شويّة كلّمني الصديق نمرة واحد قالّي «آسف جِدًّا، مافيش أمل» كتمتها في صدري (أنا ممكن على فكرة أعيّط عادي لو جُملتين راحوا مش تِلت الكتاب:) بس ماعيّطّش ولا حاجة، قلت لسّه فيه أمل. رن التليفون كمان شويّة ليست بكَتِير وشُفت اسم صديقي نمرة اتنين المتمثّل فيه الأمل على التليفون قلبي ارتجف، ردّيت بخوف وانا مُتَوقِّع انُّه حيقولّي hard luck هو كمان، وإذ به يقولّي انُّه فتح الملف وحيبعتهولي عشان أشوفه، فرحة عارمة يا جماعة من اللي بتشُق القلب دي، تهييص بتاع عيال وتشكُّرات كتير لأحمد جابر صديقي العزيز المُخلص الوفي اللي كُتب على إيده اني أحس بتلك الفرحة المُبهِجة.

فتحت الملف اللي بَعَتُه أحمد، لقيته سَليم بس الكلام مكتوب

بالمشقلب! (ترتيب الحروف جُوّة الكلمة بالعَكس، وترتيب الكلمات في الجملة بالعكس، وترتيب الجُمَل في الفقرة بَرضُه بالعَكس، وكمان مش دايمًا!). قلت مش مهم، على الأقل ممكن بمجهود أقرا واكتب تاني. بس جرّبت أعمل كده لقيت انُّه مستحيل، قعدت أدوّر كتير على حل لحد ما يئست. والغريب جِدًّا كان: اني ماكُنتِش بالرغم من يأسي متضايق زي ما كُنت متضايق الأول. مع إني ضاع منّي بَرضُه نفس اللي كان ضاع منّي الأول!

النهاية السعيدة لتلك القصة جَت بإني جرّبت حل عبيط جِدًّا، وبالرغم من سهولة تنفيذه إلّا إنُّه أثبت انُّه عبيط بس عبقري، لإنّه صلّح الملف في خطوة واحدة وقعدت بعد الاحتفال أكتبلكو الكلمتين دول.

أمّا الحاجة الغريبة اللي حصلت فهي اللي خلّتني أفكّر في «الفرحة اللي مابتخلصش»، قد إيه الفرحة لما تبقى حقيقية (حتّى لو كان سببها عبيطا!) بتدخل تسيب بصمة كده لا تُمحى على قلب صاحبها، بصمة حتى لو زال سبب الفرحة نَفْسُه حتفضل موجودة، ممكن تكون مش بصمة دائمة آه بس مين عارف يمكن حتّى يكون ليها أثر دائم!

الحُزن كمان، غالبًا ممكن يكون عنده نفس التأثير، بس سيبكو منُّه دلوقتي، خلّينا في دي بس، الفرحة اللي مابتخلصش أبدًا...

اقفلوا الكتاب دلوقتي، اقفلوه وفكّروا فيها براحتكو، فيالَها من فكرة، وبعدين ابقوا كمّلوا..

أتمنّالكُم وأتمنّالي فَرْحات كتير.. من اللي مابتِخلصش أبدًا...

عن الدنيا اللي مابتدّيش محتاج

هي ليه صحيح بتعمل كده!

هي طبعًا الدنيا مابتِعملش حاجة احنا فاهمين، بس المقصود هو انّها عاملة كده فعلًا، خلَقها رَبّها كده، مابتدّيش محتاج.

تيجي المصايب لناس أفواجًا كَموج البحر، ويجوع الجعان، ويَعْرَى الغَلبان، ويلاقي الوحيد نَفسُه لوحدُه.. ويلاقي الطريد مليون غَفير... وتبدو الحياة لأغلب أبطالها أنّ لا راحَةَ فيها أبدًا.

ليه ماكانِتش أسهل الحياة؟! يمكن يكون ده تفسير فكرة ليه الجَنّة مُذهلة لأغلب بني آدم كده؟ عشان الجَنّة كما نَتصَوّرها سهلة، سهلة جِدًّا؛ أكل وفاكهة ومَرعَى وسندُس وأنهار ولبن وعسل ونعيم.. وَالحياة ليست كذلك.. يمكن يكون ده السر؛ ان البني آدم لو كانت حياتُه أسهل ماكانش حَيعُوز غيرها! أو يمكن عشان الدنيا كده فعلًا طَعمها أحلى وهيّ صعبة.

الفكرة تبدو منطقية جِدًّا، لو كُل حاجة عازها البني آدم لقاها أكيد ممكن يزهق!؛ مش احنا بنشوف بعنينا الفرحة بتاعة انّك تبقى

نِفسك في حاجة بَقالك كتير، وبعدين لمّا يحصل اللي كُنت مستَنّيه وعايزُه، تلاقي قلبكْ «يرقُصُ فَرَحًا»؟ لو كُل حاجة عازها البني آدم لقاها، فرحته بيها مابتبقاش نفس الفرحة بتاعة اللي بيستنّاها ويتمنّاها ويدوّر عليها، لَن يَرْقُصَ قَلبهُ فَرَحًا لمّا تِحصل...

بس بَرضُه حاجة غريبة ان الدنيا مابتدّيش محتاج!

اللي مش فارق معاه حاجة بتجيلُه من غير حساب، واللي حيموت عليها ممكن يموت عليها فعلًا وبَرضُه مايطولهاش. صحيح دي مش القاعدة الوحيدة، بتِحصَل حاجات لناس كتير بطُرُق مختلفة، بس بَرضُه هيّ قاعدة.. فيه ناس بتعوز حاجة وبيقَضّوا أعمارهم بيجروا وراها وبيَحْصُلوا عليها فعلًا، بس كمان ممكن يكونوا بيبقوا عايزين حاجة تانية خالص، محتاجين حاجة تانية خالص ومابيطولوهاش أبدًا!

عارفين لما الواحد يبقى مستعجل جِدًّا عايز ينزل بسرعة ودايمًا هو ده اليوم اللي يضيّع فيه وقت زيادة بيدوّر عالمفاتيح مثلًا، إشمعنى؟ صحيح ممكن يكون عشان الواحد وهو مستعجل بيبقى أداؤه أضعف ومابيبقاش مِركّز كفاية، لكن بَرضُه اشمعنى في تلك الأيّام بالذات اللي المفتاح مابيبقاش في مكانُه أصلًا!

يمكن «الدنيا» عاملة كده عشان تعلّمنا مانموتش عليها! يمكن عاملة كده عشان تقولّنا ان هيّ اللي لازم تجيلَك لإنّك لو حاولت تمسكها مش حتعرف؟ ولّا يمكن الدنيا مابتدّيش المحتاج عشان مابتحبُّوش! مابتحبّش زَنُّه، مابتحبّش انُّه خفيف، زي الستّات؛ مابيحِبّوش الراجل الخفيف.. التُقل صنعة اتعلّموها بنات حوّا من الدنيا.

هوُ غالبًا كده فعلًا.. طَب بقولِّك ايه يا دنيا، أنا مش عايز منِّك حاجة... غير بس الستر والصحة وراحة البال وسعادة العيال (ومصاريف مدارسهم)، مش عايز غير اني كُل ما اكتب كتاب يقروه بمئات الألوف الناس، ومش عايز غير انّي أوّل ما اطلع في التليفزيون بقية البرامج تغِير، وكُل ما اطلَع في الراديو الناس تركن العربيات عشان ماتفوتهُمش كلمة من الدُّرر اللي بقولها! مش عايز غير أنْ يَذكُرني التاريخ بالخير، ويفخروا ولادي بإسمي قبل ما اموت وبعد ما اموت... ولو غيّرت العربية عشان قِدْمِت مش حاتضايق يعني، ولو بنيت البيت اللي في دماغي حَبْقى مبسوط. ولو بَقَه شويّة «كاش» زيادة كده في البنك عشان الظروف والإحتياط والشعور الزائف الأمان، يبقى جميل واللهِ..

مش عايز حاجة خالص منِّك أهُه، مابتجيش ليه بَقَه الحاجات؟! ;)

عن شريط الحياة

تخيَّلوا كده ان كُل واحد حياتُه عبارة عن شريط سينما طويل، بيمشي من أوّل ما ييجي الدنيا لحد مايسيبها، دايمًا بنفس السُرعة.. ساعات الأحداث تبقى رتيبة فِتفتِكرها ماشية بسرعة أبطأ، أو تبقى الدُنيا بيحصل فيها حاجات كتير ورا بَعض فتَتَصوّر انّها بتجري، بس في الحقيقة هيّ دايمًا ماشية بنفس السُرعة!

الحاجات المهمّة زيّها زي الحاجات اللي مش مُهمّة؛ كُلّهم بيشغَلوا نفس الحَيّز الزمني، وكُلّهم بيمشوا دايمًا بنفس السُرعة.

والمُثير في الأمر كمان هو ان طول الوقت فيه حاجة بتحصل في الفيلم، حتّى لو كان المشهد اللي انت شايفه عبارة عن واحد نايم (انت نايم)، بَرضُه فيه حاجات بتحصل في حياتُه؛ حد بيقول عَنُّه حاجة، حد بيفتِكرُه بحاجة، حد بيحَضَّرلُه حاجة، حد بيحِبّه، حَد بيكرَهُه. دايمًا فيه حاجة بتحصل (*حتّى لَو كان حيعرَف عَنها بعد ٢٠ سنَة، وحتّى لو كان عُمرُه ماحيعرَف عنها!*).. دايمًا الفيلم شغّال مابيُقَفش.

ـ طَب عايز اتفرّج عالحِتّة دي تاني.

ـ *مافيش تاني، هِيّ مرّة واحدة بس.*

ـ طَبماينفعش نُقف شويّة، أفكّر بس في المشهد اللي فات؟

ـ *أُقَف انت فَكّر لو عايز، انا مابَقفش.*

وزي في السينما فعلًا: لو بس ضحكت زيادة شويّة فصوتك عِلي زيادة شويّة والممثل اللي في المشهد اتكلّم، مش حتسمع قال إيه. لو سَرَحْت ثانية واحدة ممكن تفوتك حاجة مهمة (وحنَعتَبِر ان مافيش حد تسأله «قال إيه؟») كُل حاجة بتتقال مَرّة واحدة بس، وحتّى لو حد حكالك اللي حَصَل، بَرضُه مش زي ما تشوف بعينَك انت وتسمع بودنَك انت.. وبَرضُه زي السينما: لو الناس اللي حواليك عملوا دَوشَة، فيه حاجة في الفيلم وَلَو صُغَيّرة جِدًّا حتفوتك.

ـ طيّب ماينفعش نِجَرّي الحتة دي؟ أصلها بايخة جِدًّا.

ـ *لأ .. مابنجَرِّيش.*

ـ طَب ماينفعش.....

ـ *لأ بَرضُه.*

ماينفعش أي حاجة غير ان الفيلم يفضل يلف طول الوقت من يوم ما تيجي الدُنيا ليوم ماتمشي. وكُل ما تُقف عشان أي سبب حيفوتك حاجة.

أحلى حاجة بَقَه في تصوّر ان الدنيا عاملة زي ماتكون فيلم، هو ان بالرغم من انّك ممكن تَتَفاعل بشَغَف مع الفيلم اللي انت بتتفرج

عليه؛ ممكن تعيّط، ممكن تفرح، ممكن تَتَعاطف، ممكن تتوتّر، ممكن تحذَّر البطل بصوت عالي (كإنّه سامعك!)، إلّا انّ في الآخر بعد ما بيخلَص الفيلم، خلاص خِلِص الفيلم. ممكن صحيح يسيب أثر على نفسك؛ سواء كان أثر سعيد ومُبهِج أو كان أثر بايخ تعيس، سواء كان أثر طويل المَدى حيغَيّر فيك حاجة للأبد أو لأسبوع، لكن في الآخر بترجع لحياتك لتَنشَغِل بأمورك، وتسيب اللي حصل في الفيلم يروح لحالُه.

إيه المانع بَقَه إنْ الواحد يتعامل مع الفيلم بتاع حياتُه نفسها كده؟ تنفعل، تشتَرِك، تتأثّر، بس تتعامل مع اللي بتشوفه ده كُلّه على إنُّه شاشة سينما عملاقة بتِعرض فيلم طويل (الفرق الأساسي ان الفيلم ده انت بتشتَرِك في كتابته وهو بيحصل).

لو شاف البني آدم حياتُه على إنّها فيلم حيزيد استمتاعُه بيها أكيد؛ حيِتفَرّج من بعيد شويّة فحيشوف أحسن، حَيشوف صورة أكمَل، وحيقدَر يتأمّلها من غير تَوَتُّر وعَصبيّة وقِلِّة صبر.

ولو حد ممكن يفكّر ان الفرق بين الفيلم والحياة هو ان الفيلم شيء مؤقت عكس حياتك اللي بتدوم ما دام عُمرك، ماهِي بَرضُه الحياة مؤقّتة، فيلم طويل شويّتين!...

كلّنا عارفين اننا حنموت في آخر الفيلم.. عادي، هو احنا صحيح مش عارفين ازاي وفين وبعد قد ايه، بس عارفين.. زي بالظبط نوع من أنواع الأفلام بتبقى عارف حيخلص ازاي لإن المخرج قَرّر يقولّك في أوّل مشهد (أو لإنّه فيلم ساذج)، بس بَرضُه بتتفرّج على الفيلم

عشان تعرف بالظبط ايه اللي حصل، وحَصَل ازّاي، عشان تتابع القصة، عشان تعيشها.

فلنَعِش قصَصَ أفلامِنا مَشهدًا تِلوَ الآخر.. وعسى ان مايفُتناش منها حاجة مهمّة أبدًا.

حلوة «تِلوَ» دي صح؟

قصيدة الجبنة!

كُل ما اجيب جبنـة..

كام يوم كده، وتخلص الجبنة!

أجيب جبنة تاني..

كام يوم كده بَرضُه..

وتخلَص الجبنة تاني!

قلت طَب اجيب جِبنَة كتيـــر..

جبت جِبنة كتير..

باظت!

فجبت جِبنة تاني!!

أنا عارف انّها مش قصيدة ولا حاجة، انا بس «بَناغِشكو».

بتجننّي حكاية الأكل دي، الأكل بالذات دونًا عن مستلزمات البني

آدم التانية كُلّها. كُل حاجة في حياتك صحيح بتحتاج صيانة يا إمّا بتبوظ أو بتعطل أو بتُقَف؛ شُغلك، بيتك، أهلك، حبيبتَك (أو حبيبك عشان البنات مايزعلوش)، إصحابك، جسمك، عَقلَك، روحَك، كُل حاجة محتاجة صيانة.. إلّا إن الأكل ده موضوع لوَحدُه.

فكرة انّك على طول بتاكل، كلّ يوم بتاكل، كلّ يوم بتاكل، كلّ يوم، طول حياتَك، كلّ يوم، مافيش أجازة أبدًا. كلّ يوم محتاج تحط حاجة في بطنك عشان تفضل عايش وماتِعياش. المثير كمان ان القاعدة دي بتَسري مش علينا احنا بس ككائن بل على كُل كائن حي، طول ما انت عايش لازم تاكل.. الشجر والنبات الموضوع بالنسبالهم أسهل لإنُّهم مابيحتاجوش يتحرّكوا عشان يدوّروا على أكل؛ تسقيهم انت أو تسقيهم السما أو يوصلوا لمَيّة تحت الأرض يعيشوا، مافيش ميّة يموتوا.. التربة اللي مزروعين فيها غنيّة بالخيرات يكبَروا ويزهزهوا، غلبانة يبقوا زيّها غلابة.

سيبكو منهم بَقَه وخلّينا في كُل الكائنات التانية دي واحنا معاهم، الكائنات اللي على طول على طول بتدوّر على رزقها.. إيه العبقرية دي! عبقرية الإله في عيني لإن هو اللي عامِلها زي ما هُوّ اللي عامِل كُل حاجة. خلق رَبّنا الدنيا وهي مافيهاش مكان للكسل، لو قعدت على «تيبييييت» حتموت. ومش تقوم تدوّر على أكل فتاكل فتخلص المُشكلة لأ، بعد شويّة صغيرين أو كتير حسب نوعك حتجوع تاني، ولازم تاكل تاني. خلّى رَبّنا شرط الحياة الأول انك تتحرك وتدوّر على رزقك؛ كُنْت نملة أو كُنت فيل أو كُنت بني آدم.. فيه طبعًا ناس

وحيوانات كمان عندهم حكاية الأكل دي أسهل من غيرهُم؛ بيعيش الباندا حياته كُلّها مثلًا في وسط البامبو بياكل وينام ياكل وينام ياكل وينام لحد مايموت، وبيدوّر الجمل في الصحرا على أكل بالأيام والأسابيع (ممكن يقعد الجمل لو الجو مش حر ٤ أسابيع من غير أكل!) بس في الآخر بَرضُه لو ماكَلْش حَيموت.

مش عارف ليه حاسس انكو زمانكو فاكرينّي دلوقتي سوف أُلقِي على مسامعكم خُطبة عصماء عن أهميّة ان البني آدم يشتغل ويتعب عشان يعرف يعيش، لإن ده أوّل درس طبيعتُه بتعلّمهوله.. بس انا مش عايز أعمل كده، مُتأكّد ان الموضوع مش محتاج مُحاضرة يعني، أنا يمكن بس كُنت عايز ألاقي مكان أنشُر فيه قصيدة الجِبنة بتاعتي.. ;)

عن الطبيعة

مش معقولة أبدًا علاقتنا المُبهِرة ككائن بالطبيعة، ومش معقول أبدًا أبدًا ازاي أغلب من يعْمُرون الأرض بقوا أعداء للعلاقة دي!.. في ٢٠٠٨ ولِأول مرّة في تاريخ الكوكب بَقى فيه ناس عايشين في المُدُن أكتر اللي عايشين في أحضان الطبيعة (قبل التاريخ ده بـ ٢٠٠ سنة كانوا ٣٪ بس)، وصاحبة أكبر مساهمة في الوضع ده هي المُدُن الاتنين وعشرين العملاقة اللي بيسكن كُل واحدة فيهم أكتر من ١٠ مليون نَسمة وحتوصَل بعضها لـ ٢٠ مليون في ٢٠١٥. (في ٢٠٣٠ حيبقى من كُل خَمَس أشخاص، تلاتة من سُكّان المُدُن).

الدرس واضح جِدًّا من الأول، وكُلّه كان فاهمه ومذاكرُه.. عاشت البشرية آلاف السنين في حضن الطبيعة الأُم، وكُل حاجة كانت ماشية كويس.. وبعدين فجأة بدأنا نِستهبِل! بَدَئت البشرية لأوّل مرّة في التاريخ تخون الكوكب. والكوكب مش سهل تخونُه كده ويعدّيهالك وخلاص لأ، الكوكب انتقامُه شرّير.. ده من غير ما حد يعملّه حاجة أصلًا مليان براكين وزلازل وأعاصير وتسونامي وأمراض وبلاوي

سودة، واضح أهُه من الأول ان المسألة بالنسباله مش هزار. أُمّال لمّا نبوّظه كمان حيعمل فينا إيه!!

تجاهَل الإنسان كُل المؤشرات وتجاهَل أوائل الدروس اللي اتعلّمها على الأرض وبدأ يرتكب الجريمة التي لن يُمحى أثرها أبدًا، الجريمة اللي ممكن تخَلّص عالحياة بعد زمن لَيسَ بكثير.. خان البني آدم بغباء شديد الطبيعة وهو فاكرها مش شايفاه، أو تناساها، أو نسيها وهوّ بيجري ورا اللي هو عايزُه؛ نسيها وهو بيعمل مصانع، ونسيها وهو بيخرّج الفحم والبترول وبيحرقهم من غير حساب، ونسيها وهو بيلعب في النظام المخلوق من ملايين السنين، ونسيها وهو بيخلّص على الحيوانات وبيدّي البَقر مضادّات حيوية وبيرُش مبيدات على الزرع.. نسيها وهو بيبني مكان الطبيعة اللي مايقدرش يعيش من غيرها مدن مُتوحّشة انقَلَبَت عليه وأصبحت ألدّ أعداؤه.

انقَلَب طموح البني آدم عليه وتحوّل إلى جَشَع، لهفته على الحاضر نسّتُه المستقبل.. غِلِطنا وحندفع التمن، وحيِدْفَع من سيأتوا بعدَنا تمن أكبر.

أكتر حاجة كانت مُرعِبة بالنسبالي وانا بقرّر انّي أخلّف عيال كانت حكاية مُستقبل الكوكب دي، لكن بَرضُه استسلمت، استسلمت بعد ما فكّرت في عقل بالي قائلًا «انا مالي؟ عيالي دول مش بتوعي، دول بتوع رَبّنا، قدرهُم وقَدَر العالَم اللي حيعيشوا فيه مش انا المسئول عَنُّه، قَدَرهُم بتاعهم!»... بس بصراحة بصراحة كُل ما افكّر الدُنيا ممكن تبقى عاملة ازاي بعد ٢٠، ٣٠، ٥٠ سنة لو فضلنا بنعمل اللي بنعمله ده، بَبْقى حاسس انّي ورّطتُهُم شويّة.

بس بالرغم من القَتامة المُتَعلّقة بالموضوع إلّا ان فيه بصيص من الأمل ما زال موجود؛ ناس شُرفَاء ومُخلصين منتشرين في أنحاء المعمورة وإنْ كان عددهم قَليل، بيحاولوا يُنقِذوا ما يُمكن انقاذُه. ناس بيُفنوا أعمارهم في مُحاولة الحفاظ على البيئة بكل سكّانها.. حتّى الفَقمة والحيتان والباندا والنمور والأسود عندُهُم من يحاول الدفاع عنهُم باستماتَه.. والأهم النحل والنمل والحشرات اللي من غيرهُم تَفنى الحياة، عَندُهُم من يُطلقون باسمِهِم صافرات إنذار، قَليلون من يسمعونَها صحيح، بس الناس الحقيقة بيعملوا اللي عليهم، بيعملوا اللي يقدروا عليه «فعلًا».

كُل ما اشوف حد منهم في التليفزيون، فعلًا فعلًا بيلهمني. بتُلهِمني شجاعتهم، بيُلهمني اقتناعهم، وبيُلهمني انهم مش ساكتين، بيُلهمني انهم مش هاممهم حتّى انّهم غالبًا مش حيشوفوا نتيجة جُهدُهم «بَرضُه ما دُمنا نقدر عليه حنعمله» هكذا يُفكِّرون.

لمّا بَشوف واحد انجليزي قاعد في آسيا بقاله ١٠ سنين بيحارب عشان ينقذ القرود، ولمّا اشوف واحدة بقالها ٢٠ سنة مموّته نفسها بتلف العالَم عشان تنقذ النَحل، ولمّا بَشوف أي حد من اللي بيدافعوا عن الغابات والطبيعة زي مايكونوا عيالهُم دول، مابَعرفش أحس تجاههم بإيه؛ أحس بفخر انّهم من نفس جنسي، ولّا أحسّ بالعار من كُتر إخلاصهُم وتفانيهُم لدرجة بتُشعِرني بالندالة؟!

بس الأكيد الأكيد انّهُم بيفَكّروني بيعني إيه إخلاص، يعني إيه

تَفَاني.. يعني إيه تصدّق انّك ممكن تعمل فَرق، ويعني إيه لمّا تصدّق تعمل اللي انت شايف انُّه عليك.

كُل قُبّعاتي مرفوعة (ولو انّي ماعنديش ولا واحدة) بس لو عندي حارفَعهالهُم كُلّها.

«أينما كُنتُم، تحيّات من عند القوم اللي مابَقاش يِفرِق معاهُم حاجة غير نَفسُهُم».

عن الخيانة

الطبيعة الحقيقة مُبهرة في هذا الشأن زي ما هِي مُبهرة في بقية شئونها جميعًا. ازاي كُل حاجة في الطبيعة بتقولّك تتصرّف معاها ازاي وتعمل بيها إيه.. الفاكهة الحلوة مثلًا بتَتَجمّلّك عشان تختارها وتاكلها، بتِغريك بأكلَها عشان لمّا تاكلها حتستفيد؛ مضادّات أكسدة وفيتامينات ومعادن وأفخر أنواع الألياف، وكُل حاجة في الفاكهة مفيدة بالنسبالك.

وهِيّ نفس الفاكهة دي لما تبدأ تبوظ تحذّرك انّها حتبدّا تتأثّر؛ لونها يبدأ يتغيّر شويّة، يبقى عندها بُقعة طريّة، بس لسّه ممكن تاكلها عشان ماباظتش تمامًا ولِسّه فيه فوايد ممكن تَحصُل عليها منها. وبعدين بعد شويّة وقت، تبوظ بَقَه خالص فتبقى مافيهاش فوايد وكمان ممكن تبقى مُضرّة ليك. ساعتها تحذّرك، بتفهّمك انّها مابقِتش كويسة عشانك فبتخلّيك تقرَف منها وماتعوزهاش؛ ريحتها تبقى وحشة، تبقى طرية ومفعّصة والحاجات البايخة دي.. ولو قاوِحْت وبَرضُه كَلتَها، واللهِ لقد أعذر من أنذر؛ حتعْيا، بطنك حتوجعك، حتتسمّم، حتعاقبك وخلاص على انك ماسمِعتش كلامها.

الطبيعة في القصة دي شريفة وصادقة شأنها دائمًا.. دايمًا بتقولّك الحقيقة؛ اللي عايزاك تاكلُه حتقولّك انُّه حلو، واللي مش عايزاك تاكله حتفَهِّمك انُّه وحِش! إيه الأمانة دي!

علمًا بإن الطبيعة كمان مش عايزة تعلِّمك تبقى تافِه يعني بتدَوّر عالشَكل بس، ولا عايزاك تبقى عبيط فتصَدّق كُل اللي بتشوفُه، لأ لازم كمان تذاكر، ولازم تفَتّح عينَك عشان تاكُل مَلبَن! فتلاقي في الطبيعة نباتات شَكلَها عادي بس مسمومة؛ فيه مئات بل آلاف السموم في نباتات كتيرة جِدًّا جنبًا إلى جنب مع اللي احنا بناكلُه منها.. طَب هل تعلمون ان ورق نبات البطاطس والبَصل والطماطم سامّ؟ (مش سامّ بيموِّت البني آدم يعني، بس ممكن يسبّب مشاكل).. بذرة المشمش والكريز والخوخ والأفوكادو بَرضُه جُوّاها مواد سامّة (بس هي *كمان للأمانة بذور ناشفة مابتتكِسِرش بسهولة*).. أمينَة الطبيعَة، وكُل ما هُوَ سام فيها سواءً للبني آدم أو الحيوان، بيحاول يدافِع عن نَفسُه بس.. مش شرّير يَعني..

البني آدم بَقَه لإنّه مش شَريف زي الطبيعة أوي كدَه بيتصرّف بطريقة مختلفة؛ من أجل المال: يلعب في الجينات بتاعة الفاكهة مثلًا عشان يطوّل عُمرها فيخلّي طعمها أوحش، يروح منها الطَعم. ويخلّي حتّى فايدتها ليك أقل، أو حتّى يخلّيها تضُرّك ومن غير ما تاخد حاجة في المُقابِل! يجيبلَك سرطان عادي، مش مهم انت، المهم ان شَخص ما حيكسب فلوس من وَراك، من وَرا سرطانَك!

ينتِج البني آدم حاجة مُضرّة جِدًّا بصحّتك، وبتّخَّنك، وبتسمّم

جِسمَك ووحشة عشانك فعلًا، وبعدين يحطّوا عليها حاجات تخلّي طعمها حلو فيخدعوا فطرتك ويِغروك بأكلها وأنْتَ غيرُ عالمٍ بحقيقَتِها.

زميلك البني آدم في كثير من الأحيان ويمكن في أغلبها مش مهتم بيك، عايز يكسب وخلاص، لكن الطبيعة صديقتك، وصديقك من صَدَقَك القول.

حتى الأكل اللي انت بتعمِلُه؛ لو عملتُه بمكوّنات طبيعية يطلع أحلى، لو عملتُه بمكوّنات مُسرطنة يطلع أوحش. ويبقى فيه حاجة عايزة تُبقِي على عهد الطبيعة وتقولّك انّها باظت ويِخرِسوا صوتها بالمواد الحافظة والهرمونات «المُحسّنة للمظهر» فيخلّوها تعيش أطول بس تبقى خَرسا ماتِقدرش تتكلّم.

وناكل احنا أكل أشبه بواحدة سِت ممكن يكون شكلها حلو جِدًّا بس شرّيرَة، أو في أحسن الأحوال حلوة جِدًّا بس ماعندهاش روح.

مش عارف انتو واخدين الموضوع ده باستخفاف ولّا حاسّين بأهمّيته زيّي، بس انا مُتأثر بيه جِدًّا الحقيقة، متأثّر بيه لإنّه بيُشعرني شعور قوي بالخيانة..

مش حيقدر كُل واحد فينا يزرع أكلُه عشان يضمَنُه، ويربّي عجول وبقر يأكّلهم بنفسه أكل من اللي هو زارعه بنَفسُه، عشان يضمن سلامة اللبن واللحمة! مش حينفع كُل واحد فينا يربّي فراخُه! ولا يعمل منحَل عشان ياكل عسل مش مغشوش. ومش حينفع ندرِس كُلّنا كيميا

عن اللبس العريان والمتغطّي

إتردّدت أكتب في الموضوع ده ولّا لأ مش متأكد ليه، بس يمكن عشان كَم الرغي اللي حصل فيه ونفس الكلام المُكَرر المُعاد اللي دايمًا بيتسمع من طرفي المُعضلة. بس قُلت حَكتب! فدِي محاولَة لتأريخ ما قيل ومحاولة أخرى للإدلاء بدلو جديد فيها *(أرمِي جردل من عندي يعني)*.

مش عايز أتكلّم عن عري الهدوم من عدمه بس عايز أتكلّم في الحقيقة عن طريقة التصرُّف مع عري الهدوم..

مصر في العشرين سنة الأخيرة بقت مهووسة بمسألة العِري هَوَس حقيقي يَعني. يبدو كده ان كُل بيت في مصر عندُه بنت، بقت أهم أولوياتُه على الإطلاق ان البنت دي تتغطّى (أملًا منهم ان التغطية دي حتحميها من كُل سوء)، أمّا الشباب والرجّالة فبينقَسِموا إلى نوعين أساسيين فيما يَخُص المسألة: يا إمّا بيتفرّجوا ببجاحة وقِلّة «أدب وأخلاق وتربية»، وأحيانًا بيطوّلوا لسانهُم بصفاقة، وأحيانًا كتير كمان بيمدّوا إيديهُم بإجرام... والنوع التاني من الرجّالة هُم اللي مابيعملوش

عن اللبس العريان والمتغطّي

إتردّدت أكتب في الموضوع ده ولّا لأ مش متأكد ليه، بس يمكن عشان كَم الرغي اللي حصل فيه ونفس الكلام المُكَرر المُعاد اللي دايمًا بيتسمع من طرفي المُعضلة. بس قُلت حَكتب! فدِي محاولَة لتأريخ ما قيل ومحاولة أخرى للإدلاء بدلو جديد فيها (*أرمِي جردل من عندي يعني*).

مش عايز أتكلّم عن عري الهدوم من عدمه بس عايز أتكلّم في الحقيقة عن طريقة التصرُّف مع عري الهدوم..

مصر في العشرين سنة الأخيرة بقت مهووسة بمسألة العِري هَوَس حقيقي يَعني. يبدو كده ان كُل بيت في مصر عندُه بنت، بقت أهم أولوياتُه على الإطلاق ان البنت دي تتغطّى (أملًا منهم ان التغطية دي حتحميها من كُل سوء)، أمّا الشباب والرجّالة فبينقَسِموا إلى نوعين أساسيين فيما يَخُص المسألة: يا إمّا بيتفرّجوا ببجاحة وقِلّة «أدب وأخلاق وتربية»، وأحيانًا بيطوّلوا لسانهُم بصفاقة، وأحيانًا كتير كمان بيمدّوا إيديهُم بإجرام... والنوع التاني من الرجّالة هُم اللي مابيعملوش

حاجة من دي بس بيتكلّموا في الموضوع تلات مرّات في اليوم زي مايكون دوا (*ببالغ انا فاهم، معلِش، بس قصدي أوَصّل ان الموضوع فعلًا مُبالَغ فيه!*) أعتقد ان عدد المقالات والتدوينات والتعليقات اللي كُتِبَت في مصر في العشرين سنة الأخيرة عن موضوع هدوم الستّات ده، هُوّ عدد مساوي مثلًا لما كُتِب عن القضيّة الفلسطينية. لأ هَوَس هَوَس يعني!.. انا بالنسبالي حتّى الاتجاه الأصولي الديني السلَفي أو «المُتَمَسلِف» مش سبب كافي ان ده يحصل؛ ما الدين مليان مواضيع، إشمِعنى حكاية القلع دي هي اللي شاغلاهُم أوي أوي كده، وأكتر من بقية الحاجات جميعًا؟! وكإن الدين وُجِد على الأرض عشان يغطّي الستّات الأول وبعدين نتكلّم في أي حاجة تانية!

انا عارف ان النُقطَة اللي جايّة دي ذُكِرت على مسامعكم ملايين المرّات يمكن، *بس معلِش مرّة كمان عشان خاطري*: مَصر طول عُمرها مُتَديّنة بس مع ذلك التَدَيُّن كانوا ناسها لحد من حوالي ٢٠ سنة «ليّنين» ممكن نسمّيهُم فيما يَتَعلّق بالمظهر الخارجي للستّات تحديدًا (بما إنُّه موضوع الإشكال). واللّين ده كان واضح على جميع المصريين؛ فيه ستّات كانوا بيلبسوا فساتين قصيّرة نسبيًا أحيانًا، وقصيّرة جِدًّا أحيانًا أخرى، بس المُهِم بالنسبالي ان ده كان لا يَمَس وقار المرأة ولا احترامها في الشارع، ماكانش الناس بيبصوا للست اللي بتلبس قُصيّر دي نظرة احتقار ولا بيقولوا عليهُم عاهرات ولا حاجة! وقُصاد كده (حسب *الطبقة الاجتماعية اللي بتنتمي ليها البنت أو الست*) كان فيه كمان ستّات كتير أكتَر احتشامًا.

وكان الوضع ده في تصوُّري أنا بشكل شخصي وضع طبيعي؛ واحد بيرتاح كده يتفضّل يعمل، وواحد بيرتاح بكِده مُختلف يتفضّل يعمل بَرضُه. وماكانش فيه خناقة بين الاتنين، ولا دول بيقولوا على دول «بَلَدي» ولا دول بيقولوا على دول عاهرات أو مُنحلّات أو غيرُه. وانا بَسمّي الوضع ده طبيعي لإنّ في عيني انا أي وَضع في الدُنيا مش ممكن يبقى «طبيعي» غير لو ارتاح فيه كُل الناس اللي بيَشمَلهُم (*على فرض طبعًا اننا مابنتكَلّمش عن حاجة شاذة فعلًا عن الطبيعة أو مجنونة أو شيء من هذا القبيل*). ومن هذا المُنطَلَق، الوضع اللي كان حاصِل في مصر فيما يَخُص لبس الستّات كانَ وضعًا طبيعيًا؛ المُتَفَرنِجات يتفضلن يلبِسن لِبس الفرنجة، واللي عايزة تلتزم بالأصول الشرقية في تغطية نَفسها بأي نسبة تراها مناسبة فلتتفضل بَرضُه، واللي مُقتَنِعة (من المُسلِمات) إنّها واجب عليها الحِجاب (*بمَفهومُه المُتعارف عليه من تغطية الرأس ومواصفات الهدوم*) كانت بتَتَحجّب، عادي خالص، سهلة خالص كانت الحياة.

وأهم مظاهر تلك «الطبيعية» كانت بتظهر مش على الستّات والبنات بل على الرجّالة اللي ماشيين في الشارع؛ ولا واحد يقل أدَبُه ويقول ببجاحة «ماتشوفي انتِ لابسة ايه» ولا حد بيضايق حد، ولا حد بيتحرّش بحد، ولا حاجة من دي! بصّوا بَقَه على أغلب الناس في الشارع النّهارده بقوا عاملين ازّاي فيما يَخُص الموضوع.

الهوس بالتغطية اللي بيَدّعي من بدأوه ويرعونه انّ الهَدف من وراه هوَ حماية البنات، هو أعتقد السبب الرئيسي المؤدّي إلى إن

نسبة مُرعِبة من الناس اللي ماشيين في الشارع المصري بقوا فعلًا بيتعاملوا مع الستّات والبنات على انّهم لَحْمَة، ونسبة كبيرة من النسبة المُرعِبة بيبصّوا للّحمة دي زي مايكونوا كلاب سعرانة، مش بَصّة فيها إعجاب ولا حتّى رغبة لأ، انا نَفسي بَشوف نظرات لرجّالة وشباب في الشارع بيبصّوا على بنات لابسين لبس عادي جِدًّا مش ممكن يلفت نظر غير واحد مريض نفسي، بطريقة بتخوّفني انا شخصيًّا! مش بس بَخاف على مراتي وصاحباتي وبنتي الطفلة واصحابها لمّا يكبَروا، وكُل البنات، لأ بَخاف من انّي ماشي في الشارع جنب ناس عاملة كده أصلًا، بَخاف من انّي بأُشارك هؤلاء نَفس الوطن، بخَاف عشان كُل واحد فيهُم «ممكن» يبقى عندُه صوت في «الانتخابات» اللي «مُمكن» تَتَحكّم في مصير مَصر كُلّها! وبخَاف أعرف إيه تاني تَشَوَّه وباظ جُوّة روح بني آدم بيتصَرّف بطريقة زي دي.

وأعتقد فعلًا ان دي نتيجة طبيعية جِدًّا لهَوَس هذا المُجتَمَع بالموضوع، ممّا غيّر طبيعتُه من حالة «طبيعية» إلى حالة مجنونة، وأعتقد دليل آخر على كلامي هو بعض المُجتمعات العربية الأخرى اللي بَرضُه عندها هَوَس بنفس المسألة وبَرضُه باين جِدًّا أثر ده على رجالهم وشبابهم.. ناس كتير أوي فِضلوا يتكلّموا عن الموضوع بثورَجة غير مُبَرّرة وغضب أحمق وجَهل شديد بالطريقة المُناسبة للتَعَرّض لموضوع حساس زي ده، ومحتاج ذكاء ووعي في التعامُل معاه، لحد ما جنّنوا الناس. والنتيجة كانت إن ولا واحدة ماشية في الشارع بتَسلَم من الأذى حتّى لو كانت «مُحَجّبَة» مش بس متغطّية، وكمان لابسة واسع وطويل.

ده بيحصل لأسباب كتير طبعًا من جَهل، لعدم تَحَضّر، لانعِدام رُقِيّ، لكراهية، لعدم تقبّل، لقلّة سماحة، ولغيرُه من أسباب شبيهة.. بس مش من الأسباب دي في رأيي الحرمان الجنسي وصعوبة الجواز للأسباب الاقتصادية المعروفة كما يُرَدِّد البَعض، ببساطة لإن المصريين نفسهم دول ماكانوش أغنيا من ٣٠ و٤٠ سنة، بس كانوا أكثر شهامةً وأكثَر تَحَضُّرًا وأكثر احترامًا لأنفُسهُم وللستّات وللآخَر عمومًا، والأهم كمان انّهم كانوا أقل هوسًا بالجنس والتغطية والتعرية..

ده زائد ان أغلب اللي بيتصَرّفوا كده شباب مراهقين لسه، مالِحقوش يعانوا من آثار كَبت جنسي! كُل الموضوع انُّهم ماتربّوش كويّس. واللي مش شباب ولا حاجة ممّن ينتَمون إلى طبقات بسيطة من المُجتَمَع، أغلَبهُم متجوّزين أصلًا، بس بَرضُه بيتصرّفوا كده (وإنْ كانوا دول أعيُنهُم هي اللي بترتكب الجُرم في مُعظم الأحيان؛ يبص بَصّة قبيحة كده ويقول كلمتين للّي واقف جنبُه يحاول يُدَلِّل بيهُم على صياعتُه).

وبعدين مكبوتين ولّا مش مكبوتين احنا مش حيوانات بَرضُه! مش المفروض ان البني آدم «الطبيعي» لمّا يشوف بنت ماشية في الشارع يتحرّش بيها وَلَو بعينُه، حتّى لو كان محروم ومكبوت جنسيًا! وحتى لو كانت البنت دي لابسة لبس مش مناسب للشارع اللي هي ماشية فيه. مع مُلاحظة اننا مش بِنتِكَلّم عن نسبة صغيّرة من الناس يعني بِتتصرّف كده، ده هُوّ ده اللي بَقى الطبيعي الجديد بتاعنا!

مسألة اللبس العريان شأنها شأن أغلب شئون الاجتماع عندها شقّين أساسيين: شِق ديني وشق آخر سياسي. الشق الديني فيما يَتَعلّق بالموضوع ده هو ان طبعًا الأديان بتأمُر بالحِشمة وعَدَم تعرية الست، مافيش خلاف على كده. وفي الإسلام ـ كدين الأغلبية في مصر ـ اهتمام بالموضوع ده بَرضُه لا خلاف. بس المسألة المُهمّة جِدًّا بالنسبالي هنا، هي إن القواعد دي موضوعة أساسًا حمايةً للبنات وحِفاظًا عليهم، مش عشان المُجتَمَع يعاملهم كسبايا حرب في العصور الوُسطى! لمّا بنت ماتلتَزِمش بقواعد الإحتشام دي، ده مش معناه انّها مُجرِمة، وبالتالي يبقى لا يَحِق لينا اننا نعاقِبها تحت أي مُسمَّى.

إنت من حَقّك ماتِبقاش موافق على أي فِعْل أي حد بيعمِلُه، ومن حَقّك تنتقِدُه، ومن حَقّك ماتقلّدوش، ومن حَقّك تعلّم ولادك وأهل بيتَك مايعملوش اللي انت شايفُه مش مناسب، لكن كُل ده مش داعي انّك تُرفض وتِكرَه الشخص اللي بيعمل حاجة انت مُعتَرِض عليها، حتّى وإن كانت غَلط من وجهة نَظَر الدين.. إنت تخَلّيك في نَفسَك، كُل واحد يدوّر على الحاجات الغَلَط اللي هُوّ بيعمِلها ويحاول يغيّرها، مالكش دعوة بالناس بِتعمِل ايه غَلَط، انت مالَك انت؟.. وبعدين هِيّ وحشة يا سيدي مابتسمعش الكلام المُوَجّه ليها، خلاص خلّيك انت كويّس واسمَع الكلام الموَجَّه ليك انت وغُض بَصرَك! هو يعني أمر غَض البصر في القرآن ده جاي على اعتبار ان كُل الستّات متغطيين؟! أمّال انت حتَغُض بَصَرَك عن ايه؟

التَحرُّش بأنواعُه كُلّها بدايةً بالنَظرة «المُغتَصِبَة» ومرورًا بالكلمة «المُعْتَدية» ووصولًا لكُل تَصَرُّف يُصَنَّف على إنُّه تَحَرُّش، هي جريمة

أخلاقية مُجتَمَعيّة دينية إنسانية تستوجب العقاب القاسي. وقبل ما حَد يفكّر كما يُفَكّر الكثيرون للأسف ان دي غلطة البنات، برجاء ملاحَظَة إن مافيش عقوبة بالسجن انَّك مش مخبّي فلوسك كويس مثلًا، لكن فيه عقوبة للسرقة حتّى لو اللي اتسرق منُّه الفلوس ماكانش مخبّيها كويّس. فلو فيه مُجرِم يستحق النُفور المُجتَمَعي والعقاب في القصّة دي أكيد ماتبقاش البنت اللي مش لابسة لبس مُحتَشم، بل بَرضُه اللي بيَعتَدي عليها بأي صورة كانَت، هُوَ مَن يستَحِقُّهُ.

من وجهة نَظَر الدين هي عاملة حاجة غلط حاجة صَح، ده موضوعها، رَبّها يسألها عليه. وحتّى لو أخطأت فهي لم ترتكب جريمة في حق حد، لكن اللي بيعتدي عليها بأي صورة ارتكب جريمة اعتداء.

ويَجِب هُنا ذِكر ان فيه ناس، أغلبهُم من الستّات بيشوفوا انّهم ممكن يساعدوا في حل هذه المسألة، بإنّهم يروحوا مثلًا لبنت مايعرفوهاش ماشية في الشارع وينصحوها بَقَه! فيقولولها «ليه انتِ لابسة كده؟» أو «ليه يا بنتي انت مش مُحَجّبَة؟ ماتعرفيش ان كذا كذا!» سواء كان الكلام ده بيتقال بأدب وابتسامة وحُسن خُلُق أو بيتقال بقلّة أدب وقلة ذوق، ده أصلًا تَصَرُّف خاطئ جِدًّا، الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكَر باليد واللسان لا يجوزوا إلّا في دائرة سُلطانَك *(واسألوا رجال الفِقه يقولولكو ان دي قاعدة شَرعية على فكرة)*؛ تقول الكَلام ده لأختَك (لو انت مسئول عَنها!)، مراتك، بنتَك، *وطبعًا بَرضُه بلُطف وسماحة..*

عايزة تنصَحِي حد خارِج دائرة سُلطانِك سواءً في الموضوع ده أو في غيرُه، ومالُه! لو عرفتِ تخلّيها عايزة تسمَعِك وعرفتِ تكلِّميها ازّاي؛ بأدَب بَقَه وظُرف ولُطف، تنصحي بنت أُختِك، واحدة صاحبتِك، جارتِك، زميلتِك في الشُغل، ولّا ولادكو بيلعَبوا مع بَعض في النادي، ولّا عَندُكو اصحاب مُشتَركين، أي حاجة بس تخلّي علاقتِك بيها تسمَحلِك إنّك تنصَحِيها وتَتَدَخلي في شئونُها.. أضعَف الإيمان يعني، بنت يا ستّي قاعدة جنبِك في الميترو واتكلِّمتوا واتصاحِبتوا، وشُفتي انّها حاجة مناسبة انِّك تنصحيها اتفضّلي.. لكن مش من حَقِّك ولا من حَقَّك تروحوا لحد ماتعرفوهوش ومافيش بينكو أي رابِط تقولوله انت كدَه حتروح النّار..

من حَقَّك تقول لحَد مايرميش زبالة في الشارع آه، أو مايغسِلش العربية بالخرطوم، أو ماينوّرش النور ده كُلّه، أو مايحُطّش طوبة عشان ماحَدّش يركِن، أو مايشغِلش الرصيف، أو أي حاجة من دول، عشان دي كُلّها حاجات بتاعتَك انت كمان، ليك دعوة بيها.

من حَقّك بل واجب عليك لو لقيت حد بيإذي حَد تَتَدخَّل، لو لقيت حَد بيَعتدى على حَد توقَّفُه، بس ما يَخُص تصرّفاتُه الشخصية مش من حَقّك تنهاه عَنُّه، بل وإن نهْيَك ده هو نَفسُه أمر مُنكَر، وعُمرُه مابييجي بفايدة لإنُّه مش ممكن يسمَعَك، وكمان مُضِر لإنّه بيحسّس اللي انت كلّمتُه بخَرق لخصوصيته وبالتالي بيُؤدّي إلى مزيد من العِناد والعداوة والفَصل.

ولو حد بيفكّر ان ده أمر يَخُصّه عشان بناتُه مثلًا بيشوفوا البنت

دي وهو مش عايزهم يقلّدوها، فتربية ولادك دي شُغلِتَك انت مش شُغلِة الناس اللي في الشارع. فيه مُسلِمين عايشين في أكثر الأماكن انحلالًا على الأرض وأخلاقهم والتزامهُم وورعهُم حتّى لا تشوبُه شائبة، بيعمِلوا كدَه ازّاي! بإنُّهُم بيرَبُّوا ولادهُم كويس، ممكن تتعَلّم منهُم بيعملوا كده ازّاي وتعمِل زَيُّهُم، بَدَل ما تِمشي تضايق في خلق الله، وانت فاكر نَفسَك كده بتعمل حاجة كويّسة..

نيجي للشِّق التاني، الشِّق السياسي من المسألة: فيه بلد مثلًا ممكن تَفرِض بقوة القانون نوع الهدوم اللي بيُسمح للناس يلبسوها؛ سواءً كان منع للتعرّي زي في إيران والسعودية أو منع للتغطية زي في فرنسا، والدُّوَل اللي حتعمل زيّهم في المُستَقبَل[1]!

هنا وهنا حصل نفس التَصَرُّف بالظبط، ان النظام (الديمُقراطي هنا والديكتاتوري هُناك) شاف ان من حقّه يفرِض فرضًا على الناس هُمّ يقدَروا يلبسوا إيه ومايقدَروش يلبسوا إيه؛ ده عشان فاكر ان الفضيلة مُمكن تَتَحقّق بالفرض، وده عشان عُنصري وضَيّق الأفق ومُرتاب *(وللأمانة كمان عشان شاف بفَضل الكثيرين الله يسامِحهُم بَقَه أوحَش ما يُمكِن أن يُلصَق بالإسلام، فبدأ يكرَه كُل ما يَخُصُّه)*.

مع إن أي مُجتَمَع في الدنيا بيعمل الدور ده لنَفسُه فعلًا بس من

---

(١) الحجاب ممنوع في فرنسا في المدارس والجامعات والمصالح الحكومية من سنة ٢٠٠٤، (تونس بتطبّق نفس القاعدة من ١٩٨١ وتركيا من ١٩٩٧. وفي عدة دول عربية أيضًا محاولات لفرض الحجاب بالقانون.

غير قانون ولا فَرض ولا بلطَجة، بيعملوا كده الناس بأنفُسهُم بإنّهم بيرفضوا اللبس اللي مش عاجبهم وبيستهجنود، وكإن كُل ده مش كفاية لأ كمان مُحبّي المنع والجَبر عايزين القانون يؤيدهم في الرأي ويفرض بقوته أفكارهُم وقناعاتهُم على كُل الناس *(حتّى وإن كانت تلك الأفكار نابعة من الدين ومُلصَق بيه طريقة تطبيقها)*.

تَخيّلوا معايا كدَه مُجتمَع فاضل فعلًا بيُؤرّقُه اللبس المكشوف بدرجاتُ الكَشف المُتفاوتة، لو بنت عايشة في المُجتمَع ده وبتلبس بطريقة مُختَلِفة عن الناس وطول ماهي ماشية في الشارع بتشوف الناس بيداروا أعيُنهُم عنها بحياء، وكُل ما تكلّم حد يبُص في الأرض بأدب، ماهي أكيد حتتضايق وحتلبس لوحدها لبس مناسب أكتر لِإنّها تِمشي بيه في الشارع، بس تبقى عَمَلِت كده باختيارها مش بالجَبر، ولا بقانون مُتَعَصِّب مُقَيّد للحُريّة، ولا بقلّة الأدب، ولا حتّى بإن الناس تُقعُد تستَغفَر في وشّها بصوت عالي! *(عايز تستغفر عشان بصّيت عليها تعمل كدَه في سرّك، لإنّك بتستغفر ربّك على حاجة غلط «انت» عَمَلتَها، بتسَمّعنا احنا ليه؟!.. الاستغفار مش شغلتُه تعتدي بيه على الناس)*.

والسؤال ببساطة هُوَ، ليه مايبقاش من حقّك تتصرّف بالطريقة اللي تُرضيك طالما انا كمان من حقي أتصرّف بالطريقة اللي تُرضيني؟ (وطالما طبعًا ان ماحَدّش فينا اعتَدَى على التاني بأي صورة، وطالما ان دَه فعلًا موضوع شخصي مش عام).

ولو حد مِمّن يقرأون هذه السطور دلوقتي بيدور في ذهنُه سؤال

عَمّا إذا كان الغرض من كلامي انّي أشجّع اللبس العريان، فأبدًا ده مش قصدي، انا قصدي أشجّع أي لبس عايز يلبِسه أي حد!

لو انا عايز دايمًا ألبس اللي على مزاجي (زيّي زي كُل الناس اللي في الدنيا) مافيش ضمانة لكده غير انّي أدافع عن حق كُل الناس في انّهم هُمّ كمان يلبسوا اللي على مزاجهم؛ لو النّهارده انا واحد مُسلم وبَطالب مثلًا بقانون يُجبُر كُل الستّات انّهم يلبسوا حجاب. يبقى لو انقلبت الآية ورُحت عشت في فرنسا، ماڑعَلش بَقَه لمّا الفرنساويين يفرضوا عليّ بقوة القانون اني مالبِسش حجاب، منطقي صح؟ كُل واحد بيشوف الأمور من وجهة نَظَره وبغض النظر في الحقيقة عن الصح والغلط، لإن كُل واحد دايمًا بيشوف نَفسُه صح مع اختِلاف الطُرُق والوسائل والأهداف.

وواجب هنا ذِكر ان النقاب في المجتمع المدني بس هو اللي عنده ظرف خاص، لان المُجتمع المدني بيُعرف فيه الشخص من اسمه وصورته مقترِنين، فالمسألة بتاعة النقاب دي مسألة بتثير دايمًا مشاكل؛ انا ظابط جوازات في المطار لازم أشوف وِش البني آدمة اللي قدّامي، انا ضابط مرور أوقّف عربية، من حقّي أشوف رخصة صاحبتها وبالتالي لازم اشوف وشّها. انا مؤسسة ولّا بنك ولّا شركة بيتردد عليّ مئات أو آلاف الناس كُل يوم، لازم ابقى عارف مين دخل ومين خرج.. في عالَم مليء بالجريمة والإرهاب وسوء الأخلاق، من حق أي نظام في الدنيا انُّه يبقى شايف مين بيعمل إيه في كُل الأوقات العامّة؛ في المكان العام لمّا كاميرا بتاعة مراقبة بتتحط،

بيبقى الغرض منها انّها تصوَّر كُل الناس، عشان لو احتَجنا نعَرف مين ده، نعَرف مين ده.

ومن غير كاميرات ولا بوليس انا كمان كشخص ماشي في الشارع من حَقّي أبقى شايف مين اللي ماشي جنبي؛ لو سَرقني، لو خبطني بالعربية، لو عمل أي حاجة، أقدر أتعرَّف عليه.. وبعدين هو مش ممكن (بل بتحصل كتير جِدًّا) ان راجل يلبس نقاب ويعمل نفسه ست؟ مش ينفع واحدة تلبس نقاب وتبقى حراميّة أو مُجرِمة أو خَطّافِة أطفال أو أي حاجة؟ ينفَع طبعًا! يبقى عايزين الناس تَتَجاهل المسألة دي ازّاي انا مش فاهم؟!

من حق كُل واحد يبقى شايف مين ماشي جنبه ومين قاعد جنبه ومين حواليه. علما بأنّ *وخَلّوا بالكو كويس أوي من النقطة دي أرجوكو*: بالنسبالي أنا، بَرضُه ان يبقى فيه بند في القانون بيمنع الست انّها تلبس نقاب ده شيء مرفوض تمامًا، دَه تَعدِّي على حريّتها، مش من حق القانون يقول لحَد يلبس نقاب ولّا مايلبسش. بس من حق القانون بغَرَض حماية مُجتَمَعُه، انُّه يقول: «ممنوع حد يَتَواجد في مكان عام وهو مغطّي وشّه»؛ ولا ينفع تلبِس وِش أسد، ولا ينفع تلبسي «ماسْك» فراشة، ولا ينفع تلبسي نقاب. اللي عايز يغطّي وشّه يغطّي وشّه في البيت، أو عند الناس اللي يعرفوا هو مين بالرغم من إنُّه مغطّي وشّه، أو في أي تجمّع خاص انتِ حُرّة. وفي المكان العام انتِ طبعًا حُرّة بَرضُه تلبسي نقاب، لكن للأسف مش حُرة تغطّي وِشّك وبالتالي تُخفي هويّتك، فيبقى للأسف فعلًا طلع ان ماينفَعش في المكان العام تلبسي نقاب «مع إنُّه نَظريًا من حَقّك»!

ورجوعًا إلى موضوعنا الأصلي: اللي عايز قانون بيفرض التغطية لازم يفكر في وضعه حيبقى عامل ازاي لو كان القانون بيفرِض التعرِية. ماينفعش تُمنع المحجّبات من دخول مكان إلّا اذا لم يكن عِند من قاموا بالمنع، مانع من أن تُحرم غير المُحجّبة من دخول مكان آخر! هكذا تُصنَع العصبية، هكذا تُقَسّم الأوطان، وهَكذا نَتَحَوّل إلى قبائل، وهكذا نُصبِح أضعف *(واحنا الحقيقة مش ناقصين خالص)*.

الحُريّة، (شخصية كانت أو غيرُه) طريق مزدوج رايح جاي، مافيش حريّة من ناحية واحدة. وانا شخصيًّا مش حاعيش في مكان أبدًا بيفرِض عليّ وعلى أهلي «بالقانون وبالجَبر» أي نوع من أنواع الهدوم. انا عارف انا عايز يبقى شكلي عامل ازاي ويَدُل على إيه؛ زيّي زي كُل الناس.. كُل واحد حُر في شكلُه وفي الانطباع اللي بيدّيه شكلُه «عَنُّه»، عَنُّه هُوّ، أنا ماليش دعوة.. فيبقى كُل واحد يلبس اللي هو عايزه؛ مكشوف، متغطّي، يحط ريشة على راسه، ضيّق، واسع، مدلدل، اللي مش عاجبه حاجة مايِلبسهاش، واللي مش عاجبه حاجة تانية لابسها حد تاني مايبصّش عليها (ويا حَبّذا لو دَوّر على حاجة تالتة خالص بَقَه أهم من كِدّه عشان يتكلّم فيها، ويا ريت تكون فعلًا حاجة تَخُصُّه!).

عايز تلبس اللي على مزاجك؟ يبقى كُل الناس يلبسوا اللي على مزاجهم. مش عاجبَك الكلام؟ انت حُر.. الأيّامُ دُوَل، وبُكرة تنال ما تستحق..

عن ان اللي نعرَفُه دايمًا أقل من اللي مانعرَفوش

(١٩٤٣) Thomas Watson رئيس مجلس إدارة IBM قال بتَفاؤل: «السوق العالَمي مُمكِن يَستَوعِب خَمَس أجهِزِة كمبيوتر».

(١٨٩٥) مُدَرّس أينشتاين، قال لأبوه: «للأسف مش حتفرق يتعَلّم ولّا لأ، لإنّه مش ممكن ينجَح في حاجة».

(١٩٧٤) Margeret Thatcher رئيسة وزراء بريطانيا في الفترة من ١٩٧٩ إلى ١٩٩٠، قالت: «لسة سنين طويلة، مش في حياتي حَشوف امرأة بقِت رئيسة وُزرا».

(١٩٣٣) أحَد مُهندسين شركة Boeing صانِعَة الطائرات قال واصفًا الطيّارة اللي أنتجوها في تلك السَنة «الـ Boeing ٢٤٧» اللي كانت بتشيل ١٠ أشخاص «مافيش طَيّارة حتِتبني أكبر من دي أبدًا».

(١٩٦٢) شركة الإنتاج موسيقي Decca Records رفضت تنتج للـ Beatles وصَرّحوا قائلين: «مش عاجِبنا صوت المزيكا بتاِعتهُم، موسيقى الجيتار دي مالهاش مكان وفي طريقها للانتهاء».

وُجِدت مُذكّرة داخلية في شركة Western Union سنة ١٨٧٦،

كُتِب فيها: «*التليفون* ده عَندُه أوجُه قصور كتيرة جِدًّا على اننا نفَكّر فيه جِدّيًّا كوسيلة للإتصال، الجهاز دَه مالوش أي قيمة بالنسبالنا».

(١٩٢٧) H. Warner أحد الإخوة Warner Brothers مؤسسين واحدة من أوائل وكُبرَيات شركات الإنتاج السينمائي في العالم قال لَفظًا وبِتَعَجُّب (أيام السينما الصامتة طبعًا): «مين حيبقى عايز يسمع المُمَثّلين وهُمّ بيتكَلّموا؟!».

توماس إديسون مخترع اللمبة شخصيًّا، قالّه مدرّس من مدرّسينه انُّه أغبى من إنُّه يقدر يتعلّم أي حاجة، وطَردوه من المَدرسة فكَملِتّ أمّه تعليمُه في البيت.

والت ديزني اترفد من جرنال كان شغّال فيه في بداية حياته بحُكْم إنُّه (كما حكموا عليه): ماعندوش خَيال وماعندوش القدرة على توليد أفكار بتاعته!!

فيه تاني على فكرة، أكَمّل؟ لأ، خلاص كفاية.

ساعات كتير كتير بيغلط البني آدم، حتّى لو كان يعرف، حتى لو كان ذكي بَل وحتّى لو كان عالِم.. ممكن يغلط حتّى لو كان حَسَن النيّة.. وممكن يغلَط حتّى لو ماكانش شخص واحد اللي بيُصدر أي حُكم أو استنتاج، حتّى لو كانت «لجنة»!

عشان يلاقي البني آدم أرض أكثر صلابَةً يُقف عليها وعشان يسهِّل على نفسه وعشان يحاول يضمن نتائج أحسن لاختياراتُه، اخترع مثلًا فكرة اللجنة دي؛ بَدل ما شَخص واحِد اللي يُصدِر حُكم، يبقوا كذا واحد من المتخصصين في أي شأن، ودي حاجة

طبعًا بتقلّل نسبة الخطأ اللي ممكن يقعوا فيه مُجتمعين عن نسبة الخطأ اللي مُمكن كُل واحد فيهم يُقَع فيها لوَحدُه، زائد انّها بتقلّل تأثير الفساد الأخلاقي وبتزوّد الثقة في القرارات اللي بتُتّخذ. فهيّ أصلًا فكرة كويسة الحقيقة بس الموضوع هو انّها بتقلّل نسبة الأخطاء مش بتقضي عليها! ليه بَقَه أغلب الناس بيفترضوا ان مادامت «لجنة» قالت، يبقى ده كلام كإنُّه مُنَزّل، ومافيش أحسن من كده أبدًا؟ عشان خلاص اللجنة قالت!

والكلام ده طبعًا مش عن كُل ما يُطلق عليه لَجنَة بس، المقصود هُو كُل ما هُو مُدَار ديمقراطيًا من قِبَل مجموعة من الناس المُعَيّنين أو المُتَطَوّعين أو الهيئات أو مجالس الإدارة صغيرة كانت أو كبيرة، مُهمّة كانت أو غير مُهِمّة.

الأمثلة اللي بدأت بيها كلام عن الموضوع ما هي إلّا إشارة لآلاف المرّات بل حتّى ملايين المرّات يمكن اللي حصل فيها حاجات شبيهة في الدنيا. طَب ليه بينسوا الناس ان الغلط دايمًا وارد، وليه بيتعاملوا مع كلام «ناس» منهُم (حتّى وإنْ عَلَت قامَتهم) على انّهم عارفين الحقيقة! ليه بيتعامل البني آدم مع كيانات هوّ اللي خالِقها بنَفسُه على إنّها تَملُك الصح المطلق أو الصح الوحيد؟ مع إنّنا عندنا أدلّة كافية وافية جِدًّا ضد هذا التصوّر.

طَب تعالوا نبُص للموضوع من ناحية تانية كمان، انا مثلًا لو مُخرج، وجت لجنة التحكيم بتاعة أهَم مهرجانات الدنيا وقالت انّي أحسن مخرج السنادي عن فيلم كذا اللي عملتُه. طبعًا من حق المخرج ده انُّه يتبسط ومن حقّه يحس بالنجاح، لكن هل المفروض

يحس انُّه فعلًا عمل أحسن فيلم على الإطلاق في تِلكَ السنة؟ ولّا أحسنلُه يفكّر ان الجايزة دي عبارة عن اختيار اللجنة دي، في الوقت دَه، من ضمن مجموعة الأفلام المُقدَّمَه «للمهرجان ده» دي؟! بالنسبالي أحسن دايمًا الاختيار التاني عشان هُوَ الخيار الأنزه، وهُوَ الخيار الأدَق وهُوَ الخيار الحقيقي أصلًا.

ولمّا المخرج ما يكسَبش، طبعًا العكس لسّه صحيح بَرضُه؛ ده رأي الناس دول تحديدًا، مش رأي مُطلَق يَسري على كُل زمان ومَكان، لو غيّرت نَفَرين من أعضاء اللجنة، النتايج اللي وصلتلها غالبًا كانت حتتغير؛ فمعنى ان فيلمُه ماكسِبش هو ان الناس دول، في الظرف ده، شافوا ان فيلمه لا يستحق المَكسب، لكن مش معنى كده ان فيلمُه فعلًا وحقيقةً مايستحقّش يكسب على الإطلاق كده..

يمكن أصلًا مافيش حاجة في الدُّنيا كُلّها «على الإطلاق كده»..

تعالوا كمان ناخُد المسألة لنُقطة أبعَد شويّة. البني آدم وهو بيعمل الدساتير والقوانين في العالَم كُلُّه؛ ذاكر الأوضاع اللي حواليه، وشاف ايه أحسَن طريقة لعَمَل كُل حاجة «كما يراها»، وراح كاتب ورقة تنظّم الأوضاع.. وبعدين عَمَل حاجة غريبة جِدًّا: قَدِّس الورقة وعَبَدها واعتبرها هي اللي بتُملي عليه أفعالُه.. فتلاقي في مواقف كتير جِدًّا حد بيدافع عن باطل أو جَهل أو ظُلم أو سوء إدارة أو أي حاجة غَلَط بأي مقياس عاقِل، وكمان وهو بيدافع عن الغَلَط ده عَمَّال يقول «ده الدُستور اللي بيقول كدَه، ده القانون اللي بيقول كدَه».. هِي دي مش حاجة غريبة! مش القانون والدُستور دول معمولين بوجهة نظر

كُتَّابهم بما يَعرِفون، أو بالأحرى بما كانوا يَعرِفون؟ *(زي كُل حاجة في الدنيا ماهي مُرتبطة بالظروف اللي حواليها)* ايه اللي خلّاه مقَدَّس ومُطْلَق؟

الدساتير والقوانين وُضِعَت أساسًا عشان تحمي حياة الناس وحريّاتهم وممتلكاتهُم وحقوقهُم، وعشان نحَقّق دَه قَرّرنا نَحنُ الإنسان، إن يبقى فيه مرجِع نسجل فيه كُل الخيارات «اللي نقدر نفكّر فيها» ونقول «من وجهة نظرنا» التعامل معاها بشَكل أمثل «مُمكن» يكون ازاي، مش عشان نبقى مُتَعَصّبين ليها ونقَدِّسها، بل عشان نِضمَن باستعمالها الحِفاظ على الحياة والحُرِيّة والحُقوق والمُمتَلَكات.

طيّب مين قال ان واضِعي القانون والدُستور اللي كانوا عايشين من ١٠٠ سَنَة يعرفوا أكتر وبيفهَموا أحسن من أساتذة القانون وواضِعي الدُستور اللي عايشين النّهارده؟ وإلا يبقى ليه فيه بند في القانون أو الدُستور في أي بلد في الدُنيا عُمرُه مية سَنَه أو أكتر؟ ازاي؟ الثقة العمياء في الماضي دي جايّة منين وفي مصلحة مين وإيه الداعي ليها؟

ليه كُل دستور في العالم وكُل كتاب قانون ماتكَتَبْش في آخرُه بَند بيقول ان كُل ما جاء في هذا الكتاب اللي *احنا* كاتبينه عنده فترة صلاحية عَشَر سنين مثلًا، بعدها لازم يُعيد كتابته ناس تانيين بعد انقضاء فترة صلاحيته؛ يذاكروه من الأول ويذاكروا متغيّرات واقِعهُم وبعدين يكتبوا القواعد الجديدة اللي هُمّ (بَرضُه من وجهة نظرهم)

بقوا شايفين انّها أنسب للواقع. ولو مش شايفين حاجة محتاجة تغيير، خلاص مايغَيّروش؛ يِكتِبوا القانون تاني بتاريخ جديد ويقولوا «لقد أقررنا القانون السابق كما هُوَ»، وبعد عَشَر سنين تانيين واضِعي القانون والدُستور اللي موجودين ساعِتها يذاكروه تاني عشان لو جَد جَديد يِعَدّلوا اللي محتاج تعديل..

في عالَم بَقى مُتَغَيّر بالسُرعَة دي وبتحصَل فيه حاجات جديدة كُل يوم، لازم يِبْقَى الأصل في القانون والدُستور اللي بيحموا «الحياة نَفسَها والحُريّة نَفسها والحقوق نَفسَها» هو التجديد والتغيير والتطوير، مش الركود والبُطء والاستِسهال والاستسلام ده..

وهُوّ نظريًا الدستور والقانون قابِلين للتعديل فعلًا، بس المشكلة ان عمليًا بَقَه، دايمًا عمليّات التعديل دي لا تَفِي أبدًا بالأغراض المطلوبة كُلّها؛ المحكَمَة الدستورية مابتلغيش مادة في القانون إلّا إذا كانت أوّلًا مُتناقضة مع مادّة في الدُستور، ومش من حق حد يرفع قضية يشتكي المادة دي إلّا لو كان مُتَضَرِّر منها بشَكل مُباشر، ولازم يبقى عارف الكلام ده كُلُّه، ولازم يبقى عندُه محامي ممكن يروح الدُستورية.. لازم حاجات كتير!

أمّا مواد الدُستور فمجلس الشعب بس اللي من حَقّه يعدّلها، فلازم يبقى التعديل دَه مُتماشي مع سياسة حزب الأغلبية الحاكِم، ولَجنة تشريعية ومشروع وتَصويت وشغلانة طويلة عريضة. والنتيجة الكُليّة ان أغلب أخطاء القانون والدستور عمليًّا شِبه مُستحيل تعديلها.. وعشان كدَه أحيانًا بتِفضل عايشة مية سَنَة ويزيد!

بس لو كُل الخطوات دي مش موجودة أصلًا وفيه أساتذة قانون شُغلِتهُم يذاكروا طول الوقت عشان يربطوا القانون والدستور بواقع الناس مش بماضيهم، وكان عَندُهم كُل فترة زمنيّة باب بيتفتح على مصراعَيه، عشان يُدخِلوا منُّه التعديلات اللي شايفينها مناسبَة، كانت الدُنيا كُلَّها اتغيّر شكلها تمامًا أعتقد.

ومثال بسيط جِدًّا جِدًّا على كِده قوانين الإيجارات في مَصر مثلًا، قَعَد القانون ثابت زي ما هُوَّ، ثابِت زي ما هُوّ، ثابِت زي ما هُوّ، لِحد ما بَقى ناس كتير تَمتَلِك بيت بمليون جنيه مثلًا وإيجارُه ٦ جنيه في الشَهر.. عشان يِحصَل تعديل في الحالة دي، حياخُد مجهود مُضني ورهيب، لكن لو كان القانون ده كان بيتغَيّر كُل خَمَس سنين ولّا عَشر سنين كان حَصَل انُّه فِضِل دايمًا بيِتحَرّك عشان يُجاري خُطى الواقِع فمايبقاش مفصول عَنُّه بعَشَرات السنين كدَه.. *وكفاية المثال ده عشان مافَسّرش أكتر من كده! :)*

عمومًا يَعني بِغَض النَظَر عن أي تفاصيل بتاعة أي موضوع بعينُه، البني آدم دايمًا مُمكِن يغلَط، عَمَل كدَه كتير جِدًّا؛ بيبقى فاكِر نَفسُه صَح، بس بيمُر وَقت أو تيجي ظروف فيَكتَشِف انُّه كان غَلطان، أو بيَكتَشِفُ من جاءوا بَعدُه انُّه كان غَلطان! ومش كدَه وبَس، البني آدم كمان بيِتعَلّم؛ بياخُد خِبرات من سَبقوه ويُضيف عليها خبراتُه الخاصّة وبيبقى يعرَف أحسن منهُم. لإنّه ببساطة شاف أكتَر مِنهُم وكمان كان عَندُه فُرصة انُّه يقيِّم اللي عَملوه قَبلُه، بيقيّم النتايج كمان مش

بس أفكار، وبيشوف أثر الزمن على الأفكار دي مش بس بيحاول يتوقّعه.

كُل المطلوب اننا مانتساش بَقَه الكلام ده كُلُّه، كُل المَطلوب هُوَ ألّا نُقَدّس أبدًا إلّا ما هُو مُقَدّس فعلًا..

Insanity is to keep doing the same thing over and over and expect a different outcome..

Albert Einstein

الجنون هو انّك تفضَل تتصرّف بنَفس الطريقة، مرارًا وتكرارًا، وتتوَقّع نتيجة مُختلفة..

ألبرت أينشتاين

عن الديمقراطية

أوّل ما تسمع كلام عن الإصلاح السياسي في أي مكان في العالم ماعَندوش ديمُقراطية، عَلَطول يقترن بيها الكلام.. العالَم في هذه اللحظة من تاريخُه فهم ان الديمقراطية هي الحل. جَرّب البني آدم أنظمة الُحكم التانية لقى ان مافيش أحسن من الديمُقراطية لِكي تَقود.. كويّس بَرضُه ان أغلب سُكّان الكوكب اتّفقوا على حاجة.

إلّا انّي كان دايمًا عندي فيما يخُصّ موضوع الديمُقراطية ده مُشكلة بتُؤرّقني وماكنتش عارف أحلها ازاي، لحد ما اكتشفت إن الله يكرمه أفلاطون حلّها من زمان جِدًّا، بس ماحَدّش سمع كلامُه للأسف.

تعالوا الأوَّل نعرَّف الديمُقراطية، ديمُقراطية يعني حُكم الشعب.. وحُكم ديمُقراطي يعني حاجتين في الأساس: انتخابات «حُرّة نزيهة» يُدلي فيها الشعب بصوتُه (سواء لاختيار من يَحكُمُه، أو لاختيار نُوّابُه في البرلمان)، وتصويت في البرلمان نَفسُه «حُر نزيه بَرضُه» يدلي فيه نوّاب الشَعب بأصواتهُم لتقرير طريقة عَمَل كُل حاجة تانية (وطبعًا

لمُحاسبة الحُكومة على أفعالها جميعًا). موضوع يبدو بسيط، بس الحقيقة انُّه أبعد ما يكون عن البساطة.

التعقيد جاي من الكلمتين اللي بنسمعهم طول الوقت دول «حرة، نزيهة».. مع إن تعريفهُم يبدو سهل بَرضُه: الحُريّة يعني ماحَدّش يُجبرُ حد على أي اختيار كان، أثناء عملية التصويت أو الانتخاب، والنزاهة يعني ماحَدّش يلعب في نتائج أي انتخابات أو تصويت. كويّس جِدًّا.

لحد دلوقتي كُل الناس مُتّفقين، نيجي بَقَه للمُشكلة والمُعضِلَة والعُقدة والمأزق والفخ والكمين، ألا وهُوَ: نوع المواطن (أو النائب) اللي بيُدلي بصوتُه في أي انتخابات أو تصويت أو اقتراع؛ يعني ببساطة عشان يبقى عندك نظام ديمقراطي (بالمفهوم المتعارف عليه) ناجح فعلًا، لازم يبقى عندك شعب بحالُه مَوضِع ثقة، لإن مجموع أصوات الشعب بحالُه هُوّ اللي بيقرّر مين اللي حيُمَثّلُه في البرلمان ومين اللي حيَحكُمُه.

والفَخ واضح طَبَعًا؛ لو عَندَك شعب فقير مثلًا وحَد اداّله فلوس ممكن ينتخبه، لو عندك شعب محروم من الخدمات مثلًا وحد قدّملُه الخَدَمات دي ممكن بَرضُه ينتخبه.. لو عندك شَعب عاطفي مثلًا ممكن بسهولة عواطفه تأثّر على قرارُه. والأخطر من دَه كُلُّه، انّك لو عندك شعب ساذج أو جاهل أو مايعرفش فين مصلَحتُه لأي سبب، ممكن حد ذكي يضحك عليه فبَرضُه يخلّيه ينتخبه.. وبالتالي تبقى النتيجة بتاعة أي انتخابات أصحاب الأصوات فيها بيندرجوا تحت أيٍ من الحالات المذكورة أعلاه، بتبقى نتيجة إن لم تمِل إلى الكارثية فهي على الأقل في منتهى الخطورة.

لمّا تُلْقِي نظرة على العالم النّهارده حتلاقي ان الديمقراطية بتتنفّذ بطرق كتير مُختَلِفة، الفكرة الأصلية واحدة طبعًا بس طرق تنفيذها وبالتالي النتايج اللي بتوصلّها الديمقراطيّات المُختلفة، مُختَلِفة جِدًّا؛ الديمقراطية في انجلترا وفرنسا مش زي الديمقراطية في الهند، مش زي الديمقراطية في مصر (لا مؤاخذة يعني)، مش زي الديمقراطية في أمريكا.. والملحوظة العامّة اللي أعتقد لن تَخفى على حد، هِيَ ان كُل ما زادت ثقافة شعب ومستوى تعليمُه ووعيُه ورُقيُّه وإنسانيّتُه، كُل ما نجحت تجربته الديمقراطية أكتر، والعكس بالعكس.

نقفِز بَقَه دلوقتي لأفلاطون لإنّه عمل مجهود عظيم في محاولة حل المُعضِلة دي؛ في القرن الرابع والخامس قبل الميلاد اتولدت الديمقراطية في أثينا. وكان بيتصارع في الوقت ده (صراعات دموية جِدًّا أحيانًا) حزبين كُل واحد فيهم عَندُه طريقة مختلفة لعمل الديمقراطية؛ من سُمّوا بالديمقراطيين كانوا عايزين كُل الشعب (من الرجال فقط في ذاك الوقت) يُدلي بصوته في اختيار ممثّليه في البرلمان، وبالتالي واضعي سياسة بلده، وحلّالين مشاكلُه، والمُدافعين عن حقوقُه (اللي هو الاتجاه اللي أصبح فعلًا هو طريقة ممارسة الديمقراطية في العالم بعد طبعًا ما زاد عليه حق المرأة في التصويت).. والاتجاه التاني «الأوليجاركية» «oligarchi» كانوا عايزين ديمقراطية يقتصر فيها حق التصويت (وطبعًا الترَشُّح) على الكِبار فقط من القلّة الأغنياء أصحاب الأملاك والأرستقراطيين المُتّصلين بالبلاط.

أفلاطون قسِّم المجتمَع إلى شرائح: أوّلًا مُحبّي المال: أكبر فئات

المُجتَمَع البشري؛ وهُمْ كُل من يَمتَلِك المال وبيحاول يزوّدُه، وكُل من يحاول أن يَحصُل عليه من خلال العمل لقاء أجر..

وثانيًا مُحبّي الشَرف والمجد: زي المحاربين مثلًا، زي هتلر مثلًا، أو زي عبد الناصر مثلًا بَرضُه؛ مش عايزين فلوس ولا حاجة بس بيسعوا وراء ذلك الشعور بالمجد والعَظَمَة اللي بيدّيهولهم الانتصار في المعارك بأنواعها، ودول ناس مش ماديين حتّى انُّهم ماعندُهُمش أي مانع انّهم يضَحُّوا بممتلكاتهم وحياتهم نفسَها من أجل ذلك المجد.

وتالت الأنواع هُمْ مُحبِّي الحكمة والمعرفة: وهُمّ ناس زي ما واضح من إسمهم، هدفهم الأسمى هو إنهم يعرفوا ويفهموا، وبالتالي يقتَرِبوا من الحِكمة؛ زي الفلاسفة والعُلماء والعارِفين وطلبة العِلم وما يمكن أن نُطلِق عليهم المُثقّفين.

أمّا بالمُناسبة عن الحاكم عند أفلاطون فهو لازم ينتمي لأصغر فئات المجتمع وأندرها على الإطلاق: الحُكماء أنفُسهُم. سمّاه أفلاطون «The Philosofer king» الملك الفيلسوف؛ عالِم زاهِد عادِل حكيم ومش عايز حاجة لنفسه؛ ماينفَعش يمتلك حاجة، ماينفعش يبقى معاه فلوس، حتّى انُّه ماينفَعش يبقى عايز الحُكم! بل يُجبِرُه مُحبّي الحكمة والحق والعَدل ويَدفعوه دَفعًا انُّه يتولّى أمرُهُم.. ويقول أفلاطون: «إلى أن يُصبِح الفلاسفة ملوكًا، أو أن يَمتلك ملوك العالم وأمراؤه روح وقوة الفلسفة، لن تتخلّص المُدُن من شرورِها أبدًا»

فمن ناحْية، لإنّ الأغنياء سهل يتأثّر حُكمهُم على الأمور بمصالِحهُم

الشخصية ولإنّ مصلحة العام سهل تتضارب مع مصلحة الخاص.. ومن ناحية تانية لإنّ العامّة يسهُل التأثير فيهم والتلاعُب بآراءهم وإثارة مشاعرهم وأطماعهم وتَعَصُّبهُم ودَه بيسَهِّل ارتكابهم أخطاء لمّا يقتربوا من السياسة، ذهب أفلاطون في كتابِه الشهير «*الجمهورية - The Republic*» إلى إن: حق التصويت ولا يبقى للقلّة الغنية المُتّصِلة بالحُكّام (زي ما الأوليجاركية كانت عايزة)، ولا للجموع الغفيرة من الشعب (زي ما كانوا الديمُقراطيين عايزين).. وإنّما مُحِبّي الحكمة فقط هُمّ اللي يبقى من حَقُّهُم يمارسوا الديمُقراطية؛ يعني مش المنتَفِع ولا المُستغِل ولا الجاهل ولا المتعصِّب ولا اللي يسهُل إغراؤه، بل عند أفلاطون التصويت هو حق «فقط» لمن يستحقّه ويَقدِر عليه، وشاف ان الشريحة التالتة من المُجتَمع أي «محبّي الحكمة والحق» هم الوحيدون اللي ينطبق عليهم هذا الوَصف.

أوّل ما تبص على تاريخ البشرية تفهم عَلَطول ليه تجاهُل ما قاله أفلاطون كان جريمة في رأيي؛ لو قائد مغرم بفكرة المجد، ممكن مثلًا يعمل جيش عشان يحارب بيه وينتصر حتى لو كانت الحرب دي غير ضرورية أو حتّى غير شريفة، وطبعًا بيدفع تمنها الوطن كُلّه، (وممكن يوزّع الأرض على الفلّاحين فيبوّظوها، وبرضُه يدفع التمَن الوَطن كُلُّه!).. المنتَفِعين مُحبّي المال لمّا يَقودوا الشعوب كلكو عارفين بيحصل إيه.. الجُهلاء لمّا يقودوا الشعوب بيدمّروها.. قصيرو النَظَر لمّا يَقودوا الشُعوب بيبوّظوا مُستقبلها كمان مش بس حاضرها.. ومافيش وسيلة تخلّي الحكمة هي اللي تقود إلّا ان اللي يختاروا القائد يكونوا من محبّي الحكمة (لإن كُل واحد بيختار الي شَبَهُه).

أمّا اللي ماعَدنوش قُدرَة على الإختيار والتقييم، أو اللي عندُه مصلَحة شخصيّة بيسعى وراها من ورا اختيارُه، لا يحق ليه أن يَنتخِب أو يَختار، ويَحصُل فقط على مميّزات المواطَنة، ويتحمّل قبل التمتُّع بالمميزات واجباته أيضًا كمواطن...

آخر نُقطَة ذُكِرَت فيما سبق خلّتني أفكّر كتير جِدًّا في واحدة من أهم نواقص الديمُقراطية من وجهة نَظَري؛ ان كُل واحد بيختار اللي شَبَهُه، أيديولوجيًا، عقائديًا، فكريًا، إنسانيًا.. والمشكلة اللي ده بيُلصِقها بالديمُقراطية ان لو الناس اللي بيُدلوا بأصواتهم دول مثلًا عُنصريين، مش حيِدّوا أصواتهم لواحد إلّا إذا كان عُنصري زيُّهم، لو المُجتمع مُتزمّت بيختار حد مُتزمّت عشان يُولّيه أمره وهكذا.. العيب دَه بيِحْرِم المُجتمع الديمُقراطي من إنُّه يقدَر يشوف نفسُه بعين مختلفة، وبيُحرَم بالتالي من فرصة انُّه يقدر يغيّر مسارُه تغيير حاد وجَذري وسريع *(في حالة الاحتياج المُلِحّ ليه زي حالتنا مثلًا)*. مابتِقدرش الديمُقراطية تعمل تغيير فكري أيديولوجي حاد في أي مُجتَمع، عشان دايمًا بيتّسم المُختار ديمقراطيًا بسِمات اللي اختاروه.. فالقاعدة البسيطة هي ان لو المُجتمع أغلب سكّانُه متنوّرين بيختاروا حد مُستنير، ولو مضلّمين للأسف بيختاروا حد مضلّم، وهكذا.

وبناءً على ذلك لو مافيش حَدَث جَلَل حصل للمُجتمع يبيّن عيب ما أو يوَضّح ميزة ما كانت خَفيّة في أي أمر من الأمور، بتاخد الديمقراطية وقت طويل عشان تقدر تُحدِث تغيير فِعلي؛ يعني تخيّلوا مثلًا مُجتمع عربي قَبَلي قديم عايش في شبه جزيرة العرب قبل

الإسلام وبيوئد البنات *(يعني بيدفنهم أحياء بعد ما بيتولدوا عشان بيستَعَرّ منهم)*، لو المُجتمع ده ديمقراطي بيختار من يحكُمُه، حيختار دايمًا واحد موافق على وأد البنات. وهُوّ صحيح نظريًا ممكن تتغيّر وجهة نَظَر المُجتمع للحكاية دي أو غيرها، بس حتاخُد المسألة وقت طويل جِدًّا عشان تتغيّر فعلًا بطريقة ديمُقراطية لأنّها عادة مُتأصِّلة في الثقافة. لكن لو حاكم مُنفَرِد بالحُكم تولَّى أمرُهُم، ممكن يصْحى الصُبح يقولُّهُم «إيه ده اللي انتو بتعملوه ده؟! مافيش حاجة اسمها كده»، ويروح مطلّع فرمان ان اللي يوئد بنت حيتعِدِم، فتختفي الحكاية دي فورًا، وبجَرّةِ قَلَمٍ واحد..

فالديمُقراطية لإنّ مُحرِّكها ثقافة المُجتَمَع كُلُّه بتاخُد دايمًا الطريق الأطول للصواب.. بس قُصاد كده بتضمن للأغلبية انّهم مايُجبَروش على حاجة هُمّ مش موافقين عليها أو مش مصدّقينها أو مش مُعتقدين فيها (حتّى وإن كانت الخيار الأصَح)..

خَدِت الديمُقراطية وقت طويل عشان تَتَخلّص من القوانين العُنصُرية في أمريكا مثلًا، بس من ناحية تانية لمّا تَخلّصت منها، الحقيقة الحقيقة تخلّصِت منها فعلًا.. بتَعْمَل بكفاءة الديمُقراطية، لإنّها بتعتمد على مجهودات المُجتَمَع كُلُّه (أو هكذا يُفترَض). أثبتت الديمقراطية في العالم ان خُطاها سديدة فعلًا ولكنّها الحق يُقال: كمان للأسَف بطيئة فعلًا.

مع ملاحظة ان حتّى نفس الديمُقراطية الأمريكاني اللي قضت على القوانين العُنصرية بكفاءة ولكن ببطء دي، لسّه بترتكب أخطاء

تانية فادِحَة؛ وصول واحد زي جورج بوش الإبن لأقوى سُلطة على كوكب الأرض واللي عَمَلُه في أفغانستان والعراق بعد ما وصل، وغيرُه من أخطاء داخلية مُرعِبَة ارتَكَبها، هُوَ دليل حيٌّ يُرزق ضد الديمقراطية، دليل بيُدينها وبيقول انّها قد تُصاب بالعمى بمنتهى السهولة، وقد تُخدع وقد يُضْحَك عَلَيْها. (بقاء القوّات في العراق وأفغانستان بعد انقضاء فترة حُكم الغير مأسوف عليه وفوز أوباما، مش دليل على نفس الحاجة وانّما دليل على حاجات أخطر أعتقد؛ منها ان في عالم السياسة أكتر يمكن من كُل العَوالِم الأخرى مافيش حاجة ببلاش، وعشان تكسب لازم ناس يساعدوك، والناس دول عندهم مصالح؛ فما داموا ساعدوك يبقى ماينفعش تعمل اللي في دماغك من غير ما تراعي مصالحهم، فيبقى نقول حاجات قبل الانتخابات زي ما احنا عايزين وبعدين بعد الانتخابات نتصرّف بَقَه، ونقول كمان سنة واتنين وتلاتة والحِجَج تطلع والأعذار تترصّ جنب بعض وهكذا.. وفيه كمان أسباب أعقَد من كده بكتير؛ فلوس بَقَه ومؤسسات وتجارة سلاح وبورصة وحاجات مابحبّش أذاكرها قدر المستطاع عشان بَختار حفاظًا على نَفسي انّي مش عايز أفهَمها.. بس عمومًا يعني الانتخابات بالطريقة دي بتخلق ديون والديون لازم تتدفع.

الديمقراطية الأمريكاني مش مثال الديمُقراطية الوحيد في العالم طبعًا، بالعَكس يرى الكَثيرون انّها تَجرُبة ديمُقراطية مليئة بالأخطاء وهي بالمناسبة بتحتل المركز ال ١٥ عالميًا من حيث كفاءة أداءها[١]،

---

http://www.worldaudit.org/democracy.htm (١)

ومصر بالمناسبة بَرضُه بتحتل المركز الخامس والتسعين.. بس كمان تبص مثلًا على بريطانيا (المركز ال ١٣)، وهيَ من أعرق ديمقراطيّات العالَم، وتشوف عملت إيه في أيرلنده «والديمقراطية موجودة»! دخلت ازاي بريطانيا حرب العراق وأفغانستان ورا أمريكا «والديمقراطية موجودة»؟ كدَه، عشان دي سياسة، وفي السياسة اللي يكسِّبَك تلعب بيه، واللي محتاج يسمع منَّك حاجة قولهالُه، واتغدّى بيه قبل ما يتعشّى بيّ، وانا واخويا على ابن عمّي وانا وابن عَمّي عالغريب، وهَلُمّ جرًا قوانين كتير جِدًّا بتَحكُم هذا العالم، والعالِمين بتلك القوانين بيعرفوا يحرّكوه في أي اتّجاه يشاءون..

الديمقراطية في الغرب النّهارده مبنيّة على التعدّد الحزبي، أحزاب عديدة (منهم في الأغلب من تلاتة إلى ستّة أحزاب أقويا في كُل بلد)، كُل واحد فيهم عندُه سياسات مُختَلِفة وتوجُّهات مُختَلِفة ورؤية وطريقة مُختَلِفة عن التانيين فيما يَخُص المسائل المُختَلَف عليها. وبالرغم من ان التَعَدُّدية دي عندها مُمَيّزات عظيمة جِدًّا، إلّا إنّها للأسف أثبتت ان عندها عيوب عظيمة جِدًّا بَرضُه؛ زي مثلًا انّها بتخلق نوع من أنواع التعَصّب للحزب ده أو ذاك. فبدلًا من التفاف الجميع حول مصلحة الوطن، تلاقي كتير جِدًّا واحد جمهوري عشان أبوه كان جُمهوري، أو ديمُقراطي عشان الحزب الديمُقراطي مُسيطِر على المدينة أو الولاية اللي هُو عايش فيها وهكذا. ففي النهاية بَرضُه اختيار كُل واحد مع إنُّه بيتّسِم بالحرية والنزاهة في شَكلُه إلّا إنُّه مُتَأثّر في مضمونُه بحاجات كتير بتحول بينُه وبين الحُرية والنزاهة بمفهومهُم الحقيقي الأعمق.

أضِف إلى ذلك كُلُّه كمان العُقدة الكُبرى عند الديمقراطية انّها مابتتحققش بس على صناديق الانتخاب والاقتراع، لأ كمان أي ديمقراطية حقيقية بتَستلزم حرية كاملة في الاعتقاد والتوَجّه السياسي والتعبير عن الرأي، زائد طبعًا حريّة كاملة للصحافة والإعلام *(في محاولة لضمان معرفة الرأي العام بكُل ما يجري لتلافي وقوعُه في أخطاء أثناء اختيارُه، مما يُقلِّل نسبة الخطأ طبعًا، لكن زي ما هو واضح مابيِعدِمهاش)*. هتلر نَفسه تم اختيارُه ديمُقراطيًا على فكرة!

الديمقراطية ماتنفعش يعني؟! لأ طبعًا تنفع، بس بشروط كتير.. الديمقراطية حاجة صعبة جِدًّا مش سهلة ومع ذلك بِيستَسهِلها ناس كتير وبيفتكروا انّها كلمة سحرية أوّل ما تتقال كُل حاجة حتتصلّح.

أفلاطون شاف ان مُحبّي الحِكمة والمعرفة هُمّ الوحيدين اللي من حقّهُم يُدلوا بأصواتهم في أي انتخابات. وبناءً على أفلاطون انا شايف ان المُعضِلة بتاعة المُجتَمَع اللي عايز ديمُقراطية ناجحة وسريعة وفعّالة في تحسين الأوضاع النّهارده، هو إنُّه يحدد القواعد اللي بِناءً عليها حيُصنّف الناس إلى من لهم حق التصويت، ومن لهم حق المواطنة فقط.. «ممكن» في ظرف مُختَلِف عن بتاعنا تَصلُح الديمُقراطية كما هي فعلًا، لكن أوّل مُتَطلّبات الديمُقراطية «العموميّة» دي عشان تنجَح، هو نظام تعليم رائع مش بس كويّس، وكمان بتَتَطلّب الديمقراطية ثقافة ووعي واتّساع وتَحَضُّر وحاجات كتير..

فَلْحَد *على الأقل* ما يبقى عندنا ثقافة وحضارة وحركة فكرية وإعلام

حقيقي وقوي ومؤثّر، وتعليم كويّس فعلًا، يُخلّفوا وراءهم شعب مُتعلّم وواعي ومُثَقّف ومُتَحَضِّر فعلًا، انا شخصيًّا شايف ان بظروفنا الحالية (إحنا وكُل من يُشبِهنا)، لازم نرجع لأفلاطون في هذا الشأن خُصوصًا *(علمًا بإنّي شايف ان كُل الأمم لازم تعمل كدَه، حتّى الأمم المُتحضّرة، كُل الفرق أنُّهم حيستعملوا معايير مُختَلِفة في الاختيار، زائد أنُّهم مش مُضطَرّين يستعجلوا زَيّنا)*، لازم نرجع لأفلاطون عشان نستلهم منُّه حل لإزالة تلك النَدبة الكُبرى في جبين الديمُقراطية..

لازم كما أرى، كُل مُجتمع على حسب ظروفه الخاصة يلاقي طريقة يختار بيها من الشَعب من يستحق شرف عظيم زي الإدلاء بصوتُه، والاشتراك في تقرير مصيرُه؛ مُجتمع ما يقول مثلًا: لازم اللي يُدلي بصوته في الانتخابات يبقى جامعي، مُجتمع تاني يقول: كفاية يبقى مُتَعلّم، مُجتمع تالت يقول: لأ احنا المتَعلّمين بتوعنا مش مُتَعَلِّمين أوي لازم يبقى معاه ماجستير على الأقل، مُجتمع رابع يقول: لازم يبقى دارِس سياسة واقتصاد، مُجتمع خامس يقول: مش مُهم العَلَام بس لازم اللي يُدلي بصوتُه يُجبَر الأول على انُّه ياخد حصص تعليمية تثقيفية عن الديمُقراطية عشان يفهمها ويستوعب طريقِتها، مُجتمع سادس يمتِحِن الناس اللي رايحين يُدلوا بأصواتهم دول في برامج الأحزاب المُرَشّحة أو تَوَجُّهات المُرشّحين، عشان يتأكّد انُّهُم فاهمين هُمّ بيعملوا ايه.. أي طريقة يضمن بيها المُجتمع ولَو قَدْر من النزاهة الحقيقية العميقة لأي انتخابات؛ إن اللي يُدلي بصوتُه، يبقى فاهم بالظبط معنى هذا الاختيار وتَبَعاتُه،وبالتالي يبقى واعي للمسئولية اللي عليه وهُوّ بيختار.. العدد في اللّمون! الديمقراطية مش بالعدد.

لكن الديمُقراطية اللي بيتَساوى فيها صوت اللي يعرَف باللي مايِعرَفش، والجاهل بالعالِم، والحرامي بالقاضي، والمريض النَفسي بالفيلسوف، هِيَ ديمُقراطية في عيني أنا أقرَب ما تَكون إلى الهَزْل، وهَزل شَديد السخافة كمان..

ييجي بَقَه الدور دلوقتي في الكلام على الميزة اللي عند الديمقراطية التي لم تُذكر بعد ومش ممكن تتواجد في أي نظام غير ديمقراطي أبدًا وهي حَجَر الأساس للمسألة، هي مَربَط الفرس بل هي الفَرَس نَفسُه: إن الحاكم اللي اختاروه الناس، هو حاكم يقدروا يخلعوه نفس الناس. ده هو كُل الموضوع؛ لو انتفت الميزة دي، انتفت الديمقراطية من أساسها... وبعد ما يتَحقّق الشرط ده، نبدأ بَقَه نفكّر في حلول لمشاكل التطبيق.

وبصفَتي بَدّعي أنّي مُفكّر، بل وحتّى بيُطلِق عليَّ من يُحسِنون الظَن بي فيلسوفًا، فَانا حاقَلِّد أفلاطون شخصيًّا وحاكتِب عن «الجُمهورية» كما أراها انا، ولَسَوف أطلِق لخيالي العنان فماتتخَضُّوش.

أنا شخصيًّا يمكن لإنّي بَحِب الحلول الراديكالية سريعة المفعول، شايف اننا مش حنقدر نَتَحمّل الوقت الطويل اللي محتاجاه ديمُقراطيتنا عشان تصلّح من نفسها بالطريقة الكلاسيكية؛ إن الناس يفضلوا يختاروا بطريقتهم دي، اللي يدّي صوتُه لابن العُمدّة أو لابن واحد صاحبُه أو للراجل الصالح اللي بيصلّي أو لحد بيدّيلُه فلوس أو بيساعدُه أو كُل ما شابه.. وبعدين بعد ما يختار غلط مرّات عديدة حيُدرِك يومًا ما، انّها في الآخر بتيجي على دماغُه وان المعايير اللي

بيختار بيها مش صَح ولازم يغيّرها، وبعدين يلاقي حد «يقدر وعايز» يعلِّمه المعايير الأصح، وبعدين لو مالحِقش هو يصلّح الغلط ده، ولادُه بَقَه وعليكو خير يتعلّموا من أخطاؤه فيدوّروا على معايير مُختلفة للاختيار.. حنِعمِل دَه كُلُّه إمتى؟!

أنا شخصيًّا عايز آخُد من الديمُقراطية حَجَر الأساس بتاعها وابني عليه نظام تاني بديل، تعالوا نسمّيه جُزافًا «الرشيد المُنْتَخَب المُنفَرِد بالحُكم»، يعني إيه؟ يعني يتقدَّم لانتخابات الحُكم من يَتَقَدّم، (سواء من خلال حزب أو تَجَمُّع سياسي أو حتّى أفراد عَندُهُم ما يؤهِّلهُم للتَرَشُّح)، وبديهيّا كُلّهُم يقولوا للشعب هُمَّ مين، وبيفكّروا ازاي في المسائل المُختَلِفة، وعايزين يعمِلوا ايه، وهكذا. وبعدين يختار الشعب أحدهم، وبعد كدَه مالوش دعوة الشعب.. مافيش حاجة اسمها مجلس الشعب، يُلغَى من بابُه؛ مجلس الشعب ده لمّا الظرف يبقى سَوي لدرجة تسمحلُه انُّه يقدر يحقّق نظام زي ده؛ لمّا يبقى الشعب ممكن يختار فعلًا، ناس تنوب عَنُّه فعلًا، ناس بيعملوا كده على سبيل التضحية من أجل المصلحة العامة مش عشان نفسُهُم، ناس مُستَعِدّة تحارب عشان حُقوقُه وحقوقهُم وَلَو ماتوا في الحَرب..

وبعدين الشعب اتكلّم فعلًا خلاص واختار الحاكم بعد ما قيّمه وقيّم خططه ومنهجُه وطريقتُه. ويُدير الحاكم الوطن كيف يشاء، وبعد أربع سنين أحاسبُه انا تاني، (أنا الشعب) مش ممثّل عنِّي، أنا عارف كويّس حَصَلّي ايه أنا وشُغلي وولادي في الأربع سنين اللي فاتوا، عاجِبني اللي عَمَلُه الحاكِم أنتِخبُه مَرّة كمان، مش عاجبني أغيَّرُه.

وطبعًا بِيشرَحلي الحاكِم بيحصَل ايه في الأمور اللي انا ماعرفهاش، والله لو قالّي هو ليه الحاجة الفُلانية مثلًا ماتصلّحِتش لسّه وانا اقتنعت بكلامُه، خير وبركة، أعذُره وأدّيلُه فرصَة تانية. عِرِفت انُّه بيضحك عليّ، بيقولّي أي كلام، بيسَكّتني، أستنّى الانتخابات وادَوّر على غيرُه.

انا شخصيًّا عايز مايبقاش فيه برلمان من أصلُه بالرغم من غرابة الفكرة، عشان نائب الشعب في البرلمان مايُطلَبش منُّه يدِّي صوته في موضوع يخُص الطب وهو مُزارع! ولا موضوع يخُص الزراعة وهُوّ محامي، ولا موضوع يخُص التعليم وهُوّ أصلًا ماتعلِّمش تعليم كويس، ولا موضوع بيتطلّب حكمة في التعامل معاه والحكمة دي مش عندُه.. وعشان ماتختلطش المصالح، وعشان مايسيحش العام عالخاص، وعشان مايبقاش فيه ديون خلّفتها الانتخابات ولازم تِترد، وعشان يحصل طلاق بَيّن ما بين السُلطة والفلوس، وعشان مايبقاش فيه حاجة اسمها نوّاب القروض ولا نوّاب القُمار ولا نوّاب العلاج على نفقة الدولة، ولا نُوّاب بيمارسوا السياسة في التلفزيونات مش في البرلمان، ولا نُواب بيتشِخِط فيهم فينزّلوا إيديهُم، والإسم انّهُم جميعًا نُوّاب الشَعب!.. *اللي مش عاجبُه كلامي وعَندُه طريقة يضمن بيها ان كُل واحد حينجَح في الانتخابات فيبقى بيمَثّلنا في البرلمان هُمْ ناس كُلّهم مخلِصي النّيّة في خدمة الوطن، وكمان عندُهم ما يكفيهم من العلم والوَعي انّهم يحققوها، اللي عَندُه طريقة تخلّي مُحبّي الحِكمة والحق هم اللي ينجحوا في الانتخابات في ظل ظروف مُجتَمعية زي اللي احنا فيها دي، فليَتفضّل يقولّي عليها*

أرجوكو.. في وضعِنا الحالي انا بصراحة مش شايف طريقة عمليّة وفعّالة لتحقيق ده، والطريق الوحيد اللي يبدو مُمَهّد، مجهول وبطيء وطويل جِدًّا جِدًا..

مش معنى ان فيه برلمانات ناجحة في العالم اننا لازم يبقى عندنا برلمان وخلاص.. وبدل كده «*ما انا أطلقت لخيالي العنان بَقَه!*» تبقى كُل مفاتيح الإدارة في إيد الحاكم، هو اللي يختار مين يفتيله ويشور عليه في كُل شأن من شئون الدولة، وممكن جِدًّا الموضوع ده كُلُّه يبقى عَنْدُه شكل ديمُقراطي بَرضُه؛ يبقى عند الحاكم نوع من أنواع البرلمان المُصَغّر الخصوصي، برلَمان بتاعُه هُوّ.. أقرب إلى مجلس مُستشارين؛ مجالس كتير كُل واحد مُختَص بشأن من الشئون، المجلس ده بس اللي يبِت في كُل ما يتعلّق بيه (شَبَه لِجان مجلس الشعب، بس من غير بقية المجلس).. وأعضاء المجالس دي انا ماقدرش أختارها كمواطن أو حتّى كنائب؛ انا أصلًا مش عارف مين عبقري في الاقتصاد ومين حُجّة في القانون ومين بيفهم في التأمين الصحّي، فَبالتالي أبقى انا كمان غير مؤهل انّي أختار مين يقوم بأنهي مهمّة، بس الحاكم عنده وسائل يعرف بيها فين الكوادر دي، وعنده مصلحة في إنُّه يدوّر عليهم ويستعين بيهم، عشان ينجحوا فينجَح هُو كمان.

فالحكومة عايزة مثلًا تاخد قرار ما في تعديل دستوري، تاخُد رأي النُوّاب ليه؟! هُمّ النُوّاب دول كُلُّهُم قادرين على الإفتاء في أمور الدستور والقانون! ناخُد رأي القُضاة والدستوريين وأساتذة القانون المُشَكّل منهم مجلس مُستشاري الدستور.. عايزين ناخُد

قرار في التجارة، ناخُد رأي أساتذة الاقتصاد، وهَكذا. فنبقى عارفين ومُتأكّدين ان الناس اللي بيُسألوا دول فاهمين هُمّ بيعملوا إيه، نبقى مطّمّنين ان عَندُهُم إجابات للاسئلة، أو على الأقل انّهم يعرَفوا يدَوّروا عليها..

الشعب نَفسُه ساعتها صحيح مش حيبقى عندُه سلطة اختيار نوّاب في البرلمان لكن حتفضل عَندُه سلطة اختيار من يحكُمُه. وهيّ دي ماتبقاش ديمقراطية! تبقى ديمقراطية بَرضُه بس ديمقراطية بتدّي العيش للخبّاز. *(على فكرَة المَثل ده بايظ خالِص لإن احنا اللي بناخُد العيش من الخَبّاز مش بندّيهولُه! بس ما علينا)*

وطبعًا السؤال المنطقي هنا هو: والحاكم ده بَقَه يعمل ما بدالُه؟ يشنق الشعب يعني؟ يسرقه؟ يغتصبه؟ لأ طبعًا، هي سايبة! كده حيبقى ديكتاتور.. السُلطَة المُطلَقَة، مَفسَدَة مُطلَقة.. الجهاز الوحيد اللي يراقب الحاكم بأي طريقة يراها هو القضاء، في كُل الأحوال، لازم في الآخر تَثِق في حَد، وانا شخصيًّا أُراهِن على ضمير القُضاة. قضاء مُستقل بالكامل عن الدولة.. والقضاء بيراقب الحاكم فيمنع ظُلمُه ويحول بينه وبين أي جريمة كانت، ولو حتى الحاكم نَفسُه ارتَكَب جريمة يتحاكِم ويتعاقب. بس لا يتدَخّل حد في نظام الإدارة، إلّا من يسمح له الحاكم من خلال مجلس مستشاريه المتخصصين. وطبعًا يراقب القضاء كمان كُل مسئولي الحكومة وكُل الوزراء وكُل الناس. القضاء اللي يعمِل الدستور ويكتِب القانون، والقضاء اللي يذود عَنهم دفاعًا.. وممكن بَرضُه النظام القضائي المُراقِب الساعي

وراء العَدل ده، يبقى هُوّ نَفسُه نظام ديمُقراطي داخليًا؛ قُضاة يختاروا من قضاة من يقضي بين الناس وبين الدولة.. *ديمقراطية أهِه بَرضُه*، بس *ديمُقراطية في إيد «قُضاة»*.

طَب والشرطة؟ الشُرطة تتبع القضاء، الحاكم مالوش بوليس، الحاكم مدير المشروع، الأمن شُغلة القضاء والحساب شغلة القضاء والقانون وتطبيقُه شُغلة القَضاء، فيبقى كإن عندك دولَة «ديمقراطية» من الحُكماء العُدلاء القُضاة بتراقب الدولة الحاكِمة مُمثّلة في الحاكم وحكومته...

وممكن القرارات العظيمة المؤثِّرة مصيريًا زي قرار الحَرب مثلًا تُعرَض كُلّها على القُضاة عشان يقرّروا اذا كان دَه موضوع لازم يُعرَض على الشعب نَفسُه (فيتعمل عليه استفتاء سواءً للخاصّة أو العامّة)، أو يُترَك للحاكِم ومُستشارينُه.. المُمكِنات فعلًا كتير..

طيّب، هل مش خَطَر توضَع كُل السُلطَة دي في إيد مؤسسة واحدة وإن كانت القضاء نَفسُه؟ مافيش ضمانات في الدُّنيا زي ما احنا متّفقين، بس حتّى لو فيه خَطر فَانا شايفُه أقل السيناريوهات خطورة. لإنّك أولًا: فَصَلت الحُكم عن العَدل عشان ماتفسدوش.. وثانيًا: راهنت على قُضاة كده كده بيحكموا بين النّاس كُل يوم، فالعَدالة في إيديهُم أساسًا.. نخلّيها بَقَه في إيديهُم كُلَّها. ولو فيه قاضي فاسد مش حيسيبوه الباقي يَفسَد، ومش حيبقى فيه حد يحميه منهم.

أنا خلاص خَلّصت.. عايز بس أخيرًا أقول ان انا شخصيًّا اتعلّمت الآتي وانا بَفكّر في الموضوع ده أثناء كتابته: مافيش حاجة ببلاش

كُل حاجة ليها تمن، ومافيش طريقة سهلة لعمل حاجات عظيمة، ومافيش سحر ولا كلمات سحرية فيما يَتَعَلّق بالمُستَقبَل، والكلام مابيأكّلش عيش، والكويس عشانك مش شرط يبقى كويّس عشاني، ومش معنى انُّه مش كويّس عشاني انّه وحش، فيه مليون حل لكُل مُشكلة، ولا مؤاخذه «اللي يتكسف من بنت عَمّه مايجيبش منها عيال» ده *على اعتبار انّهم متجوّزين طبعًا!*

انا زيُّكو مُضطر أستنّى الديمقراطية بأي شَكل وخلاص، حتّى لو كُنت شايفها مليانة عيوب، وحتّى وانا ماعنديش القُدرة اني أصلّحها، وحتّى لو كانت لسه حتوصَل بعد سنين طويلة، عشان يبدو ان فيها الخلاص الوحيد.. انا بس زي ما قُلتِلكو كُنت بَأُطلِق لخيالي العنان *ولَو انّي بصراحة بصراحة، شكلي كده خلاص مابَقِتش أعرف أمسِكُه أصلًا!* وانتو كمان لو مابتِعملوش كِده، أنصَحكو تبقوا تعملوا وتسيبوه براحتُه، على الأقل أحيانًا.. فلإطلاق العَنان للخيال فوائد كثيرة..

عن الحُكم الديني

هُوّ مبدئيًا كده أصلًا أساسًا فيه إشكاليّات كتير حول هذا المُسمّى لأسباب عديدة، من أهمّها في رأيي، إعتبار أغلب الناس إن الحُكم الديني هو عكس العَلمانية، وده في عيني مش صحيح (هو اللي حاصِل في العالم قُرَيّب من كده فعلًا بس ده مش الأصل في الأشياء) لإن ببساطة ما بين هذا وذاك فيه درجات كتير جِدًّا من الألوان مش من الحكمة تَجاهُلها جميعًا؛ وتبقى يا إمّا عايز دولة «دينية» بيَحكُمها الدين، يا إمّا عايز دولة ماعندَهاش دين.. الحلول الوُسطى في المسائل الكبيرة الواسعة أوي كدَه هيَ دائمًا أفضل الحلول.

وثانيًا انك مش ممكن أبدًا ترسم خط فاصل في تاريخ الدُنيا، بين دور الأديان عن غيره من الأدوار في رسم خريطة الأخلاق في أي المُجتَمَع؛ فكرة الدين كانت دايمًا فكرة مُرتَبِطة ارتباط وثيق جِدًّا بالعدالة والحق والخير اللي هُمَّ نَفسُهُم ما تُحاول الدُول كُلّها من خلال الدساتير والقوانين تحقيقهم، سواءً كانت طريقتهُم علمانية أو دينية أو بَينَ ذلك. وعشان كِده مثلًا لا يَصِح في رأيي ان الواحد

يروح على ناس ماعَندُهُمش دين بس عندُهم أخلاق ويقول «ما الدين مالوش علاقة بالأخلاق أهُه» ماينفعش تقول كِده لإن المُجتمع ده زيُّه زي غيرُه ماصَنَعش «كُودُه» الأخلاقي الخاص بنَفسُه كِده من العَدم، بل كمان وَرَثُه من تاريخ البَشرية الطويل بكُل ما فيه.

عمومًا تعالوا دلوقتي جُزافًا نستعمل التعبير ده بمَعناه المُتعارف عليه ونبدأ بمحاولة تعريفُه.. يعني إيه حُكم ديني؟ الحكم الديني هو قمة اختلاط الدين بالسياسة، الحكم الديني هو أن يتّبع الحاكم منهج الدين في حُكم البلاد.. تاريخ الحُكم الديني طويل في الدُنيا، مِن عُمر البشرية نَفسَها؛ من الفرعون الإله عند قدماء المصريين، للإمبراطور اللي بيرَأس المؤسسة الدينية عند الرومان والإغريق، مرورًا بالدور الكبير جِدًّا اللي لعبته الكنيسة في تشكيل العالم كما نعرِفُه بعلاقتها الوثيقة بالسياسة، ووصولًا إلى الخلافة الإسلامية اللي كان فيها حاكم المسلمين هو أيضًا خليفتهم..

أوّل سؤال بيقفز إلى ذِهني لمّا مسألة الدولة الدينية بتُذكَر هو: طَب لو الدولة اللي بنِتكَلّم عليها دي نُص سُكّانها بيَتَديّنوا بدين والنُص التاني بيَتَديّنوا بدين تاني، يبنوا دولتهم الدينية على أنهي دين فيهم؟ طَب هل لو فيه أغلبية المُشكِلة بتتحَل؟ وبتتحَل لصالِح مين؟ ولو اتبَنِت الدولة فعلًا على دين الأغلبية وبعد ٢٠٠ سنة الأغلبية دي هاجر أغلَبهُم والميزان اتقلب، تُبنَى الدَولة من الأول على الديمُغرافيا الجديدة؟ ولّا يقسّموا الدولة بينهُم ويعملوها اتنين؟.. طَب ولو فيه تلات ديانات في الدولة دي؟ طَب لو فيه خَمسَة؟.. المسألة باين

جِدًّا انّها مليئة بالأفخاخ من أوّلها كِده عَلَطول.. واللي مش شايف الأفخاخ يبقى مافكّرش فيها كويس؛ لازم التَصَوُّر العَمَلي الحميد لوَضع زي دَه يبقى عَندُه على الأقل مُحاولات للإجابة على كُل الأسئلة اللي مُمكِن تُطرَح..

فيه ناس كتير في الدُنيا وخصوصًا من الشعوب المُتَديِّنة وخصوصا من المُسلمين في الوقت الحالي عايزين يعيشوا في دولة دينية عشان مُقتَنعين ان رَبّنا عايزنا نعيش في دولة بيَحكُمها الدين، وان المُسلِم مثلًا لازم يعيش تحت مَظَلّة حُكم إسلامية.. وبخصوص النُقطة دي عايز أقول انُّه ببساطة لو مافيش ولا دَولة في العالَم بتُعلِن نفسها «إسلامية» *(على سبيل المثال)* بَرضُه حَيفضَل فيه مُسلمين، وفي كُل حِتَّة في الدُنيا.. الإسلام ديانة زَيّها زي بقية الدِيانات مُمكن تعيش في أي مكان تَحت أي ظروف، لإنّها بتعيش في صدور من يَعتَنقوها..

عايز دلوقتي أبدأ أتكلِّم خصوصًا عن تصوُّر الدَولة الدينية الإسلامية عشان مايفضَلش الكلام عام كِده لإنُّه حيحتاج كتاب لوَحدُه لو كان..

أوّلًا في العالم النّهارده ٣ أنواع من الدول الإسلامية (يعني عندها أغلبية مُسلمة). النوع الأول هِيَ دُوَل أعلنت نفسها عَلمانية زي: تركيا (٩٨٪ مسلمين) مالي (٩٢,٥ ٪) وكازاخستان(٥٦,٤ ٪). النوع التاني هي دول التشريع بتاعها مُكَوّن من تشريعات إسلامية وتشريعات أخرى مَدَنيّة: زي مصر وباكستان وأفغانستان وإندونيسيا والمغرب ونيجيريا والسودان. وأخيرًا النوع التالت اللي هو زي

السعودية؛ بلد كُل التشريع بتاعها جاي من الشريعة الإسلامية، وإيران اللي عندها نفس الحالة بس بيزيد عليها ان عندها برلمان ديمُقراطي وأيضا بيشتغل تحت مظلّة تشريعية إسلامية.

مُشجّعي الحكم الديني الإسلامي *(العقلانيين منهُم اللي عايزينُه عشان مؤمنين بيه مش عشان مُتَعَصّبين ليه؛ لإن المُتَعَصّبين انا ولا حَعْرَف أكلِّمهُم ولا عايز أتكلّم عنهُم)*.. بيَستَنِدوا هؤلاء إلى مسألتين أساسيتين وراء هذا التشجيع؛ أوّلهم إن الشريعة (يعني التشريع الديني الإسلامي) هي نظام عادل في الحُكم لإنه بيستند إلى الدين، والدين عادل بطبعه، وبما إن العدل هو أهم ما يصبو إليه البني آدم، يبقى الحكم الديني عمومًا كده حاجة كويسة.. المَسند التاني هو إن الحكم الديني يُفترَض انُّه بيِخلق أرضية دينية بيُبنى عليها المُجتمع؛ فالأخلاق بتَتَحسّن والفساد بيقِل (ويدّعي البعض انُّه قد يختفي)، والمبادئ الدينية عمومًا بتنتشر فبيَعتَقِدوا انّ ده مُمكِن يُصلِح الضمير الجمعي العام..

ممكن يكون ده نظريًا كلام سليم فعلًا، بس تعالوا عمليًا بَقَه نتكلم عن تفاصيل المشاكل اللي بيواجهها الحكم الديني من وجهة نظري، خصوصًا في هذه الحقبة من تاريخ البشرية..

أوّلًا: إنّ من يطالبون بالحُكم الديني يطالبون أيضًا بالديمقراطية، أُمّال حيحصلوا عليه إزاي؟! عايزين انتخابات حرة نزيهة يدّوا فيها أصواتهم لممثل من التيار السياسي الديني ولمّا يكسب الانتخابات يَحكم بما أمر الله. طيّب، أوّل مشكلة بتظهر في الأفق هي إن الحاكم

بأمر الدين بشكل عام جِدًّا ماينفعش يشتغل في مناخ ديمقراطي أصلًا، ليه؟ عشان الديمقراطية فكرة أساسًا مبنية على إن القرار مايبقاش في إيد حد بعينه، الديمُقراطية مبنية على التَعَدّد وتداوُل السُلطة، الديمقراطية بتستلزِم وجود مُعارضة؛ بس الحاكم الديني لإنه ملتصق بالدين وبالمنهج الديني بيتحول إلى نوع من أنواع الخليفة؛ فمبدئيا ولا فيه تَعَدُّد ولا تداوُل ولا أحزاب حقيقية مناهِجها وطريقتها مُختلفة، ولا فيه مُعارضة طبعًا؛ لإن الإعتراض على حُكم من يَحكم «بما يرى إنُّه حُكم الدين» سهل جِدًّا يفَسّر على إنُّه إعتراض على حُكم الدين نفسُه! ولمّا يِحصل كده بتنتفي فكرة الديمقراطية من بابها، اللي هي زي ما اتفقنا الطريقة الشرعية السِلمية الوحيدة اللي ممكن يأتي بيها هذا الحاكم في عالَم النّهارده.

ثانيا: المُعضلة الكبيرة كمان هي إن السياسة مُتَّفق على إنّها أقذر ألعاب الدنيا، وبالتالي مين اللي عمومًا بيكسب في السياسة؟ الأدهى، الأمكر، الأقدر على فَهم أصول لعبتها؛ لمّا تكون اللعبة دي اسمها سياسة، خلاص كُلِّنا عارفين ان للّعبة دي قواعِد مُعيّنة، لكن لمّا تدخُل تِلعَب لعبة السياسة وانت مسمّي نفسَك «سياسي ديني» حتِلعَب بأنهي قواعِد، قواعِد الدين ولّا قواعد السياسة؟.. ومع فرض مثلًا ان فيه كذا تيّار سياسي ديني في مُجتمع ما بيتنافسوا على الوصول للحُكم، اللي حيكسب فيهُم ويِوصَلّه فعلاً مش شرط خالص يبقى الأحسن ولا الأكفأ ولا الأصلح ولا اللي يعرف رَبّنا أكتر ولا الأصفى نِيّةً حتّى، اللي حيوصل هو الأقدر على فهم لعبة السياسة وقواعدها؛ خبيث كان أو حميد.. في السياسة البقاء للأقوى.

في الحساب: واحد وواحد يساووا اتنين، لكن في السياسة: «الواحد ده مين اللي حيدفَعُه؟ ولو انا اللي حَدفَعُه حاخُد ايه قصادُه؟ وحَكسَب ايه لمّا نزوِّدهُم على بعض؟ طَب انا حَستِلِف الواحد ده من هنا والواحد ده من هنا وواحد من عندي وادّيك تلاتة، وانت ترجّعلي سبعة بس حَقُول للناس انّك مش حترَجّعلي حاجة!».. في الدين بَقَه عشان الدين عايز العَدل والصح والحلال بتتغيّر الأسئلة: أنهي واحد؟ وأنهي واحد تاني؟ واحنا مزوّدينهم على بعض ليه؟ وحَنزَوِّدهُم على بعض بأنهي طريقة؟ وفيه حد حيتضر لمّا نزوّدهُم على بعض ولّا لأ؟».. طريقة مُختَلِفة تمامًا في الحِساب، تمامًا.. السياسي الديني بِيستعمل مين فيهُم؟ ولو حيِستعمل منهَج ديني في السياسة فعلًا، ازّاي حيقدر يعمل كِده وهُمّ كُل أطراف اللعبة بِيلعبوا بقواعِد مُختَلِفة!

تعالوا كمان نفكّر في المسألة بشكل عملي أكتر؛ فيه مثلًا مفاوضات سياسية دلوقتي لازم تُجرَى مع الأمريكان، حَيَتفاوض فيها الحاكم الديني على إنُّه رجل سياسة عارف قواعِد اللعبة وعايز يحقّق بيها مصلَحة الوَطن من المفاوضات دي، ولّا على إنُّه رَجُل سياسة «ديني» عايز دَولِتُه تبقى إسلامية عشان يبقى هُو خليفة؟ وبالتالى تبقى أهدافُه مختلفة!

طيّب دلوقتي فيه مواضيع مش دينية على الإطلاق؛ الدولة عايزة تعمل كوبري، عايزة تزرع بطّيخ، عايزة تربّي معيز، عايزة تصلّح التعليم، أي حاجة. مافيش حلال وحرام في الحالات دي، فيه إيه أحسن؟ إيه أفيد للمُستقبل؟ ازاي نعمل ده أو ده بطريقة سليمة؟

وهكذا أسئلة. مين يجاوب عليها؟ طبعًا اللي بيِفهَموا في الشئون دي.. طَب تعالوا بَقَه نَفترض إن أكتر واحد عندنا بيفهم في أي شأن من دول واحد مثلًا مُلحد (*معلِش خُدُوني على قد عقلي*). يبقى لو فيه نظام ديني حاكم، حيستعين بيه ولّا لأ؟ مش حيستعين بيه طبعًا، ويستعين بيه ازاي الحاكم الديني وهو أصلًا رَجُل خارج عن الدين! (مع إنُّه زي ما فرضنا أحسن واحد يعمل الشغلانة دي، ومع إنُّه مواطن يُفتَرض فيه كمان انُّه مُخلِص للوطن).. فبيحصل إيه في تلك الحالة؟ بيحصل اننا حيروح علينا فايدة الاستعانة بهذا الرجل «الأكفأ للمهمة» لإنه في عين الحاكم بأمر الدينماينفعش نستعمله.. مع ملاحظة إن الدين نفسه أصلًا أصلًا لا يمنع الدولة من الاستعانة بنجّار أو جزّار أو دكتور أو مهندس أو مُستشار لا ديني أو غير مؤمن أو خِلافُه، بس كلّكو عارفين ان احنا لو عندنا حُكم ديني النّهارده بوضعنا الحالي، ده بالظبط اللي حيحصل.. وتوقُّع ده مش صعب يعني أعتَقد؛ عشان على أرض الواقع أصلًا فيه مسلمين مابيشغَّلوش مسيحيين ومسيحيين مابيشغّلوش مسلمين! أُمّال لو فيه حُكم ديني (بتاع أي واحد فيهم) حيحصَل إيه؟

طَب بلاش مُلحِد؛ مابيصلِّيش، بيشرب، فاسِق، أي حاجة.. هل النظام الحاكم بأمر الدين يصَح يَستعين بأي حد من دول؟ وأيًا كانت إجابة السؤال دَه، طَب هو أصلًا حيعرف عَنهُم كُل دَه ازّاي؟ حيراقب كُل واحد بتستعين بيه الحُكومة في السِر والعَلَن ازّاي؟ والأصعَب حيُحكُم على ضمائرهُم المَكنونة ازّاي؟

فَعشان استحالة تقييم الناس بمقياس «ديني» لاستحالة معرِفة ما في سرُّهُم؛ بيَحكُم أي حد على من يريد الاستعانة بيه من خبرته، من مؤهلاتُه، من تعليمُه، وهكذا. عشان دي حاجات أوّلًا نعرف نقيّمها، وثانيا محتاجينها في التقييم.. *وقد تِهِمّني كمان في «بعض» الظروف أخلاقُه، لكن دينُه مايهِمّنيش أبدًا..* فتبقى وجهة النَظر الدينية ماعَندَهاش القُدرَة على إنّها تنقّي وُزرا أو مسئولين أو غيرُه، لإنّها ببساطة ماعَندهاش وسائل تقيِّمهُم بيها.. ولّا مُمكِن النظام الدّيني يعيِّن الوزير الأكثر تَدَيُّنًا؟!

وعشان كُل تعقيدات التصاق السياسة بالحُكم دي، قصاد الناس اللي عايزين دولة إسلامية بيَحكُمها الدين، فيه فصيل تاني من المُسلمين عايزين يعيشوا في دولة مَدَنية بس عَندها مرجِعية إسلامية؛ يعني تطَبّق قاعدة ان «الدين لا يَحْكُم وإنّما يُحَكّم».. خلّونا نقول ان ده يحصل مثلًا بإن المؤسسة الدينية لازم توافق على القرار اللي بيَتّخِذُه الحاكِم في المسائل المُختَلِفة، بعد التأكُّد ان القرار ده مُتماشي مع قواعِد الدين.. كويّس جِدًّا بل مُمتاز، بس *بَرضُه للأسف مابيحِلِّش المُعضِلة..* تعالوا نفتَرِض مثلًا ان احنا حنتعاقَد مع شركة أجنبية على انّهم يعملولنا ميترو، وعندنا اختيارات بين شركة يابانية وأخرى ماليزية وأخرى أمريكية، وتعالوا نَفتَرِض ان الميترو الياباني هُو أحسن واحد والأكثر كفاءةً والأقل سعرًا.. ايه دور رأي الدين في الموضوع ده؟ هل ممكن رأي الدين يقول مثلًا: لأ نشتري من ماليزيا عشان دولة اسلامية؟ أو يقول مانشتريش من أمريكا عشان أمريكا غزت العراق وأفغانستان وهي دُول إسلامية؟ ولّا حيقول «نختار

الميترو الياباني عشان هُو الأحسن؟» لو خَد قرار بِناءً على وجهة نَظَرُه الدينية يبقى كِده دَخّل المواضيع في بَعض، وحيخلّي الدَولة تعقِد الصَفقة الأسوأ عشان سبب مالوش علاقة بالميترو في الحقيقة، *وماعندناش حتّى دليل انُّه لُه علاقة بالدين*.. ولو خدنا القرار الأسلَم إنّنا نشتري من اليابان، يبقى المُعادلة دي مافيش لرجال الدين مكان فيها، يعرفوا منين هُمَّ عن الميترو!

طيِّب نسأل رجال الدين في زَرع الأعضاء البَشرية؟ والعالَم كُلُّه يَختَرِق المجال دَه ويمشي فيه فراسخ واحنا نحَصَّلهُم بَرضُه بس بعد عشرين سنة، عشان كُنّا مستنيين رجال الدين يَجتَمِعوا على رأي في موضوع طبّي انساني اجتماعي مش ديني على الإطلاق! فيه أخطار اجتماعية كتير طبعًا مربوطة بمسألة زي دي، بس ماهو في العالَم كُلُّه الإجتماع والفلسفة والقانون بيشتغلوا في مُحاولة لتفادي تِلك الأخطار والعُيوب، إشمعنى احنا اللي عَندِنا دي مسألة دينية؟

طَب هل يِنفَع مثلًا ان رجال الدين يقولوا للحاكِم «لازم نحارب اسرائيل ونحرّر القُدس؟» دَه قرار سياسي، رجال الدين يعرفوا تَبعاتُه ازّاي؟ هم بتوع سياسة؟... ففكرة ان الحاكم ياخُد مشورة رجال الدين في كُل الشئون مش باين بالنسبالي خالِص انّها تِنفَع الحقيقة.. *في الشئون المُرتَبِطة فعلًا بالدين تنفع طبعًا بس مش في كُل حاجة ولا حتّى في عُشر الحاجات*..

اوعوا تكونوا تعبتوا ولّا حاجة، لسة بدري جِدًّا:)

طيّب، لمّا يكون فيه أي نظام حُكم ديني بيَحكم أي مكان، أو حتّى

نظام حُكم مُستَنِد إلى الدين في تقرير كُل شئونُه، والمكان ده عايش على أرضه أشخاص لا دينيين (انشالله يكونوا ١٠٠ نفر)، أو ناس بيتديّنوا بدين مُختلف عن الأغلبية في أي مجتمع متعصّب، بتبدأ تحصل مشاكل؛ بيِبقى فيه نوع من أنواع الرفض أو على الأقل خالص أنواع كتير من أنواع الحساسية.. لو الرفض والحساسية دول بين أفراد وبعض، ده يسبِّب ضعف للوطن.. بس لو الرفض والحساسية من الوطن نَفسُه، من النظام الحاكِم نَفسُه، ممكن يسبِّب كوارث..

مش مُمكِن أبدًا المُواطن يرفُضُه وطنُه «مُمَثّلًا في النظام الحاكِم» بأي درجة من الدرجات؟! أُمّال حيعيش فين؟ واحد دي أرضُه، وَطَنُه، وعايش عليها زي الناس اللي عايشين عليها؛ لازم يبقى بالنسبة للأرض، بالنسبة للوطن، بالنِسبة للنظام، زَيّه زي كُل الناس.. بالنسبة لربنا ده موضوع تاني، لكن مالوش دعوة الوطن بدين المواطن.. فيبقى كِده الوَطن لمّا يبقى عَندُه صفة دينية، ده سهل جِدًّا يسبب فُرقَه بينُه وبين نَفسُه، بينُه وبين جُزء منُّه.. وده كُلُّه مش شرط *خالص يحصل طبعًا؛ الدين إذا فُهِم على «حقيقتُه» عَندُه القُدرة انُّ يتعامل مع كُل حاجة، ويقدَر المُستنِد إلى حُكم الدين الإسلامي (موضوع المثال) يحافظ على حقوق النمل في جُحورُه، بس في نَفس الوَقت ازّاي مُمكِن نِضمن ان اللي بيُحكُم بالدين أو بيَستعين بيه في الحُكم، فاهم الدين السَمح الواسع بطبيعتُه كما ينبَغي؟*

ولو استوعِبنا المُعضلة دي كويّس، حنفهم فورًا قيمة ان «الدين للّه والوطن للجميع».. الجميع..

القانون والدستور من ناحية تانية بَقَه اتعملوا أصلًا عشان يشوفوا كُل الناس على انّهم واحد، ولو وقع القانون في غلط؛ زي مثلًا القوانين العنصرية ضد السود اللي كانت موجودة في أماكن كتير من الدنيا؛ ناس يحطّوها وبعدين ييجي بعد شويّة وقت وبعد شويّة مجهود، ناس تانيين يكتشفوا (أو يُجبَروا انّهم يعترفوا) ان دي كانت قوانين غلط لإنّها مُجحِفة بحقوق السود وغير عادلة وعُنصرية، فيغيّروها. بل ويبقى دلوقتي القانون في نفس البلاد دي هو اللي بيحمي كُل الناس من ممارسة العنصرية والتعصُّب ضدّهم بأي شكل من الأشكال.. لكن الحُكم الديني لو في نَفس الظَرف، حيعترف بأخطاؤه ازاي وهي أصلًا أفعاله مُلصَقة بالدين؟ حيقول الدين غِلِط؟ لأ مش حيقول. هُوّ المفروض يعني يقول «انا غلطت وانا بَحاول أفهَم الطريقة اللي الدين تناول بيها هذا الموضوع أو ذاك»، لكن هو انتو عُمركو سمعتوا عن أي حد عندنا قال كده أو حتّى قال حاجة شبيهه بإسم الدين؟ *(أو حتّى بإسم أي حاجة تانية!)*

وممكن أعتَقد نتعلّم حاجات مُهمّة عن موضوع النقاش ده لو بصّينا على التجربة الديمقراطية اللبنانية. اللبنانيين لَقوا ان الحل بتاع تناحر الطوائف السياسية الدينية المختلفة على الحُكم، هو ان كُل طائفة منهم تنفرد بمنصب سياسي في الدولة؛ فلازم يبقى الرئيس مسيحي ماروني، ولازم رئيس الوزرا يبقى مسلم سُنّي، ولازم رئيس مجلس النوّاب يبقى مسلم شيعي، وهكذا تصوّروا ان المشكلة ممكن تتحل (أو هكذا كان الفخ اللي نصبهُلهم الفرنساويين ووقعوا هُمّ فيه بكل حُب). بس في الحقيقة لمّا تتأمّل الوضع اللبناني تكتشف ان

اللي حصل ده غلّب طائفية اللبنانيين على وطنيّتهم، وخلّاهم ينتموا لأوطان مختلفة داخل الوطن الواحد. ففِضلت العصبيّة والتعصّب اللي في الخفاء والعلن هُمْ أسياد الموقف السياسي، وهُمّ اللي بييجوا الأول بدلًا من مصلحة الوطن شخصيًّا.. لازم الرئيس مش يبقى من الطائفة دي أو تلك، لازم الرئيس يبقى أنسب واحد للمكان، وشرحُه بقية المناصب. الانتماء الطائفي، زيُّه زي العِرقي كدَه؛ لا يصلح انُّه يكون معيار اختيار عادل تحت أي ظرف من الظروف.

ومن غير حُكم ديني ولا حاجة ومن غير جواز الدين بالسياسة زي *في الحالة اللبنانية*، ممكن بسهولة نشوف الأثر المُصَغّر بتاع ده على حالات في واقعنا احنا النّهارده، وتلاقي ان القانون نفسُه عنده مشاكل في حلّها متعلّقة بإنّه بس مُختلِط بالدين.

زي مثلًا مشكلة البهائيين اللي انتهت بإن الدولة سمحتلهم ان خانة الديانة في البطاقة تُتْرك فاضية! كده بَقَه الموضوع اتحلّ؟! كده مابقاش فيه بهائيين؟! قال إيه: أصل احنا لو كتبنالهم «بهائي» يبقى احنا كده بنعترف بيهم! والحكومة ليه لازم تعترف أو توافق على ديانتي؟ انتِ مالِك يا حكومة؟ حق الحكومة على المواطن في هذا الشأن انّها تعرف هو مين؛ اسمك إيه؟ إسمي حَزَلْقوم، تكتبوا اسمي زي ما انا عايز أتسمّى. عايزين تكتبوا ديانتي؟ ومالُه اكتبوا؛ ديانتك ايه؟ مجوسي، تكتبوا بياناتي كما أنا. عشان الإحصاء يبقى دقيق وعشان نبقى عارفين مين فينا مين، ودي حاجة مُفيدة للمُجتمع وللحكومة كمان، لكن لمّا نَغُض البصر عن حاجة، الحاجة دي

مابتختفيش.. ومافيش حد أبدًا بيستفيد من استعمال سلوك النعامة الشهير.. *(ولو ان بَرضُه النعامة مابتدفِنش راسها في الرَمل ولا حاجة، ودي ما هِيَ إلّا إشاعَة مُغرِضة!)*

في مصر النّهارده لو واحد مصري مُسلم أو مُسيحي راح تايلاند اتجوّز هناك ورجع معاه مراتُه التايلانديّة البوذية، يروح يسجّل عقد جَوازهُم، يقولوله ماينفعش، لازم ديانة سماوية! لازم ديانة سماوية يعني إيه؟! فيه دولة تقول لمواطن لازم تتجوّز واحدة ديانتها كذا أو كذا عشان أعترف بجوازك؟ فيه حكومة تُطلُب من مواطنيها التزوير في أوراق رسمية عشان مش عاجبها بياناتهم؟! هُوّ واحد مُخالف لأمر في دينُه فعلًا وبيتجوّز واحدة غير كتابيّة، رَبّنا اللي حَيْحاسبه على الموضوع ده مش الدولة ومش القانون. انتِ دورك كدولة انِّك تَحفَظي الحقوق.. فلمّا الدولة تجبر مواطن انُّ يزوّر في بياناتُه عشان بياناتُه مخالفَة للدين يبقى فين الحقوق؟! وبعدين ده دي الدولة اللي مش دينية ولا حاجة، أُمّال لو الدّولة دينيّة فعلًا حتِعمِل إيه في الراجل اللي اتجوّز واحدة بوذية دَه؟ أكيد أكيد حيُعاقَب.

لمّا تَتَأمّل الحدود والعقوبات اللي بتُوكَل من الله إلى عبيدُه عشان يطبّقوها على الأرض تلاقيها كُلّها مُتَعلّقة بالحقوق؛ عشان كده المُجتَمَع من حَقُّه يعاقب اللى بيسرق، أو اللي بيقتل، من حَقُّه يعاقب اللي بيَعتَدي على حقوق غيرُه، اللي بيُفسِد في الأرض، الدَولة لازم تعاقب الراجل اللي اتجوّز البنت البوذية لو طَردها من البيت ورماها في الشارع! الدولة شُغلِتها تحفَظ حقوق البنت دي كمان..

لكن من وجهة نظري أنا، مش من حق المُجتَمَع انُّه يعاقب مواطن من مواطنيه انُّه مابيسمعش كلام رَبّنا، القانون يعاقب اللي مابيسمَعش كلام «القانون» اللي بيحمي الناس جميعًا وحقوقهم.

زي بالظَبط ما القانون ماينفَعش يعاقب واحد مُسلِم عشان فاطر في رمضان، ولَو كان بياكل أو يشرب في العَلَن! وانا كده بَقول للناس ايه؟ افطروا بس في الخباثَة؟! دي رسالة يَصِح ان دولة توجّهها لمُواطنيها! وبعدين أساسًا مافيش عقوبة دُنيَويَه في الإسلام للّي مايصُمش، يعني في دولة رسول المُسلمين مايبقاش في عقوبة للّي مايصُمش، واحنا نعملُّه عقوبة ونلزَقها كمان في الإسلام؟! الصيام واحد من أهم فرائض العبادات على المُسلِم متّفقين، بس اللي مايصُمش رَبّنا اللي يحاسبُه، مش احنا.. فاكرين ان اللي بيفطر في رمضان علانيةً ده بيُلحِق أذى بالصائمين فبيعاقبوه؟ وهُمّ المُسلمين اللي عايشين في أوروبا وأمريكا والعالَم غير الإسلامي كُلُّه بيصوموا ازّاي لو لازم عشان انا صايم ماحَدّش يفطر قُدّامي؟!

مانخلّي القانون يحاسِب اللي مابيصَلّيش كمان بالمَرّة! ماهِي الصلاة فَرَض على المُسلمين بل هِيَ أوَّل الفروض. عارفين ليه مايقدَرش القانون يعمل كِده؟ لإنّه مُستَحيل يِعرَف كُل الناس بيصَلُّوا ولّا لأ، ولإن الناس مابتصلّيش للقانون، ولإن دي مش شُغلِة القانون أصلًا.. فمادُمت ماتقدَرش تخلّي القانون يحاسب «كُل» الناس على «كُل» التزامهُم بأوامر الدين من عَدَمُه، يبقى ماتفتحش الباب ده أساسًا بَقَه، عشان ولا حتعرف تقفلُه ولا حتعرف تدخُل منُّه!

أنا شايف ان القانون المَدَني مش من حَقّه يفرِض على الناس الالتزام بأي قانون شرعي ديني؛ فكرة الأديان نفسها فكرة مبنية على الإيمان والاتّباع، لمّا حد بيصَدّق في دين بيَتّبِعه، بس لَمّا القانون يَفرِض عليّ الالتزام بأمْر دين؛ أوّلًا بيحرِمني من اختبار اتّباعي للدين لإنّه خلاص فرضُه عليّ، وثانيًا خَد من حُريّتي الشخصية اللي (رَبّنا بذاتُه العليّة ادّاهالي) في عدم الاتّباع لو مش عايز أتّبع، وثالثًا إدّى نَفسُه حق مش بتاعُه وهو بيعمل كِده.. الإلزام والفَرض في رأيي بيُفسِدوا الفعل المُتّبِـع للدين من أساسه، لإنّهم بياخدوا منُّه حرية الاختيار اللي بسببها بيستحق البني آدم الفَرد، الثواب أو العقاب على أعمالُه.

والكلام ده ماتنسوش ان كُلّه أصلًا مش حِكر على المثال الإسلامي؛ في أغلب العالَم «إتِّباعًا للتعاليم المَسيحية» لو راجل اتجوّز ٢ بيتسجن، حتّى لو كان مُسلم مُقتَنِع عقائديًا ان من حَقُّه يتجوّز أربعة.. انا شايف الخواجَة كمان مالوش الحق يفرِض أمر ديني زي دَه بقوة القانون.. المَسيحي الكنيسة بتقولُّه ماينفَعش يتجوّز غير واحدة؟ كويّس أوي، دي مسألة بينُه وبين الكنيسة، إيه اللي حَشَر الدّولة؟ ليه الكنيسة تقول للدولة إعملي قانون يا دَولَة يعاقب الراجل ده عشان مابيسَمعش كلام الدين؟

وليه بَرضُه القانون يعاقب واحد مُسلم عشان اتجوّز سبعة؟ القانون يعاقبُه لو اتجوّز من غير ما يقول للحكومة، أو يعاقبُه لو اتجوّز سبعة من غير ما كُلُّهم يبقوا عارفين، أو لو خالِف شروط العقد اللي بينُه

وبين أي واحدة منهم!.. *(وانا مش عايز حد يتجوّز سبعة ولا حاجة على فكرة! أنا بَتكلّم في المبدأ)*.

ولو حَد بيفكّر دلوقتي ان الدولة الإسلامية الأولى كانت بتطبّق الحدود الشرعية الإسلامية، وعشان كِده عايز الدولة المدنية اللي عايش فيها مسلمين تعمل كده هي كمان، فالدولة الإسلامية الأولى دي كانت دولة مبنيّة حوالين الإسلام، من الإسلام، دولة هَدَفها في المقام الأوّل حماية الإسلام ونَشرُه، عشان كدَه قانون الدولة ودستورها كان كُلُّه إسلامي، فكانت بتَفرِض تطبيق كُل تعاليم الإسلام بما فيها الحدود. لكن الدولة دي مش بس كانت هويّتها الأساسية انّها إسلامية، بل كمان الظَرف التاريخي اللي كانت عايشة فيه كان يَسمَحلها انّها تطبّق تلك القواعد الشرعية، زي قطع يد السارق مثلًا. العقوبة دي مش معقول تَصِح على أي مُجتَمَع مُسلِم في كُل الظروف؛ لازم الأول المُجتَمَع يبقى عندُه عَدل وعدالة اجتماعية وأخلاق ويبقى مافيهوش حَد جعان، وبعدين يُنذَر السارق (على سبيل الترهيب) إنُّه حتِتقطَع إيدُه لو سَرَق، وساعتها وبعد كُل دَه لو سَرَق فعلًا مرة واتنين وتلاتة يبقى يستاهِل بَقَه..

لكن بَلَد مثلًا تبقى مليانَة ظُلم ويأس وفساد وعَدَم تكافُؤ فُرَص والناس مش لاقية تاكُل ومافيش تعليم ولا تربية ولا ثقافة وتُقطَع إيد السارِق؟ حتِتقطع أيْدِي نُص الشَعب! الفاروق عُمر بن الخَطّاب شخصيًّا، أوقَف تطبيق حَد السرقة في عام المجاعة، لإنُّه لقى الظرف اتغيّر ومابقاش يَصلُح فيه تطبيق الحد.. ولو حَصل كِده لمّا الظرف

اتغير لإن كان فيه مجاعة، يبقى ازّاي ممكن يفرِض القانون تطبيق نفس تشريعات وحدود وعقوبات الدولة الإسلامية الأولى في عالَم كُل ظروفُه اتغيّرت بلا استثناء؟!

البشرية استوحت فعلًا من الأديان ايه اللي يُجَرّم وإيه اللي مايُجَرّمش وبعدين انطلقت لوحدها بعد ما فهمت من الدين مُبتغاه في تحريم الأفعال المُحَرَّمَة. فبَقِت عقوبة السرقة هي السجن، *ولمّا عَملنا كِده لم نَترُك الدين ولا حاجَة*... وبقِت كمان تجارة الآثار، وتهريب المُخدّرات وغسيل الأموال وغيرها من الجرائم الجديدة مُحرّمة في القانون، مع ان الدين ماكانش يعرفها.. فالقانون استوحى من الأديان ومن المنطق ومن العقل ان اللي يسرق يستحق العقاب، وبعدين بيقرّر القانون العقوبة المُناسبة للسرقة على حسب ظروف المُجتَمَع وظروف السارِق.

طيّب جِه الدور دلوقتي على سؤال مُهم: هَل الحُكم بأمر الدين أو الاحتكام للدّين لُه طريقة واحدة مُطلَقَة، كُل الناس متّفقين عليها وبالتّالي لو اتّبعناها مش حَنَختَلِف، ولّا هيّ مسألة نسبيّة ومُتَغَيِّرة؟ والإجابة سهلة جِدًّا، قبل الإسلام خالص بُصّوا على الفروق الكبيرة في تطبيق المَسيحية بين طوائفها المُختلفة؛ حُروب ضَروس قامت بين الكنائس دي على مر تاريخها كُلُّه، مش كان بينهُم اختلافات كده وخلاص.. وبعدين بُصُّوا حواليكو على خريطة العالم الإسلامي، حتلاقوا طُرُق مُختلفة جِدًّا في تطبيق الإسلام؛ طريقة الإسلام في مصر، غير طريقة الإسلام في اندونيسيا، غيرها في إيران، غيرها في لبنان، في باكستان، في نيجيريا، في السعودية.. كُل مكان عَندُه

شخصية جايّة من ثقافتُه وبيئتُه وظروفه، والشخصية دي بتأثّر في طريقة تعامُلُه مع الدين ووجهة النظر اللي بيشوفه منها، وبالتالي طبعًا في طريقة تطبيقه... ولاحظوا الفرق اللي بيعمله التطور الزمني كمان؛ الإسلام من ألف سنة غير من ٥٠٠، غير دلوقتي.. المبادئ العقائدية الأساسية طبعًا واحدة بس طريقة الفهم والتطبيق والفلسفة وراهُم مختلفة جذريًا.

وأعتقد ان المسألة دي من أهم الأسباب اللي بتِقلِق ناس كتير من موضوع الحُكم الديني؛ إنُّه مُتغيّر، فيه ألف طريقة ممكن تنفّذُه بيها... لمّا تقولّي: انا حَحكُمَك بنظام ديمقراطي، حَبْقَى فاهم نسبيًّا يعني إيه، لكن لو قُلتلي حَحكُمَك بطريقة إسلامية مش حَبْقَى متأكّد انت حتعمل كده ازّاي بالظبط لإن ده مُتغيِّر من ثقافة للتانية؛ ما انت ممكن تقول البنك حرام وتقفل البنوك وتغيّر تغيير جذري في النظام الاقتصادي، ممكن تقول التليفزيون حرام إلّا إذا كان بيعمل برامج دينية، وممكن تقول اللّي مايربّيش دَقنُه يتحِبس واللي ماتلبسش حجاب شرعي تتحِبس.. ممكن تقول أي حاجة انت عايزها وابقى أنا ساعتها لازم أرضخ لحُكمك على أساس انُّه أمر الدين، مع إنُّه في الحقيقة «اللي انت فهمت انُّه مِن أوامر الدين».

وبعدين احنا ممكن نتّفق فعلًا النّهارده على طريقة للحُكم الديني، لكن الحاكِم اللي حييجي بَعدَك، مُمكن لمّا ييجي يقول كلام تاني خالص، وحيجيبُه من الدين بَرضُه! حَقولُّه إيه ساعتها؟ مش انا خلاص وافقت انّك تُحكُمني سياسيًّا بالدّين!

أنا الحقيقة وبكل شفافية، شايف إن الحكم بالدين لا يصلُح لهذا الزمان، وبَقول كده لإنّي الحقيقة بَرضُه، شايفُه لا يصلح أصلًا من غير رسول، رسول عنده إجابات الأسئلة المهمّة كُلّها لإنّه مُتّصل بالإله..

إرجعوا لتاريخ الدولة الإسلامية منذ نشأتها؛ تُوفّي الرسول عليه السلام بعد ما أرسى قواعد الدولة الإسلامية الأولى في ظروف أقل ما يطلق عليها انّها شديدة الصعوبة. وجاء من بعده أبو بكر وعمر اللي هُمّ من أحسن ما أنجبت البشرية من رجال (مش تَعصُّبًا واللهِ بل اعتزازًا بتاريخهم اللي بيَشهَدلُهُم بكده، زي ما تاريخ عثمان وعلي رضي الله عَنهُم جميعًا بيشهدلُهم أيضًا)، فرسّخوا فكرة الدولة الإسلامية القائمة على العدل والمساواة والحق. وبعدين بدأت المشاكل السياسية تتضخّم في عهد عُثمان وعَلي تالت ورابع الخُلفاء الراشدين، وبعدين بدأ اضمحلال فكرة الدولة العادلة التي لا تخاف في الله لومة لائم شيئًا فشيئًا، لحد ما وصل الأمر لرجال الدين المسيَّسين، اللي كانوا بيسمعوا كلام الحاكم أو يرضخوا ليه أو يجاملوه أو يساعدوه في قهر مُعَارضيه، وغَير ذلك كثير..

نتعلّم إيه من كدَه؟ نتعلّم إن السياسة لمّا تدخل في الموضوع بتبدأ تُفسد الدين وتُلحِق بيه الأذى! عشان بتستعمله كوسيلة لتحقيق مصالحها (حتّى وإن كانت أحيانًا شريفة) أو بتستعمله كسلاح من ضمن الأسلحة اللي بتقهر بيها أعداءها السياسيين...

طَب هل لازم السياسة تُفسِد الدين؟ ولازم الحُكم الديني يُفسِد الدولة؟ لأ مش لازم خالص، بس التاريخ بيقول ان هُوّ ده اللي بيِحصل في أغلَب الأحيان.

وبرضُه من قبل الإسلام، شوفوا السياسة عملت ايه في المَسيحية، شوفوا ازّاي قسِّمِت المَسيحيين، شوفوا قد إيه تم استعمالها في الحصول على المُلك والإبقاء عليه، شوفوا قد إيه تم استعمالها في الاعتداء، في الحروب، في القهر، وهِيَ دين سماوي جاي من عند الإله عشان يلعب دور مُختَلِف تمامًا.

شوفوا الخلاف السُّنّي الشّيعي ضيّع قد إيه من مجهود الدولة الإسلامية كُلّها من يوم نشأته لَحظة وفاة الرسول الكريم وتولّي أبي بكر لحد النّهارده.

واستمرّت مسألة استعمال الدين استعمالات سياسية في أركان العالم الإسلامي حتى يومِنا هذا، وراجعوا الدول العربية الكتير اللي بيقرا فيها خطباء الجُمعة خُطبَة موحّدة في الدولة كلّها لازم طبعًا تنتهي بالدُّعاء لأولي الأمر!

الدين مش شغلته يخدم الحاكم على حساب أي حد، ولا شُغلته ينصر فرقة ما على فرقة أخرى، ولا شُغلته يقَعّد حد على كُرسي المُلك أو الحُكم.. دي كُلّها سياسة، والدين مش شغلتُه السياسة؛ الدين شغلته أن يصبو إلى صلاح المجتمع والناس ويقرّبهم من ربّهم المعبود.. كانت شُغلتُه كمان السياسة صحيح وهو بيُرسي قواعِدُه الأولى، عشان يحمي نفسه وهو بيِتزرِع بإنّه يخلق دولة يعيش فيها بسلام، وبيبقى ساعتها مُهَيّأ للدور ده؛ عنده رسول متَّصِل بالإله، مُختار من الإله، بيقوّم أخطاؤه الإله، بينصَحه الإله، وبيُلهمه الإله.

الرسول الموحَى إليه من الإله نفسه زي النور اللي جاي من الإله

نفسه، وبعد ما يموت الرسول منطقي ان النور مابيختفيش فورا، بيفضل تأثيرُه القوي على الرجال المخلِصين اللي عاشروا الرسول المستنير؛ قَعدوا معاه، اتكَلِّموا معاه، اتعلّموا منه، من لسانه، ومن طريقته، شافوا النور اللي كان جاي بيه آخر المُرسَلين بعيونهم. فتأثُّرهم بيه كان تأثر عظيم الشأن، سَمحلُهم انّهم يحملوا جزء من النور بعد وفاته، لكن بعد الخلفاء الراشدين بدأ يَخفُت النور شيئًا فشيئًا، ماهو اللي شاف مش زي اللي سمِع، واللي قرا عن حاجة مش زي اللي عاشها.. ومش معنى كده طبعًا ان كُل حاكم لدولة الإسلام من بعد الراشدين كان حاكم وحِش، أبدًا، كان فيهم من أحسن الناس؛ يَكفي أنْ كان فيهِم أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، وما أدرانا من عُمَر.. بس بشَكل عام، الظرف اللي وُجِدوا فيه حُكّام دَولة المُسلمين بعد وفاة الرسول الكريم خلّى اجتماع السياسة بالدين في نفوسهم أصعب كثيرًا؛ ماهي مهمّة مش سهلة أبدًا، ولا حَمْل مسئولية السياسة لوحدها حاجة سهلة، ولا حَمْل مسئولية الدين، ما بالكو بَقَه بحَمْلُهُم الاتنين مع بعض، و«خُلِقَ الإنسانُ ضعيفًا» زي ما قال عَنُّه اللي خَلقُه العليم بيه.. والسياسة مُفسدة والسلطة مُفسِدة أكتر، فَلِيه نحمّل البني آدم ما لا يُطيق؟ رجال السياسة يشتغلوا في السياسة والله يعينهُم عليها، ورجال الدين يشتغلوا في الدين والله يعينهُم عليه.

فاضل بس سؤال أخير عشان نخلّص بَقَه الموضوع ده لإن زي ما كلكو عارفين، كُل حاجة بتخلص:)

ازّاي من غير حُكم ديني ولا حُكم مُلتَصِق بالدين نحافظ على الأثر

المهم للدين على المُجتَمَع؟ بنفس الطريقة اللي بنحافظ بيها على كُل حاجة!؛ بإننا نَرعى الدين، الدولة لازم تحمي المؤسسات الدينية من العبث ومن التَخلّف، تحمي الكنيسة والجامع والجامعة الإسلامية والجامعة المَسيحية لو فيه؛ تعمل بعثات ومؤتمرات وتكريم للنوابغ، وإحياء للفلسفة الدينية، ورقابة صارمة من المؤسسة الدينية على كُل من يَتكلّم بإسم الدين سواء مسلم أو مسيحي.. ولو فيه هندوس في مصر بَرضُه ترعى الدولة مؤسستهم الدينية مش يقولوا «كده حنبقى بنعترف بيهُم»! تَدَيُّن كُل واحد بيخلّيه بني آدم أحسن؟ يبقى انا الدولة حَرْعَى كُل مؤسسة دينية انشالله تكون مؤسسة بتاعة ٥٠ واحد.

وييجي دور الدين الحقيقي هنا في إنُّه يغسل نفوس الناس وضمائرهُم وينقّيها من الوِحِش اللي بيَعْلَق بيها كُل يوم، ينقّي كُل الناس؛ الحاكم نفسه ورئيس الوزرا والمسئولين والدكتور والموظّف والسوّاق وكُلّ كُل الناس. لو المجتمع كُلّه تأثر بفَهم عميق للدين حيبان عليه كُلّه، لكن الدين مش بالعافية، مش بالفرض.. ينفع تجبر المسلمين يربّوا دقنهم زي أفغانستان، وممكن *تحاول* تجبرُهُم يصلّوا زي السعودية، بس مستحيل تجبر الناس انّهم يعرفوا رَبّنا، ماحَدّش يقدر يعمل كده أبدًا غير بإنّه يعلّمهم عن رَبّنا وعن الدين بطريقة تأثّر فيهم بالإيجاب.

رجل الدين الحقيقي هو اللي بيلاقي طَريقُه إلى قلوب الناس، مش اللي عايز حُكم ديني يدِّيلُه سُلطَة عليهم!

وأخيرًا، انا شخصيًّا مش شايف انّي محتاج حتّى أعرف عن الانتماء

الديني لمن يَحكُمني، ومش حَقدَر احكُم على نيّته.. بس اقدَر احكُم على برنامجُه الانتخابي؛ عايز اشوف شُغلَك، عايز اسمع أفكارك، عايز اعرف انت حَتحل مشاكلي ازاي، عايز اعرف انت حَتقدر فعلًا كَحاكم تحقّقلي العدل والمساواة والحرية وتضمن للوطن التقدّم ولّا لأ، وعايز اعرف انت عندك إيه بتستعد بيه للمستقبل.. إنت شخص مُتديِّن، انت شيخ، انت شخص ماتعرفش رَبّنا أصلًا، ماليش دعوة، ده موضوعَك انت! انا اللي عايزُه منّك كَحاكِم كُل النّاس متّفقين عليه.

مش محتاجين نخترع العَجَلة تاني، عملناها خلاص من زمان.. وعاشت البشرية آلاف السنين واكتَشفِت بعدُهم ان الحُكم يبقى بالدستور والقانون. والدستور والقانون بيتبنوا بإيه؟ بيتبنوا بالعِلم والعدل والخبرة السابقة وقبلُهم كُلُّهم الأديان. فمافيش أبدًا تعارض بين هذا وذاك، إلّا ان الدستور والقانون مابيتأثّروش بمين اللي بيطبّقهم زي ما بيتأثر الدين، لا لِعيب في الدين أبدًا، بل لطبيعتُه.

عن احتكار الدين

(بالرغم من ان ده موضوع إسلامي جِدًّا إلّا انّي أعتقد ان المَسيحيين حيلاقوا فيه «بعض» أنفسهم، مع اختلاف المسمّيات)

سهل جِدًّا على البني آدم انُّه يقع في ذلك الفخ؛ فخ انُّه يبقى عايز يحتكر الصواب لنَفسُه. بيحصل كده في كُل مجالات الحياة أعتقد، بس لما بيحصل كده في الدين تحديدًا بتَظهر عيوب أخطر من تلك التي تظهر في أي حاجة تانية، لإن الدين ظرفُه مختلف؛ الدين بطبيعتُه حاجة تَخُص كُل الناس،ماينفعش يبقى بتاع ناس بعينهم أبدًا، حتى لو كانوا رجال الدين أنفُسهم.

اللي جاي ده ما هو إلّا محاولة لإظهار تلك العيوب، أملًا في إن اللي يقتنع بيها يتفاداها، واللي مايقتنعش، يخلّي عينُه عليها على الأقل، وَلو على سبيل الإحتياط.

عن السلفية

السلفية ببساطة منهج في مباحث الدين الإسلامي بيعتمد في أصلُه

على ما وصل لنا عن *طريق التاريخ* مما ترك «السَلَف الصالح».. يعني ما وصل إلينا عن *طريق التاريخ* عن صحابة الرسول الكريم والتابعين لَهُم. وتعتمد السلفية في أصلها على الأخذ بالقرآن والسنة (وهو ما لا خلاف عليه) ولكن من وجهة نظر السلف دون غيرهم؛ يعني بتقفِل الباب تمامًا على أي محاولة لدراسة أي فرع من فروع الإسلام لا تعتمد بشكل مُطلق على ما وصل إلينا عن تلك القرون الأولى من المُسلمين..

زائد تفصيلة في غاية الأهمية؛ ألَا وهي اعتبار كثير من السلفيين (أو أغلَبهُم، أو كُلُّهم!) لمن لا يتّبع منهجهم أنَّهم ضالّون؛ على اعتبار أنّ السّلَف هُم الأمناء الوحيدون على آخر أديان السماء.

طبعًا السلفية موضوع كبير جِدًّا، بأسباب ظهورها، بمنهَجها، بأهدافها، بأجندتها السياسية الحالية، بالوهابية اللي بترعاها، بتفاصيل كتير جِدًّا ده مش المكان المُناسِب لذكرها جميعًا، بس أكتر اللي يهِمّني من كُل ده، هو إن السلفيين بيرفعوا دائمًا شعار انهم هُم المُدافعون عن الدين لإن منهجهم بيمنع العابثين من العبث في شئونُه. وده ممكن يكون صحيح فعلًا بس كمان مشكلتُه انُّه بيمنَع المُجتهدين من الاجتهاد؛ لإن زي ما قُلنا السلفية بترفض أي فقه جديد وأي تفسير جديد وأي تحليل جديد، وبيكتفوا تمامًا وكُليًّا بما جاء في أمّهات الكُتب الإسلامية عن السابقين الأوائل (مش *كُل السابقين خلّوا بالكو، الأوائل فقط وتابعينهم اللي نقلوا عَنهُم*). فبيقفلوا بكده تمامًا كُل أبواب الاجتهاد والتطوّر والرؤية المُعاصرة

للأمور جميعًا، بل وحتّى بيقفلوا الباب على أي محاولة لفَهم مُختلِف لما ترك السلَف الصالِح أنفُسهُم «اللي هُمّ السلفيين بيَتبَعوا خُطاهُم»؛ *خلاص المُسلمين في أوائل قرون الإسلام عرفوا كُل ما يَخُص الدين، والسلفيّون «وَحدَهم دون غيرهم» فهموا كُل ما جاء عَن السابقين فهمًا صحيحًا حتميًا قاطعًا مؤكَّدًا*، فخلاص مش محتاجين حاجة من *حَد تاني*.

المشاكل اللي انا بَشوفها متعلّقة بالمدافعين عن الدين بتلك الطريقة من سلفيين أو غيرهُم هي مشاكل كتير الحقيقة، بَرضُه حَحَاول أبسّطها قدر المستطاع (على نفسي مش عليكو).

المشاكل في تصوُّري بتبدأ عند اعتماد المنهج السلفي في مرجعيته اللي بيحكم بيها على كُل حاجة على أئمة كُلّهم ماتوا من مئات السنين. وكلّهم بطبيعة الحال كانوا عايشين في ظروف مختلفة كليًّا، في عالم مختلف كليًّا عن العالم اللي احنا عايشينه. بيعمل إيه ده؟ بيعمل أزمة مثلًا زي بتاعة البورصة حرام ولا مش حرام؟ والقرض حرام ولا مش حرام، والبنك وفايدته حرام ولّا مش حرام؟ ليه قضايا زي دي لم تُحسم وأعتقد لن تُحسم أبدًا حتّى نغيّر ما بأنفسنا؟ (مع ان العالم الإسلامي بيبحثها بقالُه عشرات السنين) في رأيي عشان كثير من رجال الدين منهَجهم مُعتَمِد على انّهم يرجعوا للكتب القديمة ياخدوا منها كُل يَخُص الدين، والكتب القديمة مافيهاش ولا بنك ولا بورصة؛ فيها طرق تجارة واقتراض كانت موجودة من مئات السنين، فيحاولوا يقيسوا دي على دي، فتبقى كإنك بتقيس الدولاب

على الكهربا! فتطلع دايمًا آراء مختلفة لإن الدولابماينفعش يتقاس على الكهربا أصلًا، دي طاقة وده مادة، ده ملموس ودي بتكهرب، ده له بيبان ودي مالهاش وهكذا!

فيه من ناحية تانية نوع آخر مُختَلف من رجال الدين لمّا بييجوا يبحثوا مسائل زي البورصة والبنك وما شابَه بيعتَمِدوا منهج مُختلف تمامًا؛ لو ماعندناش حاجة نقيس عليها قياس دقيق، يبقى لازم نحل احنا بأنفُسنا المُعضِلة اللي بنواجهها.. فبِيعمِل رجال الدين دول ما أراه انا شخصيًّا على إنُّه الطريقة المناسبة للتعامل مع الأمور الشبيهة، انُّهم بيرجعوا للأصل في الأشياء، اللي هيّ أسباب تحريم المحرّمات مثلًا، أو أسباب إن الحاجة الفلانية أو العلّانية احنا فاهمين ان رَبّنا مايحبّناش نعملها، أو بيحبّنا نعملها، وده اللي نقيس عليه؛ مثلًا مثلًا الربا حرام كما جاء في القرآن، ليه الربا حرام؟ بيفكروا كويس في المسألة وبيِدرسوا الربا كان بيحصل ازاي بالظبط، وايه عيوبُه، وايه أضرارُه على المُجتَمَع، فيفهموا هو ليه رَبّنا حرّمه، وساعتها يقدَروا يطبّقوا ده على ما يتشابه من الأمور (مش يتشابه في شكلُه بل يتشابَه في مضمونُه).. لكن لما واحد يشتري تاكسي يشتغل عليه ولّا عربيّة يروح بيها شُغلُه، أو حتّى عشان يتفسّح بيها بدل ما يتفَسّح بالأتوبيس، بتقسيط بنكي وطبعًا بيدفع فوايد على هذا التقسيط ويقولوا بعض السادة «العلماء» سواء كانوا سلفيين أو غيرهُم إن ده هُوّ هُوّ الربا اللي اتكلّم عَنُّه القرآن، بيبدو الكلام ده (بالنسبة لشَخص زيّي مثلًا بيحِب دايمًا يبقى مُقتَنِع بما يسمع قبل أن يتبنّاه)، كلام مش منطقي أبدًا.. دول موضوعين مُختلفين تمامًا عن بَعض، ومش رَبّنا ولا

حتّى رَسولُه اللي قالوا انُّهُم زي بعض ولا حاجة، بل بَشَر اللي قالوا بِناءً على وجهة نَظَرهُم الخاصة.. فيه رجال دين أجروا قياس طلعوا منه بإن ده هو ده، بس دي مش الحقيقة، ده رأيهم ورأي من يتّفقون معهم فيه.. وأعتقد ان مهم جِدًّا ان انا كصاحب السؤال، أبقى مُدرك تمامًا لهذه «الحقيقة»، حتّى وإن كانت ثقتي في مصدري لا تشوبها شائبة. بمعنى ان ده مش غَلَط من رجال الدين اللي بيتَبَنُّوا وجهة النَظر دي أو تِلك، هُمّ فعلًا شايفين كدَه.. بس الغَلَط بيحصل في اعتقادي لمّا أي طرف من الأطراف يَعتَقِد خطأً ان فيه أي حَد بيملُك حقيقة الأمر وَحدُه.

أنا بالنسبالي كمان مهم جِدًّا عَندي انّي لمّا أسمع رأي رَجل الدين في مسألة مُحيِّرة زي البورصة أو البنك موضوع المثال، إنُّه مع رأيُه يدّيني أدلّته العقلية المنطقية على قياسُه (لو موجودين)، مش كفاية أبدًا انُّه يَذكُرلي الآية اللي بتحرّم الرِبا، أنا حافِظها! انا عايز أسمَع رأي في قياس الرِبا في القرآن على فايدة البنك.. وحَتّى مع ذلك، مش أكيد المُشكلة بتتحَل، لإن لو بالنسبالي أدلّتك مش منطقية، وعقلك بيشوف الأمور بطريقة مختلفة عنّي، يبقى آخُد كلامك ازاي؟ محتاج أسمع رأي تاني مُختلف بيشوف الأمور بطريقة مُختَلِفة، عسى أن أجد فيه ما يَرُد على تساؤلاتي جميعًا.

أنا في رأيي الشخصي حاجة زي البورصة مثلًا، ولا رجُل الدين ينفَع يقول عليها حرام ولا مش حرام! بس ممكن رَجُل الدين «بَعد ما يفهم كويس» البورصة بتشتغل ازاي؛ يعلِّم الناس ان انت مثلًا لمّا

تشتري سهم وهمي في البورصة عشان تبيعُه تاني يوم لواحد مش عارف انُّه وهمي مُعتَمِدًا على طَمَعُه وجَهلُه، يبقى انت كدَه بتضُر بالراجل ده وبتضُر بالبورصة وباقتصاد البلد كُلُّه، ولو انت ضرّيت حد عشان تكسب فلوس يبقى حرام عليك الفلوس.. ممكن يعلّم كِبار مضاربين البورصة انّك لو خَدَعت مستثمرين بإنّك تعمل لعبة تعلّي بيها سهم ما فيشتروه هُمَّ عشان فاكرينُه حيكَمّل طلوع وبعدين تبيعهم «وتِخلَع»، يبقى انت ضرّيتهُم واستغلّيتهم، فتبقى حرام عليك الفلوس اللي كسبتها من وراهُم، وهكذا.. البورصة والبنك زي العربية والتلّاجَة بالظبط، بتستعملها ازاي؟ في ايه؟ عشان ايه؟ ونعرف من إجابات الأسئلة دي نقيّم «استعمالك» ده كويس ولا وحش، مضر ولّا مفيد.. المسألة دايمًا مُتَعلّقة بتَصرُّفات الناس والنظام القِيَمي الأخلاقي اللي بيَحكُمها؛ ما التجارة حلال، بس الاحتكار والاستغلال حرام لإنُّه بيضر بناس.. الطِب حلال بس فيه دكتور ممكن يشتغل بطريقة تخلِّي شُغلُه حرام، وهكذا.

ومن أهم مزايا البحث ده في الأسباب اللي ورا ان دي حاجة حرام ودي حلال، دي كويسة ودي وحشة، دي نعملها ودي مانِعمِلهاش.. ان الطريقة دي في الاقتراب من مسائل الدين، الطريقة دي في التفكير، بتعلّم الناس التفكير المنطقي اللي احنا مُفتَقدينُه وفي أمَس الحاجة إليه، بل وممكن يكون غيابُه هو السبب الرئيسي في تأَخُّرنا. منهج تفكير زي دَه ممكن ينمّي عَند الناس القُدرة على التحليل المنطقي العقلي للأمور جميعًا، لإنُّه بيحاول يخلّيهُم يفهموا مش يعملوا وخلاص.. منهَج زي ده ممكن يخلّي المسلمين يطلّعوا منهج بحثي

من مباحثهم الإسلامية يستعملوه حتّى في العلوم التانية كمان، زي *ما فيه قِلّة مش عارف نسبتها من علماء المُسلمين بيحاولوا يعملوا فعلًا، بس للأسف دايمًا لا تُتْرك لهم الفرصة ولا يُفتَح لهم المجال.*

وأظن من المنطقي جِدًّا أنّ الله الواسع العليم بكل الأشياء ماقالّناش على حاجة وحشة مانعمِلهاش ولا حاجة كويسة نعملها إلّا وفيه سبب (وَلو كان السبب في حالات نادرة جِدًّا فقط لامتحان الطاعة)؛ لو ظاهر السبب بنعرفُه بسهولة، ولو باطن ومستخبّي يبقى مطلوب مننا نبذل مجهود أكبر في إننا نفهمه. لكن «هُوّ كِده وخلاص» دي طريقة بتؤدي إلى مهالك، عايزين تعرفوا ازاي مهالك؟ بُصّوا علينا! بُصّوا علينا ونحن القوم اللي بنعَلّم أطفالنا ان الشبشب حرام يبقى مقلوب عشان كده بيبقى في وِش رَبّنا!!! بل وكمان بنبقى فاهمين ان دي من أوامر الدين.. عايزين الطِفل اللي بيترَبّى وهو بيسمع كِلمة زي دي يفكّر بطريقة سليمة ومنطقية بعد كده ازّاي؟ سواء في الأمور الدينية أو حتّى في غيرها!

في عيني أنا «تفاصيل» العبادات فقط هي اللي عشان هو كده وخلاص، وخلّوا بالكو تفاصيل العبادات هي اللي من غير سؤال لإن ماحَدّش أبدًا ممكن يبقى عنده إجاباتها؛ زي ببساطة «ليه العصر أربع ركعات؟» ماحَدّش يعرف، ومش مهم تعرف أصلًا؛ لو انت بتصلّي، يبقى بالنسبالك لو العصر ٦ ركعات كُنت حتصلّيه، ولو ركعة واحدة حتصلّيه بَرضُه، يبقى انت مش محتاج تِعرَف المعلومة دي أساسًا.. لكن الفلسفة اللي ورا الصلاة «بَرضُه مثلًا» هي فلسفة

عميقة جِدًّا مش كُل الناس بتوصل فيها لنفس المراحل؛ كُل واحد بيشوف على قَدُّه، على قد موهبته، على قد استعداده، على قد عِلمه، على قد بيئته، على قَدُّه.. لكن لو فيه حاجة انا مش قادر أشوفها ده أبدًا مابيلغيش وجودها.. ويَنطَبِق ما فات على كُل الأمور العميقة الخِلافية المُشكِلِيّة المُعَقّدة اللي محتاجَة مجهود حقيقي في محاولة فهمها واستيعابها بحِكمة..

بس لو عايز تِعرَف مثلًا الرسول الكريم كان بيصلّي وبيصوم إيه زيادة عن الفروض في الإسلام؟ إسأل السَلفية. هُمّ مشكورين نَقلوا الكلام ده حرفيًّا بالفعل، وبحذافير الحذافير، بس ماتسألهُمش عن حاجة تَخُص الواقع عشان مش حيعرفوا يفيدوك، ويفيدوك ازّاي في أرض الواقع أو المُستقبل وهُم أصل منهَجهُم انُّه ناقل للتاريخ! يفكّروا معاك في حلول مش عادية ازّاي وهُم أصلًا بيَتبَعوا مدرسة عُمرها يزيد عن الألف عام!

المسلمين لمّا يتّجهوا بمسائلهم الدنيوية الخلافيّة إلى «علماء الدين»ماينفعش من وجهة نَظَري العُلماء دول يقولولهم الأئمّة اللي ماتوا من زمان جِدًّا رأيهم كان إيه في مسائل «بيعتقدوا» هُمّ انّها متشابهة مع مسائلهم! بل يروحوا بأسئلتهم لعلماء الدين عشان علماء الدين بعد ما يذاكروا كُل ما سبق من آراء السابقين ومدارسهُم ومناهِجهُم، ويضيفوا عليهم بإنُّهُم يفكّروا ويَتَفكّروا ويَتَدبّروا ويتناقشوا لحد ما يوصلوا إلى فلسفة ومنهج معرفة من الدين نفسه، يردّوا بالمنهج ده ساعتها على مسائل المُسلمين، ويبقى فيه مساحة للخلاف بينهُم من

غير حساسيّات.. زي على فكرة بالظبط ما أئمّة الفقه الأربعة الأكثر شُهرة عَمَلوا زمان؛ كانوا أشخاص مُختلفين عن بَعض، وده خلّى طريقتهم ومنهَجهُم يبقوا مُختَلِفين كمان، وبالتالي خلّاهُم يِطلَعوا بآراء مُختَلِفة.. عشان الناس اللي بيسمعوهُم كمان مُختلِفين؛ واحد موسوس، واحد بياخُد الأمور ببساطة، واحد عقلاني، واحد عاطفي، واحد حريص، واحد شُجاع وهكذا.. والآراء المُختَلِفة دي كانت عايشة مُتجاورة في سلام، لإن كُلّها المفروض تبقى موجودة، لإن الدين بطبيعته لازم يتسع لكل الناس على اختلافاتهم.. وما دام دي الطريقة اللي اتبنى عليها الفقه الإسلامي أصلًا، يبقى ايه المانِع انّها تتحقّق تاني، وخصوصًا واحنا في أمَسّ الحاجة ليها. ليه عايزين نُقَف؟ ليه مش عايزين نكمِّل؟

فيه مسائل دينية كثيرة لا خلاف عليها تَصلُح فيها جِدًّا وتَكفي وتَفيض آراء القُدماء، بس ما يَجِد من أمور الدين النهاردَه يتَصَدّالُه عُلماء الدين بتوع النهاردَه، بعقول النهاردَه، بمنهَج النّهارده، باللي نِعرَفُه النهاردَه.. ولإنّ العُلماء دول موجودين معانا، واللي يموت منهم حيبقى تلامذته موجودين معانا، نقدر احنا نسألهم ونقدر نقيّم منهج البحث والمعرفة اللي بيستعملوه في الحُكم على أمور الناس.. ألاقي حد أسأله عن كلامُه، عن رأيُه، ألاقي حد أناقشه واطرح عليه تساؤلاتي.. أُمّال حافهم ازاي انا؟ ولّا عايزينّي مافهَمش؟!

الدين كائن حي، فرد من أفراد المجتمع بل هو أكبر وأهم أفرادُه. ماينفعش الدين يبقى منفصل بمئات السنين عن المجتمع اللي هو

عايش فيه وبيأثر تأثير قوي في أغلب شئونه.. وأعتقد ان لو سُدّت الفَجوَة التاريخية الثقافية دي، حيبقى رَجُل الدين مرتبط بالمُجتمع بشكل أكثر فعالية بمراحل؛ فيقدر ساعتها يساعد المجتمع فعلًا لإنّه مهموم بمشاكله الحقيقية اللي بتِحصَلّه كُل يوم وعارفها وبيحاول يحلّها.. لكن لمّا يبقى مُجتمع مثلًا مثلًا يعني بيكثُر فيه الكاذبين والنصّابين والناس اللي مابتشتغلش بذمة والناس اللي ماعندهاش ضمير، ولمّا يبقى مُجتمع سلبي ومُتواكِل وكُل كلامُه مبني للمجهول وضيّق ومش عايز يتغَيّر ومش عايز يبقى أحسن إلخ إلخ من جرائم إنسانية مُجتمعية في الحقيقة مش أخطاء.. لمّا كُل ده يبقى موجود وتلاقي آلاف «رجال دين» نُص كلامهُم عن ازاي الحجاب يبقى شَرْعِي وايه انواع الحجاب اللي تَصِح وايه اللي ماتَصِحّش وكيف أنّ الأُذُن يجب أن يُغطّيها الحجاب، وازّاي ان لو الطَرحة اللي الست لابساها غَطِّت الوِدن بس شَفّتْها فبقت «الوِدن» باينَة من ورا الطرحة، تبقى الست دي كِده وقعت في غلط كبير.. يبقى تفتكروا النتيجة حتكون إيه؟

مين؟

دخلنا دلوقتي بالضرورة الحتمية على تاني نقطة مهمة في هذا الشأن عشان نتكلّم فيها تفصيلًا؛ مين هو العالِم بالدين والعارِف بيه؟ لمّا المسلمين ييجوا يسألوا، يسألوا مين؟ دي قضية لا يَخفى على عاقل أهمّيتها القصوى، لإن رجال الدين دول أيًا كان نوعهم هُمّ اللي بيشكّلوا المنظومة الدينية في المُجتمع، هُمّ اللي بيحدّدوا الناس بتفكّر في أنهي مسائل من مسائل الدين؛ ما ابن رُشد كان بيتكلّم

في مسائل دينية، والشيخ اللي في الزاوية اللي على ناصية شارعكو كمان بيتكلّم في مسائل دينية، بس الفرق بينهم كبير.

أنا شخصيًّا عايز منهج رجل الدين اللي انا بَسْمع منه وباخد رأيه يبقى منهج بيقيس الضرر وبيقيس الفايدة، منهج بيُبَدّي مصلحة العام على الخاص، منهج مهموم ببناء المستقبل مش بالحَكْي بلا هَدَف عن الماضي، منهج بيهدُف إلى العدالة الاجتماعية بدل ما يِحلم بدولة اسلامية انقرضت من قرون، منهَج عايز يحقّق وِحدَه وتَرابط مش فُرقَة وتَعَصُّب، منهَج ينقِل سماحِة الدين مش يُلحِق بيه السادية والشوفينية والغرور. عايز أسمَع من رَجُل دين بيدْرِس المُجتمع اللي هو بيكلّمه وبيقيس أثر كلامُه عليه مش بيتكلّم كده وخلاص عشان فيه ناس بيسمعوا..

فيه شيخ أو داعية بيَذيع صيته عشان نوع خطابه مثلًا بيعجب الناس، عشان لسانُه حلو، عشان دمّه خفيف، عشان شخصيته قوية، عشان بيعرف يستثير مشاعرهم، كُل دي أسباب من غير ما اسمّي حد بعينُه، كلّكو عارفين انّها حقيقية وهي من ضمن أسباب كتير بيُصْبِح بيها حد من الدعاة أو الشيوخ محبوب، والناس بالتالي بيحبّوا يسمعوله. قد يرى بعض الناس ان لو المُتكَلّم عَنُّه ده، بيشتغل ما يمكن أن نُسمّيه واعِظ ديني؛ بيتكلّم عن الأخلاق والمعاملات وما شابَه، مش لازم يبقى عندُه الكثير من العلم والحكمة يعني.. وده كلام مش بعيد أوي عن الحقيقة أعتقد، بس المشكلة بتَبْقى ان الراجل ده بسبب انُّه بينطلق من مُنطَلَق ديني، دورُه بيتغيّر شويّة، وتأثيره على

الناس بيبقى أقوى بكتير.. ممكن دي تبقى حاجة عظيمة جِدًّا بس انا شايفها مش عظيمة أوي الحقيقة؛ عشان انت ممكن تتكلّم عن الأخلاق والمُعامَلات وتستعمل أدوات دينية كمان في كلامك لكن مش لازم تُلصِق نفسك بالدين (انا نَفسي بَعمِل كده)، لكن لمّا يتم توصيفك على انّك رجل دين «تحت المظلة الواسعة جِدًّا من المعاني اللي بقت الكلمة دي بتحمِلها» بتبقى كده بتستميل المُستمع ليك بطريقة انا شايف فيها نوع من أنواع الرُخص والاستِسهال. خصوصًا في مُجتمع بيبدأ أغلب كلامُه بكلمة «قالوا في التليفزيون» من غير ما يُشير إلى مين بالظبط اللي قال!

وممكن تَصَوُّر ان الواعظ لو بيتكلّم عن الأخلاق الحميدة يبقى «ممكن يغلط ازّاي يعني؟ الأخلاق مُتّفق عليها من الجَميع» لكن ببساطة جِدًّا، مثلًا أنهي نوع من أنواع الأمثلة بيستعملها، بيخلّيه يأثر تأثير قوي في طريقة تفكير اللي بِيسمَع، ونظرِتُه للدين، وطريقتُه في اتِّباعُه.

تلاتة دعاة مَثلًا بيشَجّعوا الناس على الصلاة، جميل. واحد منهم بيشَجّعهُم على الصلاة بإنُّه بيرعِبهُم لَيتشوا في النار، والتاني بيشَجّعهُم بإنّه بيمَنّيهُم بالجَنّة، والتالت بيشَجّعهُم على الصلاة بإنُّه يخلّيهُم يشوفوها على إنّها وسيلة اتِّصال بين البني آدم والرَب الإله الخالق، وازّاي هي وسيلة للتأمُّل، وازّاي هي باعِثة على السُكون، وهكذا وهكذا. حتلاقي أكيد فرق كبير جِدًّا في المُنتَج النهائي بَقَه لصلاة الناس اللي اتشَجّعوا على الصلاة بالطرق المُختلفة دي، لإن طريقة تَعَلُّمهم كانت مُختَلِفة تمامًا.

حتّى الأخلاق اللي ممكن يعلّمها رَجُل الدين للناس على إنّها وسيلة لدخول الجَنّة، مش زي الأخلاق اللي يعلّمها رَجُل دين تاني من مُنطَلَق انّها وسيلة لتحقيق ترابُط إنساني عايزُه رَبّنا يَتَحَقّق فينا عشان نتلاحَم ونحب بعض ونساعِد بَعض ونبقى حتّى لُطاف مع بعض.. لمّا اللي اتعَلِّم بالطريقة الأولى بيبُص للناس ممكن يشوفهُم على انُّهم وسيلة بيستعملها، بس لمّا التاني بيبُص عليهُم بيشوف ناس عايز يخلَق بينُه وبينهُم رِباط أخلاقي إنساني رَبّاني.. فطبعًا بَرضُه المُنتَج الأخلاقي ده بيَختَلِف تمامًا.

الواعظ الديني انا فاهم يعني انُّه المفروض يتكلّم عن الأمانة مثلًا، الصدق، السماحَة، الصراحة، التفاني في العمل، الإخلاص في العبادة، الصبر على المصايب، محاولة إصلاح الدُنيا، مواضيع من نفس الجنس ده، مواضيع حياتية إنسانية مُهِم للمجتمع انُّه يفتِكِرها ويسمَع عنها كلام مُشجّع ومُلهِم.. لكن لمّا كُل ما تيجي سيرة البنت يقول الواعظ: «الحجاب»، وكُل ما تيجي سيرة الولد، يكلّمه عن إنُّه لازم يبعد عن البنات كَيلا تُصيبُه شرورهم.. يبقى كده الموضوع اتغَيّر، ودور الوعظ هنا خد شكل تاني وبدأ يستعمل أدوات مُعيّنة لمُجرّد انُّه ضامن بيها تخويف من يسمع وإضافة صبغة دينية على نَفسُه، أحيانًا لمُجرّد انُّه حافظ بعض الآيات والأحاديث؛ *حتّى لو ماكانش عندُه قدرة على ربطها بالمواضيع الأساسية اللي بتتفرّع منها أو الأماكن اللي بتصُب فيها*.. أو حتّى كمان لِمُجَرّد انُّه دارِس علوم دين! مش كُل واحد خرّيج هندَسة مُهندِس شاطر، ومش كُل دكتور شاطر، ولا كُل محاسب شاطر، ولا كُل ميكانيكي شاطر،

إشمعنى رجال الدين اللي عامّة الناس بيتعاملوا معاهُم كُلّهم على انُّهم شاطرين وعارفين وفاهمين؟!

في كُل الأحوال بيَبْقى الضرر اللي ممكن يُلحِقُه الواعظ الديني باللي بيسمع ضرر أقل بكَثير من اللي ممكن يُلحِقُه بيه من يعتبِرُه السامِع عالِم وعارِف بالدين. هنا بَقَه الكاريزما الشخصية دي ماتنفعش خالص في الحُكم على الشيخ أو العالِم أو الفقيه اللي بيسألوه الناس في مسائلهم.. لازم بعد العلم الكثيف يمتلك كمان قدر ملحوظ من «الحكمة» عشان يعرف يستعمل عقله فيما يجيب عليه من تساؤلات البشر، لإن ـ زي ما أعتقد اننا اتفقنا ـ القياس على ما جاء في أمّهات الكُتُب، على أحسن تقدير لا يصلُح إلّا في قليل من المواضيع اللي لم تتغيّر طبيعتها عبر مئات السنين اللي بتفصلنا عن تلكَ الكُتُب وكُتّابها الأجِلّاء..

ومن الملاحَظ بَقَه إن: لو كان رجل الدين كُل اللي بيعمله انُّه بيقرا الكتب القديمة ويُكرّر ما جاء فيها، فدي شغلانة سهلة جِدًّا، والدليل هم مئات الناس اللي مالبين البرامج الدينية على الفضائيات العربية، كُل اللي محتاجينه عشان يعملوا كده، هو انّهم يقروا موضوع ما في أي كتاب وبعدين يطلعوا على الناس يِحكولهم قروا إيه «وأحيانًا كمان بتَصَرّف!» طَب ما انا بَعرَف أقرا، مَاقْراها انا، محتاجَك في إيه؟ في حين إن لو كان رجل الدين لازم يتمتّع بالحكمة عشان يتكلّم بإسم الدين، كان حيقل عددهم ويزيد عِلمهم وبالتالي قيمتهم.

في زمن بقت بتُمنَح فيه القدسية مجانًا لشيوخ الزوايا ولكل من

يرتدي عمة وجبة وقفطان أو يطلع في التليفزيون بدَقْن.. وفي زمن يُردّد فيه الناس كلام سمعوه في التليفزيون مايدخلش عقل عيّل عنده ست سنين على إنُّه عِلم.. وفي زمن فسدت فيه البوصلة وضاع الاتجاه؛ لازم مانتعلّمش الدين إلّا عمّن نثق فيه وفي عِلمُه وفي مصادر معرفتُه ومنطِقُه وحكمتُه واتّساعُه ورجاحة عقله.. نتعلّم عن الدين من اللي بيتعلّموا الدين إخلاصا للدين، مش اللي بيتعلّموه عشان عايزينُه حِكر على أنفُسهُم، ومش اللي بيتعَلّموه عشان يِطلَعوا على الناس يبيعولهم الدين كإنّه زي كُل حاجة بتتباع.

وماتنسوش أرجوكو ان حتى فيمن تتحقق فيهِم تلك الشروط الصعبة «وهم قليلون»، مش المطلوب اننا ناخد كُل اللي يقولوه بلا تفكير أو رد أو مناقشة، لإن لسّه حتّى بعد *كُل* ده، كُل واحد فيهم قبل أن يكون «علّامة» هو أيضًا رَجُل إنسان يخطئ ويصيب، بل المقصود هو «التفكّر» فيما نسمع، في كُل ما نسمع.

يَقول هُنا كثيرون: «وازاي احنا نفكّر في مسائل الدين وفيما نسمع عنها من رجال الدين؟ واحنا نعرف ايه؟! أصل رجل الدين متخصّص».. ويكملوا قائلين «وانت لمّا عربيتك بتعطل بتروح لميكانيكي، ولمّا بتعيا بتروح لدكتور فكل واحد وتخصصه، وبالتالي يبقى المتخصص في شئون الدين بس هو اللي من حقُّه يتكلّم ويفكّر في الدين»، وانت تسمع وانت ساكت، ولو ماسمعتش الكلام أو فكّرت فيه لوَحدَك تبقى مش مؤمن!.. هُوّ انا صحيح نظريًا ماعرَفش أصلّح العربية فبَرُوح لميكانيكي يصلّحها، بس عمليًا انا مابَستسلمش

زي الخروف للميكانيكي فيقولّي «لازم نغيّر الموتور» أروح أجيبله موتور! ولا أي دكتور يقولّي «انت محتاج زرع كبد يا إمّا حتموت» أروح أدوّر على كبد! لأ لازم أسأل، ولازم أذاكر المسألة، ولازم آخُد رأي حد تاني وتالت ورابع، ولازم أفكّر، ولازم اقتنع، وشرحُه مع رجل الدين؛ بَرضُه لازم اسأله وادرس منطقه واقيس حُجَجُه واقارنها بحُجج من يختلفون معه في الرأي واناقشه واقيّم مناقشته.. ليه عايزين الموضوع يبقى سهل؟ مين قال ان الموضوع سهل؟!

العالِم العارِف بالدين بس هو اللي يقدر ينقل العلوم الدينية سواءً للعامّة أو للخاصّة من طلبة العِلم *(مش ينقل حقيقة الدين، ينقل العلم ويحاول يلاقي الحقيقة)*.. لكن مش معنى ان مسألة ما مسألة دينية ان ماحَدّش أبدًا ينفع يفكّر فيها من منظوره الديني الخاص؛ لو عندُه بعض العلم وبعض المنطق وبعض الحُجّة، على الأقل يطرَح فيها تساؤلاتُه الخاصة.. وطبعًا مش يعمل كِده وهو قاعد عالقهوة، لكن لو عَمَل بَحث ما عن مسألة ما، يبقى طبعًا يَحِق ليه انُّه يفكّر ويتكلّم فيها *(انا مُمكن أعمل بَحث طِبّي على فكرة وانا مش دكتور، حاحتاج أبذِل مجهود أكبر بكتير من اللي دارس طِب، بس أقدر أعمِله، واحتمال أقدر أوصل لحاجات ماوصلّهاش الدكاترة، والعالم وتاريخُه مليء بقصص شبيهه.. مش ممكن ابقى دكتور كويس غير لو قضيت سنين في تَعَلُّم الطب وكنت كمان موهوب وشاطر، بس ممكن أعمل بحث طبي لو انا شاطر في البحث وادّيت البحث ما يتطلّبه من مجهود ووقت وأمانة)*.. ولو وقع الباحِث ده

في أخطاء عشان فيه حاجة مايعرفهاش أو فاهمها غلط أو أو، يقوّم خطأُه اللي يعرَف، ايه المُشكِلة؟ مافيش داعي انُّه يِخْرَس يعني، أي حَد مُمكن يقترب من الصواب، *لو عَندُه نوع من أنواع الموهِبة ولو بَذل المجهود الكافي*.

فَالتفكُّر في مسائل الدين مجال واسع رحيب يتّسع لكل الناس، بل انا شخصيًّا شايف انُّه مفروض عليهُم (لو يقدروا عليه).. أمّا الشيخ اللي ممكن نتعلّم منُّه، مش اللي بيلبس عِمّة وقُفطان، والكلام بالفصحى وحدُه لا يفي بالغرض أبدًا.

إزّاي؟

تعالوا نرجع لنُقطتين يَخُصّوا التساؤلات اللي الناس بيطرحوها على رجال الدين، فيما يتعلّق بالناس نَفسُهُم اللي بيسألوا؛ أوّل نقطة هي نوع المواضيع اللي بيسألوا فيها وتاني نقطة هي طريقة السؤال.

أنا بَشوف ان مش معقول بعد ما يُقارِب القرن ونِصف من بعثَة النبي العدنان، عمّالين نسأل أسئلة بسيطة وبدائية تَخُص العبادات مثلًا! ليه؟ عشان العبادات مابتتغيّرش، وفقه العبادات في مُعظَمُه مافيش خلافات كبيرة عليه بين رجال الفِقه أصلًا. عايز تعرف عن العبادات؟ ما تقرا أي كتاب في العبادات، ما كُلّهم (في مُعظم مُعظَمهم زي بعض) وفيه منهم آلاف.. لكن هَل ينفع في وسط اللي احنا فيه دَه كُلُّه تلاقي شيخ قاعد في التليفزيون بيشرح الصيام في سنة

١٤٣١ هجرية؟! هل ينفع إن كُل سنة في العيد الكبير *وأحيانًا كمان* بعيد عن *العيد* يقعدوا الشيوخ يشرحولنا الحِج؟! ما خلاص عرفنا! واللي مش عارف لمّا ييجي يحِج يبقى يقرا أي كتاب عن الحج، مابيعرفش يقرا؟ لمّا يروح حيقولولُه يِعمِل ايه، إيه فايدة التكرار الغريب الشكل ده؟!

الأخلاق هي اللي محتاجة تكرار، الضمير هو اللي محتاج زن، تقوى رَبّنا هي اللي محتاجة إصرار في التعلّم والتعليم.. مابتتكلّموش ليه في المواضيع المهمّة اللي من شأنها أن تُصلح من ضمائرنا وأخلاقنا ووعينا وتحضُّرنا وبالتالي تُصلِح من أحوالنا فعلًا!

طيّب فيه حاجات متعلّقة بالعبادات وبتتضمن أسئلة ماكانتش موجودة في الزمن القديم اللي جَت منه الكتب. كويس، بس ما دام السؤال ماكانش موجود، يبقى إجابته كمان ماكانتش موجودة! (شَبَه الحالة بتاعة البَنك والبورصة) لازم تبقى فاهِم إنك لما تسأل شيخ مثلًا عن الصلاة في الطيّارة تبقى ازّاي؟ ونصلّي قصرًا وجمعًا واحنا رايحين العين السُخنة ولّا لأ؟ وهي الحقنة بتفطّر في الصيام ولّا مابتفطّرش؟ لازم تبقى عارف كويّس إن هو مايعرفش، حيعرف منين؟ رَبّنا قالُّه؟ لأ ماقالّوش. طَب جاب من الكتب؟ ماكانش فيه حُقن وطيّارات وعربيّات ومصايف أيّام الكتب.. فَانت بتسأله عن رأيُه الشخصي (اللي يُفترض انُّه وصلُّه باستعمال الحكمة والتفكير المنطقي واتّباع مَنهَج ما في تحليل المسائل).. وبعدين انا لما أسأل شيخ سؤال زي بتاع الحقنة ده، ويروح رادد عليا قايلّي «لأ مابتفطّرش» أو «آه طبعًا بتفطّر» أو «على حسب الحُقنة»، لو جبت ٩٠ عالِم يفكّروا

في الموضوع بنفسهم كده (من غير محاولات قياس على حاجات مالهاش دعوة بالحقنة في الحقيقة)، أعتقد انك حتحصُل على التلات إجابات المختلفين بالتساوي، وحتى لو الأغلبية اختاروا إجابة ما، ده مش معناه إن دي الإجابة الحقيقية *(زي ما بيفتَرِض المؤمنون بأنّ إجماع العُلماء بيخلق حقيقة)*، بل ده معناه إن العلماء دول، اللي في هذه الفترة من التاريخ، في هذا الجزء من العالم، مُتأثرين بالنوع ده من أنواع الظروف، أغلبهم بيَميل للإجابة الفلانية.. دي التسمية الصحيحة.. الحقيقة الوحيدة اللي بيخلقها الإجماع على رأي ما، هي حقيقة ان فيه ناس أجمعوا على رأي ما.. (ده غير *خالص الإجماع على الحقيقة؛ زي مثلًا الإجماع على ان النور اللي على الأرض بييجي من الشمس، دي حقيقة، وعليها إجماع*).. وده ساري في العلم زي ماهو ساري في الدين زي ما هو ساري في أي حاجة تانية، الحقيقة موضوع والاتفاق موضوع تاني؛ قبل ما يكتشف البني آدم ان الأرض مش مركز الكون، كانت بالنسباله دي الحقيقة، ومع إن كُل الناس *عامّة وعُلماء* كانوا متّفقين عليها، إلّا انُّهم طلعوا *كُلّهُم* غلطانين! ويا للهَول لمّا تبقى غلطان جِدًّا بس ماعَندَكش أي درجة من درجات الشَك انّك انت الصّواب نَفسُه.

ورجوعًا إلى استفسارات النّاس، أعتقد اننا اتّفقنا سابقًا انّ لازم الشيخ اللي بيجاوبني، يقولّي منهج التفكير اللي هُوّ «بشكل شخصي جِدًّا» اختار عشانه الإجابة دي أو تلك من الفرص المُمكنة للإجابة. لكن أسأله يروح قايلّي أي واحدة من الإجابات على سبيل اليقين «المُختَصَر»، أو على سبيل ان ده رأي «الإسلام» مش رأيُه الإسلامي،

يبقى انا مش عايز أسمَعُه ومش عايز أصدّقه لإنه عامل نفسه عارف الحقيقة.. لو قالّي هو وصل للمسألة دي ازاي وأكّد على ان ده رأيه الشخصي، أو في حالات تانية ان دي النتيجة بتاعة القياس اللي هُوّ أجراه، ولو كان بيُكَرّر ما قالَه أحد الفُقهاء الكِبار أصحاب المدارِس في موضوع ما بَرضُه يكلّمني عن طريقتُه ومنهَجُه، ويقولّي الآراء المُتباينة مع رأيُه، وأسمع انا الآراء المُختَلِفة دي وأشوف مين فيهم بيقول كلام منطقي أكتر بالنسبالي وآخد بيه. لكن اسأل شيخ في حاجة يروح قايلّي فيها رأيُه على إنُّه الحقيقة، وانا آخده منُّه على إنُّه الحقيقة، يبقى انا كده بهزّر، وبَدِّي رجل الدين قُدسية مش عَندُه لإنُّه بني آدم بيُخطئ ويُصيب.

اللي مايقولش «الله أعلم» ويعنيها وخصوصًا لمّا يكون بيتكلّم عن حاجة مش محسومة يقينًا، يبقى إمّا جاهل أو كاذِب أو مُدّعي أو بيَتَقَوّل على الدين، أو على الأقل خالص عايز يحتكر الدين لنَفسه، وكُلّها حاجات أعتقد يعني لا تليق أبدًا برَجُل دين.

وانا كمان لمّا الموضوع يبقى ممكن يحتمل أكتر من رأي، أبدًا ماينفعش اني أبقى عايز الإجابة وخلاص «من الآخر هاااا، حرام ولّا حلال؟» ماينفعش كده إلّا في المسائل المحسومة اللي مافيش فيها مكان لآراء الناس..

ـ ينفع أبقى مُسلِم وماصلّيش؟
ـ لأ ماينفعش. حاضر.

ـ الظهر كام ركعة؟

ـ ٤. *خلص الموضوع.*

ـ نصوم رمضان ولا نفطر؟

ـ نصوم. *خلص الموضوع بَرضُه.*

وهَلُم جرًا، ودي كلّها مش آراء، ده تناقُل للمَعرِفة، اللي يعرف يقول للي مايعرفش، مافيش رأي في المسألة. لكن أي حاجة فيها «رأي» يَبقى «مُجرّد» رأي.. أو مُجرّد محاولة للفهم يعني اجتهاد، مُجَرّد اجتهاد. لو طلع من أكبر علماء المسلمين أو كُل علماء المسلمين، بَرضُه بيِفضَل رأي أو اجتهاد..

ويُلاحَظ ان في المسائل الخلافية مستحيل تلاقي نسبة الإجماع عليها ١٠٠ ٪، دايمًا فيه رأي تاني أو تالت أو رابع لإنها بطبيعتها مسائل مش محسومة حسم العقيدة أو الأركان أو الفروض أو أي موضوع لا يقبَل إلّا حقيقة واحدة كُل أهل الديانة مع اختلافاتهُم على يقين بيها.

وفي الجزئية دي أعتَقد مهم يُذكر كمان ان فيه قناعة كده عند كتير من الناس إن أوّل ما انا أسأل شيخ عن حاجة ويقولّي «رأيه»، وأعمل انا اللي هو قالهولي، يبقى كده خلاص انا بريء، حتّى لو اللي انا عملته ده كان غلط! قال إيه: حيتحمّل ذنبي الشيخ اللي قالّي انُّه صح! إيه الكلام العجيب جِدًّا ده؟ جابوه منين وفي قرآننا «لا تزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخرى»؟ جابوه منين واحنا فاهمين اننا حنتحاسب على أعمالنا الكويّس منها والوِحِش!!

المسألة دي خطيرة جِدًّا لسببين مهمّين؛ أوّلًا انّها بتحوّل الناس

من كائنات عاقِلة عارفة انّها مسئولة عن أفعالها إلى قُصّر وأطفال فاهمين إن الشيخ اللي يقولّهم حاجة غلط هو اللي حيتحمّل تبعاتها لوحده! ده لو طفل سمع كلام حد وعمل حاجة غبيّة بنقولُّه *«وانت لو كان قالّك نُط من الشبّاك كُنت حتنُط؟!» الله!* يعني بنحاسِب الطفل مُتحَجّجِين *ان عَندُه مخ، واحنا نَفسِنا ماعندناش* يعني؟ هو صحيح منطقي انّ الشيخ لو قال غلط (على إنُّه الحقيقة) حيُحاسَب عليه، لكن انا شخصيًّا بصراحة شايف ان ده أبدًا مش حيقلّل من حسابي أنا لو عملت زي ما هو قالّي، لإن انا عندي مُخ، ومش وظيفته انُّه يتَقِّل الراس! لأ وظيفته انُّه بيخلّيني أتحمّل مسئولية نفسي وأفعالي. مين عيّنك وصي عليَّ عشان تتحمّل نتيجة اختياراتي! وهل من رجال الدين مَن زرعوا فينا فكرة انُّهم أوصياء علينا عشان نبقى مُضطَرين نسمع كلامهم واحنا ساكِتين؟!

والغريب انّك تلاقي الناس اللي بيسألوا دول نَفسُهُم، عاملين بيفهموا، بل بيِفتوا في كُل حاجَة في الدنيا.. إشمعنى لمّا يتعلّق الموضوع بالدين، كُلّه بيمثّل انُّه غبي وعديم المنطق والتفكير؟!

من كام يوم شُفت على التليفزيون واحد بيكلّم شيخ في التليفون على الهوا بيسأله: *«انا موظف في مكان ما، والناس لما تدّيلي ملفّاتهم عشان ادخّلها المكتب بيحطّولي فلوس في الملف؛ أنا مابطلبش منهم، ومابعملُّهُمش حاجة غير إني بقدّمهم في الدور، يبقى كده ده حرام ولّا مش حرام؟»* الشيخ طبعًا قالّه «لا يجوز».. بس هل دي أصلًا حاجة محتاجة شيخ؟ فيه دور واللي وَرَقُه جه الأول يمشي

الأول، وانت تاخد فلوس فتخلّيه ياخد دور الناس اللي قبله، ومش عارف ده غلط ولّا صح؟! فيه راجل كبير عاقل ورب أسرة وموظف حكومة يسأل سؤال زي ده؟ ماهو عارف الإجابة، بس زي ماتقولوا كده نِفسُه حد يقولّه «لأ عادي» ولو كان الشيخ قالّه كده كان خلاص هو بَقَه حيقتنع انُّه عادي! طَب دي مش حاجة عجيبة! وهل ماتتفقوش معايا ان الشيخ أصلًا كان لازم يوبّخ الراجل ده على إنُّه بيسأل سؤال، فيه على أقل تقدير الكثير من «الإستعباط»، بَدل مايردّ عليه على إنُّه سؤال عادي جِدًّا!

الحاجة التانية اللي بتحصل لما تَجرِي الأمور على هذا المنوال إن الشيخ بَقَه موضوع الحديث، ده كمان بني آدم. إفرض لعب الغرور برأسه من كُتر ما الناس بتاخد كلامُه على إنُّه مُنَزّل ولا يردُّه ولا يناقشُه أحد أبدًا! إفرض بقينا احنا في حالات تانية بنفرِض عليه انُّه يبقى متشدد ومتزمت لإنه بيخاف حد يمشي ورا كلامُه وهو قايلّه حاجة غلط (ما الناس بتاخد منّه كُل حاجة بيقولها من غير تفكير ولا ردا). في حين إن كُل المطلوب منّه هو انُّه يقول اللي يعرَفُه أكيد، واللي مش أكيد يوضّح ان فيه رأي بيقول كذا ورأي بيقول كذا، ولو يقدر ممكن كمان يقول رأيُه الشَخصي في مسائل الناس شريطة أن يؤكّد على ان ده رأيه أو اجتهادُه، ويا حبّذا بَقَه لو يفكّر الناس اللي بيسمعوه انّهم هُمّ اللي حيتحمّلوا نتيجة اختياراتهم مش هُوّ. بذمّتكو مش دي طريقة حيبقالها أثر مختلف تمامًا على اللي بيسألوه وبيسمعوه وبياخدوا منه؟

ليـــه؟

وأخيرا عايز قبل ما أقفِل آخر موضوع ماراثوني في الكتاب ده، أرجع حيث بدأت، ليه الكلام في الموضوع ده أساسًا مُهم؟ أنا شايفُه مهم عشان كُل ما تَكَلّمْنا عَنُّه وأكثر من طريقة تعاطي الدين، ظهر علينا في صورة تكاسُل وتواكُل واستسلام، ظهر علينا في صورة عدم تساؤل، وظهر علينا في صورة القوالب اللي مالبين بيها حياتنا ومخلّيانا مش عارفين نتحرّك.. ممكن يكون مافيش ثورة فكرية ومافيش ثورة مُجتَمعية ومافيش ثورة معرفية ومافيش ثورة من أي نوع عشان مافيش ثورة دينية. ممكن يكون البني آدم اللي بيتعلّم النوع ده من أنواع الاستسلام والخضوع لأفكار ولبني آدمين بيَدّعوا انّهم خلاص فكّروله في كُل حاجة، وعايزينُه يسلّمهُم دَقنُه عشان هُمّ احتكروا دينُه الواسع لأنفُسهُم، ممكن يكون الشخص ده بتَفسَد فيه حاجات وماحدّش بيعرف يصلّحها.

الاستسلام للرب الخالق موضوع، بس الاستسلام لأفكار ولبني آدمين بيُخطئوا قبل أن يُصيبوا موضوع مُختلف تمامًا تمامًا.

والله أعلَم من جميع الجميع...

عن البَحث عن الطريق وسْطَ الظلام

كُل واحد أعتقد عارف يعني إيه يبقى حاسس انُّه ماشي في الضلمة بيتَحَسَس طريقُه في مُحاولة تبدو أحيانًا مستحيلة للوصول.. بل في مُحاولة تبدو أحيانًا مستحيلة لتحديد الاتّجاه!

ليه الاختيارات المُهمّة كلّها صعبة كده؟ يمكن عشان البني آدم طَمّاع، وأكيد عشان البني آدم مايعرفش المُستَقبل.. لو عِرْفُه كان حيبقى أسهل حاجة الاختيار.

«والأكادة» انّك مش كفاية تعرف إيه حلو وإيه وحش، عشان الحلو ليَّ أنا غير الحلو ليك انتَ غير الحلو ليكي انتِ.. مش كفاية حتّى تعرف إيه الأحسن، عشان الأحسنلك النّهارده مش شرط خالص يبقى الأحسَنلك بُكرَه.. وبعدين انت ممكن تكون فاكر ده كويس عشانك وهو مش كويس عشانك ولا حاجة.. لأ ضلمة ضلمة يعني!

دايمًا بَتَخيّل سهولة الحياة لو كانت عندي القُدرة انّي أكلّم رَبّنا، ويرد عليَّ رَبّنا طبعًا.. مش بصلاة استخارة بَقَه وإشارات وكده لأ؛ كان نِفسي أبقى بكَلِّمُه كلام ويرد عليَّ كلام: «ده أحسن يا رَبّي ولّا

دَه؟» «هو انا لو عملت كذا يبقى كويس؟» «طَب لو عملت كذا حتزعل منّي؟» «هو انا لو اخترت كذا حَندَم؟» وهكذا أسئلة.. تخيّلوا كده لو الواحد يقدر يسأل الصانع نَفسُه، الخالق نَفسُه، العارف نَفسُه، تخيّلوا ازاي مش حيبقى فيه ضلمة، ولا حتّى عُصابة عين.

بس ماكانش ينعز يا حبيبي، مافيش كده، لازم حيرة، لازم يكون صعب الاختيار، لازم لازم يكون امتحان؛ امتحان لكُل اللي تِعرَفه، لكل اللي مصَدَّقُه، ولكُل اللي عايز تبقاه.. كُل يوم امتحان، كُل ما تعمل حاجة، وكُل ما تنطق امتحان.. وكُل حتّى ما تفكّر في فكرة امتحان.

الجهل بالمُستقبل وقِصَر المعرفة ضلمة؟ الحقيقة الحقيقة ضَلْمة آه. بس من غيرها ماكُنّاش عرفنا النور.

فلنُبَرطِع جميعًا في الظلام.. عَسى أن نُحِبُّه، وعسى يومًا أن نُلهَم بصيرة تُرينا الطريق....

عن الحكمة

فيه مثل صيني شديد الذكاء والعبقرية بيقول: «بداية الحكمة أن نُسمّي الأشياء بأسمائها الحقيقية»

الكلمة دي دفعتني دايمًا لتأمُّلها.. بداية الحكمة اننا الأول نُطلِق على كُل شيء إسمه الحقيقي؛ عشان نعرَفُه، عشان نفهم احنا بنتعامل مع ايه بالظبط، عشان مانبقاش بنتكلّم عن واحد مسلم مثلًا (أو حتّى مليار ونُص مُسلِم) ونفتكر اننا بنتكلّم عن الإسلام، أو نقول «الغَرْب» واحنا بنفكّر في واحد خواجة. عشان مانبقاش بنتعامل مع حاجة مُتَغيّرة ونسبية ونبقى فاكرين انّها الحقيقة الثابتَة، عشان نعرف الفرق بين العام والخاص، بين المُقدّس والسهل تبديلُه.. عشان نقدر نشوف الخط الفاصل بين اللي احنا عايزينُه يكون واللي المفروض يكون، عشان نعرف نفرّق بين الحاجة المُفيدة والحاجة اللي عاجبانا، عشان نعرف نفصِل بين آراءنا ومشاعرنا، عشان نعرف الفرق بين الحقيقي والمُزَيّف.. ويمكن حتّى نعرف الفرق بين القِيمة والتَمَن.. ومزايا أخرى كثيرة جِدًّا من نفس هذا النوع ممكن نحصُل عليها فقط لمّا نبدأ نسمّي كُل شيء بإسمه الحقيقي.

طَب لو كُل ده بداية الحكمة بس، أُمّال ايه ييجي بعد البداية؟ ماقدرتش أمنع نفسي *(بالرغم انّي لا أدّعي الحكمة ولا حاجة)* من إنّي أفكّر في السؤال ده؛ لو سمّينا كُل حاجة بإسمها الحقيقي فعلًا، نكمّل ازاي؟ نمشي في أنهي اتّجاه؟

أعتقد بعد ما نسمّي الحاجات بأساميها، نصنّفها؛ حاجات ضرورية أو مُهمّة أو جميلة أو مُضرّة أو سخيفة أو تافهة، أو حاجات بتجتمع فيها أكثر من صفة.. وبعدين عشان نشوف أحسن، نجَرّدها من طبيعتها عشان نحاول نشوفها كما هي فعلًا، نرجّعها تاني للفكرة اللي جَت منها عشان نعرف نقيّم الفكرة بعيدًا عن استعمالاتها ومشاعرنا تجاه تلك الاستعمالات.. فَاقدَر أعرف انا بَحِب فُلان ولا بصَدّقُه، بَحِب أفكارُه ولّا طريقتُه، بَكرَهه بشَكل شَخصي ولّا بَكرَه ما يَرمُز إليه.. بَحِب مصر فعلًا ولّا مابَحِبّهاش، بحِبّها كوَطَن ولّا مَكان.. لو سمّيت الحاجات بأساميها وعرِفت افَرَّق بينهُم وبين بعض، ممكن اعرَف انا مؤمِن بأفكاري فعلًا ولّا عاجِبني شَكلَها بس، ممكن اعرَف انا لايق على نَفسِي ولّا بَقول حاجات وبَعمِل حاجات تانية.. ممكن اعرَفني..

وبعدين بعد ما اقَيِّم أفكاري أنا الخاصّة واعرف هي خاصّة ولا لأ، ممكن احاول استوعب وافهم أفكار الناس التانيين المُختَلِفين عَنِّي.. نسمح لنَفسِنا اننا نخلّي الأفكار دي تدخل فعلًا حيث يُمكن للأفكار أن تَدْخُل، فنقدر فعلًا نشوف وجهات النظر التانية المُختَلِفة، مش بس نسمعها، لأ نستوعبها. ممكن يكون ده بيحصل بإنّك تنجح في

محاولة انّك تحُط نفسك مكان الشخص المُختلف اللي انت بتفكّر في وجهة نَظَرُه؛ عشان تحاول تفهم هو شايف كده ليه وعشان إيه وازاي.. سهل أوي الواحد يقول رأيه في اللي الناس بيقولوه بس مش سهل أبدًا انُّه يفكّر فيه كويّس ويستوعبه بالرغم من إنُّه نظريًا رافضُه. الآراء اللي بتترَمَّي يمين وشمال دي مافيش أسهل منها، أهُو كلام والكلام ببلاش، بس «استيعاب» وجهات النظر المُختلفة للآخرين أمر يبدو انُّه من مُتطلّبات الوصول لقَدْر من الحِكمة.

بعد ما دَه يحصل «لو حَصَل» ييجي الدور على ان البني آدم اللي بيدوّر على الحكمة يبدأ يَقتَنِع ان مافيش صح واحد ولا صح مُطلق إلّا في حدود ضيقة جِدًّا (زي حقوق الناس مثلًا، زي الإخلاص للوطن، زي حماية الشرف *«اللي هو طبعًا معنى أعمق بكتير أوي من إن البنت تفضل عذراء أو الزوجة ماتخونش جوزها»*. حاجات كده الناس كُلُّهم في كُل مكان على الأرض أبدًا مابيَختلفوش عليها.. وبعد الحدود دي عَلَطول بتبدأ توجَد إمكانيات كتير؛ ممكن يكون الصَح مزيج من هذا وذاك، ممكن الصح يبقى مُختَلِط بالخطأ، والخطأ طبعًا ممكن يختلط بالصواب.

وعَند اللحظة اللي بيشوف فيها البني آدم تلك الحقيقة بيبدأ يُدرك ان كُل ما يملك من آراء «مع فرض انُّه بيملُكها فعلًا» كُلّها ممكن تتغيّر؛ سواء تتغَيّر مع الوقت أو مع ما قد يجِد من أمور، لإنه ماقَفَلش عليها بالقفل ورمى المُفتاح زي ما أغلب الناس بيعملوا. الفرق هنا في عيني هو الفرق بين رأي صاحي وعايش، فممكن يُعيد تشكيل

نَفسُه بعد ما يِستِوي أكتر أو يعرف أكتر أو يشوف أحسن، فيبقى مُمكن يتحرّك ويوصل لأماكن تانية بَعيدة عن موطنه الأصلي، ورأي تاني ميّت مُحَنّط مُتحَجّر أولى به المتاحف، لإن عنادُه وصَلَفُه وكبرياؤه بيُفقِدُوه قيمتُه حتّى لو كان رأي سديد.

أمّا عن آخر الحكمة فأعتقد أعتقد يعني، انّها تبقى زي ما تقولوا كدَه «التسامح»، التسامح مع الأفكار ومع اصحابها، حتّى مع أخطاءها.. من غير تسامح أكيد مافيش حكمة، لإن من غير تسامُح يبقى ماحَدّش سمع ولا فهم ولا حَط نفسه مكان أي حد. من غير تَسامُح يبقى الحقيقة لسّه أكيد بعيدة.. من غير تسامح يبقى النظر أكيد لسّاه قُصَيّر وقاصِر وعَبيط.. من غير تسامح يبقى ما بُنِيَ على باطل فهُو باطل.. من غير تَسامُح مش ممكن تعيش الحكمة..

الحكمة تبدو في منتهاها انّها القَبول والتقبّل لكل الآخر المُختلف، تبدو انّها مُمكن تخلّيك قادِر انّك تشوف اللي كُل الناس شايفينه، وتقبل وجوده مع اختلافُه عَنّك، وكمان تتأمّله وتفكّر فيه عساه يُلهِمك «جزء من الحقيقة»..

وأكيد طبعًا الوصول لدرجات عالية من الحِكمَة بيتطلّب كمان موهِبة، تلك القُدرة على رؤية حاجة مختلفة عن اللي كُل الناس بيشوفوه بالفطرة أو بالطبيعة أو بالنظرة الأولى. وبعد ما توجد الموهبة وتُستوفى الشروط، وبعد مجهود مُضني أكيد، بتِوسَع الروح فعلًا، بتكبر، بتتألّق. وتيجي الحكمة في صورة هديّة بتخلّي البني آدم يشوف كُل حاجة بحجمها الحقيقي. ويبقى عنده رأي ومشاعر لا

يَلتَقون، وبدل ما يبقى عدو لأي فكرة بينتقدها بعقل وموضوعية وثبات. وبدل ما يبقى مُتّبع لأي فكرة بيبقى حَليف ليها؛ مابيمشيش وراها بل بيمشي جنبها، يدًا بِيَد، يغيّر فيها لمّا يقدر، ويسمحلها تغيّر فيه لمّا يبقى مُستعِد.

لما يشوف البني آدم بشكل أوضح؛ إسم كُل حاجة، وطبيعتها، وظروفها، ومكانها في الدُنيا، وعلاقتها باللي حواليها، بيشوف نَفسُه في مكانُه الحقيقي بحجمُه الحقيقي بقيمتُه الحقيقية، فممكن يبقى قادر ساعِتها انُّه يعرف دورُه الحقيقي وهَدَفُه الحقيقي ومُبتغاه الحقيقي..

فاضل بس دلوقتي اننا لسّه ماجاوبناش على سؤال مُرَكّب ومهم جِدًّا جِدًّا أعتقد.. هو أصلًا ليه الهيصة دي كُلّها! ليه أصلًا ندوّر عالحكمة؟ ايه الداعي؟ هو احنا فاضيين! الفلسفة دي قد تكون مناسبة للناس اللي ماوراهاش حاجة تعملها لكن احنا نعمل بيها ايه؟

التعليم يراه أغلب الناس إذا ماكانش كُلّهُم على إنُّه الخلاص الوحيد من كُل أزمات الشعوب؛ عشان ببساطة أوّل ما الناس تتعلّم كويّس بيبدأوا يعملوا اختيارات أحسن، لإنّهم متعلّمين، متنوّرين بالعلم.

أنا كمان مؤمن بالعِلم وجدواه التي لا تَخفى على حَد، لكِنّي بَشوف ان حتّى العِلم نَفسُه من غير فلسفة مايقدرش يوصل إلّا لمزيد من العلم، مزيد من البِناء ومزيد من المَعرِفة. لكن التقدّم الإنساني الحقيقي غير مُمكن إلّا بوجود فلسفة مُختَلِطَة بالعِلم، مِتجَوِّزاه

وبتخَلّف مِنُّه أطفال سُلام وأصحاء بيشوفوا وبيسمعوا وبيفهموا.. بيحسّوا.. مش بس بيِعمِلوا، كمان بيقيسوا أثر أعمالهُم وبيفَكّروا في اللي بيعملوه..

ده زائد كمان إن العلم مشوارُه طويل؛ لازم مدارس، وجامعات، وأجيال عايزة تتعلّم، وأجيال قادرة على تعليمهُم، وفُرَص للّي حيتعَلّموا دول.. ولازم فلوس، ولازم دَولَة مُهتَمّة وقادرة... لازم حاجات كتير أوي.

بس الفَلسَفة من الناحية التانية، مش لازم كُل دَه عشان تتخِلِق في مُجتَمَع وترقَى بنوع الناس اللي عايشين بيها.. اللي بتتطلّبُه الفلسفة يقدروا عليه كُل الناس؛ شويّة تفكير وشوية تأمُّل وشوية آدمية وشوية إنسانية وشوية بَص في المراية وشوية تقييم لأفعالي ومحاولة إدراك تأثيرها على ما حولي ومَن حَولي. شويّة إدراك أعتقد قادر عليه كُل عَقل بَشري لمّا يُهيّألُه الظَرف المُناسِب..

سهل أوي على البني آدم انُّه يِتحِبِس في حياتُه اليومية؛ الدُنيا فعلًا شاقة، ولو فيه ناس محظوظين مش حاسّين بشقاءها فالدُنيا أيضًا مُلهِيَة. حتّى العلم ممكن يأسر العُلماء فيه، حتّى الدين ممكُن يأسِر الناس فيه؛ ويبقى كُل واحد من الناس دول على اختلاف أنواعهُم وحياتهُم وظروفهم، كإنّه مُنكَب على حاجة مابيرفَعش عينُه عنها، فمابيشوفش غيرها. واللي مابيشوفش غير حاجة واحدة مش مُمكِن يوصل للحكمة.

من غير حكمة بيفضل البني آدم أحمق حتّى لو كان شاطر، أخَرق

بالرغم من ذكاؤه.. بيفضل عبيط حتّى لو سقّفوله بقية الناس «العُبط» بَرضُه..

العِلم بيخلّي البني آدم يقدر يخترع حاجات، بس الفلسفة بتخلّيه يختار حيخترع إيه. العلم بيعمل عَضلات للبني آدم بس الفلسفة هي اللي بتعلّمُه يستعمل عَضلاتُه ازّاي، ويستعملها في إيه. العلم بيِبني مُدُن وأبراج وكباري ومصانع ومعامل بس الفلسفة هي اللي بتحقّق العَدل والحق والخير.

الجَهل بينَوّرُه العلم صحيح لكن القُبح والتَعَصّب والعناد والطمع والأنانية واللامُبالاة مابيعرَفش يعمل فيهُم العِلم حاجة، بس تقدر عليهُم الفلسفة.

ومش المقصود هُو ان كُل واحد يتفلسف شويّة بس حيبقى أكيد منوّر ومُستَنير، ما فيه فلسفات كتير تودّي في داهية، بس المقصود ان الفلسفة بتخلق أصلًا فُرصة للنجاح الحقيقي لإنّها بتخلّي أصحابها يفكّروا فعلًا في أحوالهم وأحوال العالم من حَولهم.. بتخلّيهُم يشوفوا.

قد يرى البَعض للأسف ان الفلسفة ليست من الدّين في شيء، مع ان العالم وتاريخُه مليء بأمثلة عن ازّاي الدين لمّا يخلو من الفلسفة بيبقى جاهل وضيّق الأُفُق وقاصِر وغَبي. حتّى الأديان نَفسها محتاجة الفلسفة عشان تُستَوعَب كما يَنبَغي، عشان تُفهَم كما يَنبغي.. من غير فلسفة ممكن البني آدم يصلّي ويصوم بس مش ممكن يُدرِك هو بيعمل ايه لمّا بيصلّي وبيصوم، ممكن يتبَع أوامر الدين بس مش ممكن يبقى

عَندُه أخلاق، ممكن يربّي دَقنُه ويتحجّب ويغير على الدّين بطفوليّة ويرَدّد كلام كتير ممكن يبقى شَكلُه حلو خالص، بس مش ممكن أبدًا يعمل حَضارة.

الفلسفة هي اللي بَنِت الدُنيا، الفلسفة هي اللي خلقت المُجتمعات والحكومات والإمبراطوريّات والأمَم، الفلسفة هي اللي عملِت القوانين والدساتير والدُوَل، الفلسفة هي اللي دَوّر بيها البني آدم على العَدل شخصيًّا، الفَلسَفة هي اللي دَوّر بيها البني آدم على الأخلاق نَفسها، بل هيّ اللي بيستَعمِلها عشان يدوّر علي الإله نَفسُه.. الفلسفة هي اللي قادت طريقُه إلى المُستَقبَل اللي وصلُّه، وغياب الفَلسَفة هو اللي حَيُؤدّي إلى هلاكُه.. لو فيه Robots هي اللي عايشة مكانّنا كانوا بَنوا أحسن مننا واكتَشَفوا أكتر مننا وقِدروا على ما لا نقدِر عليه، بس الفلسفة في عيني هي انجاز البني آدم الحقيقي على الأرض، اللي مافيش حد غيرُه كان ممكن يوصلُّه أبدًا.. وازاي تفتكروا ممكن تستقيم الحياة لو راح منها حَجَر أساسها؟!

دي دَعوة للجميع للاهتمام بالفلسفة.. بتَعَلُّمها، بالقراية فيها، بالتفكير وبالتحليل وبالنقاش وبالتأمُّل، وبمحاولة بناء آراء صَلبة وحُرّة وحقيقية، بمحاولة الوصول إلى قَدر من الحِكمة، وبِكُل ما سَبَق من كلام. الفلسفة كما أراها هي الطريق الوحيد للصواب، لإنَّها الوحيدة اللي تقدر تعرف مكانُه.

مِن غير فلسَفة مافيش حِكمَة، ومِن غير ولَو قَدر من الحِكمة بيبقى الإنسان مُجَرّد كائن أذكى وأقدَر من أقرانُه الكائنات الأخرى، بس مش ممكن يبقى بني آدم...

عن انك تسلّم روحك أحسن ما خَدْتها

مش مُتَأكّد إذا كانت حاجة «صح» الواحد يعملها ولّا لأ بس من أوّل ما بدأت الكتاب ده وانا مقرّر ان ده حيبقى العنوان الأخير.. كُنت عايز دي تبقى آخر حاجة أكلّمكو فيها وأعتقد انّكو حتعرفوا ليه بسهولة.

آخر قناعاتي في لحظة كتابة هذه السطور ان الدنيا الكبيرة الواسعة دي كلها، فيها هدف واحد أصلي للبني آدم بتدُور حواليه كُل حاجة تانية. بتدور حواليه حياته؛ بيُخلَق البني آدم في رحِم أمّه، وبيُنفَخ فيه من روح الخالق العليم، وبعدين يِفضَل يِكبَر كُل يوم في رحم الأم لحد ما يُخرُج إلى نور الدنيا، لحد ما يُخرُج إلى رَحِم الحياة.. تبدأ حياته ان طالَت أو قَصُرت، سنين تعدّي ويكبر ويتعلّم ويفهم (أو مايِفهَمش) وبعدين كِده كِده بيبدأ الامتحان. بيعتقد الكثيرون ان الامتحان الدُنيوي ده هو امتحان للإيمان، وهو بالنسبالي أكيد كِده فعلًا بس الإيمان نَفسُه فِكرة والأفكار بيَستحيل قياسها، يقدَر رَبّنا يقيِّم إيمانَك بس انت نَفسَك ماتقدرش، لكن تقدر تقيّم أفعالك. كُل

حاجة بتِعمِلها تقدر ببعض المجهود تقيِّم أثرها على العالم حواليك، والأهم انّك تقدر تقيِّم أثَرها على روحَك.

الامتحان كما أراه الآن في صورة سينمائية تَخَيُّلِيّة جِدًّا هو ان الناحية التانية من تلك الحياة، الجانب الآخر من تلكَ «الحيطة»، بعد ما الواحد يمشي من هنا، الفيصل الوحيد هو نجح ولّا مانجِحش هو الروح اللي خدها من رَبّنا وهو في بطن أمّه قبل أن يولد، رجّعها أحسن ما خدها (إذا كان ده مُمكِن) ولّا رجّعها زي ما خَدها ولّا رجّعها يَعلوها الصَدَأ والتُراب.

الروح بتيجي من الإله وعشان كده منطقي انّها تبقى سليمة وخَيّرة وطيّبة، بس مُمكِن الروح تكون شأنها شأن كُل جَميل بيَسهُل تشويهها، وممكن كمان لو الواحد خلّى بالُه مِنها كويِّس؛ تِكبَر، تِوسَع، تَتمَدّد! بيحمِل البني آدم روح الإله وهُوّ فطرِتُه ونَفسُه بيميلوا إلى طبيعة مُختَلِفة عن طبيعة روحُه، وعندي شعور قوي ان بعد عِشْرِة السنين اللي بينهم بيأثّر فيها، كُل حاجة بيعمِلها بتأثّر فيها.

وأبدًا مش المقصود انك لازم ماتغلطش عشان تقدر تسلّم روحك أحسن ما خدتها، اللي مايغلطش يبقى مش بني آدم، البني آدم معمول بيغلط، فِطرِتُه كده؛ إنُّه كائن غَلّاط خَطّاء. بل المقصود هو ان يبقى عندك ضمير يأنّبك لمّا تغلط، وعقل يحاسبك على أخطاءك بأمانة، وبصيرة تخلّيك تقدر تقيّم أثر أفعالك على روحك.. المقصود هُو انّك تحاول تبقى حارِس مُخلِص لتلك الروح اللي لو فَسَدِت فعلًا يبقى انت فَسَدت فعلًا وأعتقد بلا أمَل في إصلاحَك.

المقصود هُو انّك كُل ما تُقَف في مَوقِف اختيار تعرَف انّك في موقف اختيار، واختيارك حيأثّر على روحَك.. كُل يوم، شويّة بشوية، حِتّة حِتّة.. المقصود هُو انّك تعمل الخير حتّى لو حترميه في البَحر، وتبقى مُدافع ونَصير وحليف للحَق حتّى لو ماكُنتُش حتَحتَفِل بانتصارُه.. تِعمِل دَه كُلُّه عشان نَفسَك، عشان روحَك..

الحاجة اللي عاجباني كمان جِدًّا في تَصَوُّر محاولة الحِفاظ على سلامة الروح ده، هُو ان روح البني آدم تَبدو كدَه انّها عارفة فين مَصلَحِتها، عارفة ايه كويّس ليها وايه وِحِش. وروحَك معاك ما حييت، كُل اللي عليك انّك تسألها.. وتسمع كلامها لمّا تقولّك! عشان لو بطّلْت تِسمع، من ملاحظاتي لِمَا حَولي؛ شكلها كده لمّا تبطّل تِسمَعها بتبطّل هِيَ كمان تقول.

اوعوا تخلّوها تبطّل تقول.. لازم ترجَع أحسن ما جَت (إذا كان ده مُمكِن)!

Good writing does not succeed or fail on the strength of its ability to persuade…it succeeds or fails on the strength of its ability to engage you, to make you think, to give you a glimpse into someone else's head…

Malcolm Gladwell

الكتابة الجيدة مابتَنجَحش أو تفشلْ في قُدرِتها على الإقناع، بل بتنجح أو تفشل في قُدرِتها على اجتذابَك.. في إنّها تقدر تخلّيك تفكّر، في إنّها تدّيك فكرة عمّا يدور في رأس شخص تاني غيرك.

مالكولم جلادويل..

كاتب أمريكي مُعاصر..

شُكر خاص

أشكُر صعوبة الحياة اللي بتخلّيني أخبط راسي في الحيط وانا بَحَاوِل أفهمها..

أشكُرِك على الرحلة المُتعبة.. وأتمنّى أن أشعُر في نهايتِك أنَّكِ كُنتِ تَستحقِّينَ العناء..

أعمال المؤلّف السابِقة

- «**FMTV**»

برنامج تلفزيوني إذاعي على قناة مزيكا/ إذاعة نجوم FM
الموسم الأول ٢٠٠٤ - الموسم التاني ٢٠٠٥.

- «**الخميس الساعة تمانية**»

برنامج هوا إذاعي على نجوم FM - ٢٠٠٦.

- «**حبة عسيلي**»

برنامج تلفزيوني على Otv
الموسم الأول: ٢٠٠٧- الموسم التاني ٢٠٠٨.

- «**عسيلي على الراديو**»

نجوم FM ٢٠٠٨.

- «**عسيلي على الراديو في رمضان**».

نجوم FM
رمضان ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩ - ٢٠١٠

- مقالة شهرية في مجلة «إحنا» منذ ٢٠٠٥.

- «كتاب مالوش اسم»
دار الشروق - أغسطس ٢٠٠٩.

الفهرس

الكتاب التاني

الحياة قد يراها البني آدم على انّها امتحان، وهي غالبًا كده فعلًا، بس هيّ مش كده وبس.. أمّال هيّ ايه؟ لعبة طبعًا!

يعني زي ماتقولوا كِده امتحان بس في صورة لِعبَة.. لعبة معقّده جدا بس ممكن تخلّيها بسيطة لو عايز، لو تقدر..

مطلوب منّك تلعب اللعبة بالقواعد اللي تشوفها مناسبة، ماحدّش فعلًا بيجبرك على حاجة.. بس سر النجاح الحقيقي في اللعبة دي هو انّك انت اللي تلْعَبها ماتخلّيهاش هي اللي تلْعَبَك (وماتخلّيش حَد يلعَب مكانَك!).. اللعبة دي مش عن المكسب والخسارة (أو على الأقل مش هنا)؛ ماتنساش نَفسَك لما تكسب وماتاخدش الموضوع جَد زيادة لمّا تخسر.. ماتستنّاش حاجة، كل حاجة بتيجي في وقتها.. ماتعملش أبدًا حاجة انت مش موافق عليها، ولمّا تعمل اللي انت وافقت عليه ماتندَمْش.. اتعلّم من لِعْبَك؛ ماتِعملش نفس الغلطات تاني، وبيني وبينكو لو عَملتها لكن برضه اتعلّمت ماحَصَلش مأساة يعني؛ انت بني آدم وبتغلط، ماتزوّدهاش بس!

لمّا اللعبة تخلَص فيه شويّة حاجات قليّلة مهمّة فعلًا، والباقي كُلّه من وجهة نظري مش مهم:

- انت اللي لعبت فعلًا ولّا لأ.
- لعبت بشَرَف ورجولة واحترام لنفسك وللّعبة ولّا لأ.
- اللي لعبوا معاك حَبّوك ولّا لأ.
- الحَكَم حَبّك ولّا لأ.

أتمنّالكو لِخاطِري قراءة مُلهِمَة ومُمْتِعة

عسيلي

مايا شوقي

دار الشروق
www.shorouk.com



الغلاف وليد طاهر